

الثقافة الجديدة

- * الدكتور صلاح خالص
- * الدكتور منصور الراوى
- * الدكتور عبدالامير مجيد
- * الدكتور مصطفى رجب
- * الدكتور علي سعد
- * هنرى دني
- * أ.أ.أ. سر كوف
- * نجم الدين بزرگان
- * عبدالمطلب صالح
- * لميعة عباس عمارة
- * مهدي عيسى الصقر
- * عدنان الحافظ

HAFAEZ
ح

مجلة شهرية ثقافية عظمى

١٠
آب ١٩٥٩

المحتويات

العدد العاشر السنة السابعة آب ١٩٥٩

صحيفة

- ١ - بعد عام رئيس التحرير ١
- ٢ - مفهوم وأهمية القوة الانتاجية فى كل من الاقتصاديين
الرأسمالى والاشتراكى الدكتور منصور الراوى ٨
- ٣ - تأملات حول آراء جورج لوكاتش الفلسفية فوغاراسى ٢٠
ترجمة : نجم الدين بزركان
- ٤ - وظيفة الادب السوفياتى فى البناء الشيوعى سر كوف ٣٤
ترجمة : « الثقافة الجديدة »
- ٥ - مالية الثورة الفرنسية الدكتور جاك سولون ٤١
ترجمة : الدكتور عبدالامير مجيد ٤١
- ٦ - قسمة أرباح النفط ومحنة الكارتيل ٦٥
- ٧ - الكتاب فى پولونيا : مهمتهم ونواحي ضعفهم ٧٤
ترجمة : عبدالمطلب صالح
- ٨ - القيمة والرأسمالية هنرى دنى ٨٣
ترجمة : أبو سعد
- ٩ - مأساة الانسان المعاصر فى شعر البياتى الدكتور على سعد ٩١
- ١٠ - تموز : إله الربيع والخصب والنماء (شعر) ١٠٠
- ١١ - غضب المدينة (قصة) مهدي عيسى الصقر ١٠٣
- ١٢ - أصول الحرية (كتاب الشهر) عدنان الحافظ ٢٠٨
- ١٣ - جولة فى المجالات العربية والعالمية « الثقافة الجديدة » ١٢٠
- ١٤ - وثائق ومذكرات ١٢٥

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية عامة

رئيس التحرير
الدكتور محمد فاضل

نائب الرئيس
عبد الرحمن بن الحاي

آب ١٩٥٩

★

السنة السابعة

★

العدد العاشر



بعد عام من ثورة ١٤ تموز المجيدة يجدر بنا أن نلتفت قليلا الى الوراء ونتلمس خطانا على هدى التجارب الغزيرة التي زودنا بها هذا العام الحافل بالاحداث ، الحافل بالانتصارات ، الحافل دون شك بالمشاكل والمعضلات ، يجدر بنا ان نراجع اعمالنا في هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا المجيد وندرك طبيعة القوى التي قامت بدور فعال في اضعاف هذا الاتجاه وتقوية ذاك ، ثم نحاول بعد ذلك أن نجعل من هذه القوى كلها مكنة فعالة منسجمة تعمل لخير هذا الشعب النبيل ولتهيئة مستقبل أفضل لابنائنا العاملين .

عندما ارتفعت راية الرابع عشر من تموز استبشر الشعب كله وخرج الى الشوارع يعلن فرحه وابتهاجه وهلعت قلوب فئة قليلة كانت

تعيش على حساب الشعب وتبنى سعادتها بعرق جبينه ودماء ابنائه
وتعاسة أكثريته الساحقة ، كانت تنام قريرة العين على أنات التعساء
وآهات الاشقياء ولهات الكادحين ...

نعم استبشر الشعب العراقي كله لانه القى عن كاهله حكم طغمة
فاسدة اسندها الاستعمار واسندته ، وحمت مصالحه فضمن لها
السلطة والجاه والمال .. ولانه كان متفقا على ضرورة ازاحة عدو الشعب
نورى السعيد ، واطلاق طاقاته الكامنة وخلق مجتمع جديد سعيد كانت
طغمة فيصل وعبدالله ونورى السعيد تقف حجر عثرة فى سبيل
تكوينه . وكان الناس يتساءلون من هو بطل هذه الحركة الجبارة . ومن
واضع خططها ومنفذها .. وقال فريق انه مجرد انقلاب عسكري وقال
آخرون انه تدبير خارجي وقال فريق ثالث انه اعمق من ذلك بكثير ،
ولكن الجميع استبشروا لان القضاء على نورى السعيد وحده كان حلما
عسير التحقيق ، فكيف وقد انهار النظام الملكي كله وشتت شمل الطغمة
الحاكمة ، ولكن علامات الاستفهام كانت فى كل مكان ... وزاد الامر
اختلاطا وغموضا على الشعب الخطب الهستيرية التى كان يلقيها نائب
رئيس الوزراء آنذاك والتى لا يكاد المرء يخرج منها بطائل حول سياسة
الحكومة الجديدة الخارجية أو الداخلية .. بل أن الامور كانت تبدو فى
بعض الاحيان وكأن الثورة لم تكن سوى حلم جديد من احلام عبدالناصر
قد تحقق ... ولكن الضباب الذى احاط بحركة ١٤ تموز ابتداء ينجلي
شيئا فشيئا وبرزت شخصية زعيم الثورة الحقيقى ومنظم خططها وراسم
طريقها عبدالكريم قاسم الذى احتل مكانته على رأس الثورة وفى قيادة
الشعب لا بالدعاية الفارغة والتهريج الكاذب وانما بتمثيله لارادة الشعب
تمثيلا تاما وتبنيه لاهدافه وآماله وأمانيه تبنييا واعيا ، وباسلوبه المحنك
الجرىء فى الحكم .. لقد اثبت زعيم ثورة ١٤ تموز أنه ليس قادرا فقط
على استيعاب أهداف الشعب وادراك مصالحه ووضع الخطط لتحقيقها ،
بل انه جرىء كل الجراءة فى تنفيذ هذه الخطط وتحقيق هذه المصالح
بشكل يبعث على منتهى الاستغراب والاعجاب . وقد كان هذا هو السبب
الاساسى فى التفاف الشعب حوله وفى هذه المكانة التى احتلها لا فى
قيادته فحسب وانما فى قلوب ابنائه أيضا . لقد نجح الزعيم عبدالكريم
فى ارساء وضع البلاد الخارجى على قواعد رصينة متينة فبعد أن سد
جميع السبل أمام الطامعين واوقفهم عند حدهم اضطرهم الى احترام
سيادة العراق ورفع مركز العراق الدولى الذى كان متدهورا الى الحضيض

فجعلله موضع الاحترام والتقدير وجعل جميع الدول تنشد مودته وتطلب صداقته . ولاول مرة منذ قرون عديدة يخرج آخر جندي أجنبي من أرض الوطن وتطهر البلاد من كل نفوذ استعماري . . لقد استطاع الزعيم عبدالكريم قاسم في عام واحد فقط أن يقضى على النظام الملكي ويحقق استقلال العراق التام بفكه من سلسلة الاحلاف العسكرية وتطهير أرضه من جنود الاحتلال واطلاقه من قيود المنطقة الاسترلينية وبناء علاقاته الخارجية على أساس جديد هو مصلحة العراق قبل كل شيء ووضع اسس سياسة قومية تحررية تضمن تضمن مصالح العرب في كل مكان . ولاشك أن كل هذه الانجازات العظيمة لم تكن لتحقيق لولا أنها كانت تعبيراً عميقاً عن مصالح الشعب وحاضياً بتأييده واسناده المطلقين .

اما في داخل العراق ، فبعد أن وجه زعيم الثورة المقدم ضريته الشديدة الى الحاكمين وجه همّه لتخطيط القاعدة الاقتصادية التي قام عليها نفوذ الطبقة الحاكمة في العهد البائد ، وهو الاقطاع ، فشرع قانون الاصلاح الزراعي ووضع اسس تنظيم ديمقراطي سليم يفسح فيه المجال لمختلف أصحاب المهن والحرف والمثقفين وغيرهم تنظيم صفوفهم لمصلحة ابناء مهنتهم ولمصلحة الجمهورية . وكان من الطبيعي أن يتآمر على الجمهورية اعداؤها فكانت أروع انتصارات الجمهورية الفتية هي سحق هذه المؤامرات وهي تكاد تكون في المهد ثم فسخ المجال لطاقت الشعب الخلاقة أن تنطلق وتزدهر وغير ذلك من الاعمال الجبارة التي لم يكن يحلم بها أكثر الناس تفاؤلاً في المستقبل .

على أن هذه الانجازات العظيمة وهذا التبدل في الوضع السياسي للعراق وتحرره من نفوذ الاستعمار وسيره في طريقه الجديد خلق اوضاعاً جديدة يجدر بنا تفهمها وادراك اتجاهاتها وتياراتها .

ان العراق انتقل في هذا العام من بلد شبه مستعمر أو تابع الى بلد مستقل استقلالاً تاماً ولا تأثير فيه لنفوذ أجنبي . صحيح ان محاولات ومؤامرات كثيرة تجرى في الخارج لاعادة مراكز الاستعمار ولكن الشيء الذي لا شك أن موقف الجمهورية العراقية الحازم وسياسة زعيم البلاد قد سدا السبل امام اطماع الطامعين وبددا أمانى وأحلام المتربصين . وهكذا فبعد ان كانت معركة القوى الوطنية قبل ثورة ١٤ تموز متجهة الى محاربة الاستعمار وقلع النفوذ الاستعماري واخراج البلاد من الكتل العسكرية

والاحلاف العدوانية وجدت هذه القوى نفسها الآن أمام مهام جديدة ومشاكل جديدة ينتحتم عليها مجابهتها ، ولاشك أن جل هذه المشاكل وتلك المهام تتعلق بالسياسة الداخلية في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثم ما يترتب على ذلك من علاقات خارجية .

ان السؤال الذى تطرحه الاوضاع بعد عام من ثورة ١٤ تموز والذى يتطلب الحل السريع هو : هل تستطيع القوى الوطنية التى كانت متفقة قبل ١٤ تموز حول الاهداف الوطنية العامة التى تحققت تماما بل وتحقق أكثر منها ، أن تتفق الآن حول سياسة داخلية وخارجية موحدة !!؟

ان الاجابة عن هذا السؤال ليست بالسهولة التى يتصورها حسنو النية من البسطاء .

لاشك أن رسم سياسة داخلية اقتصادية واجتماعية تحقق مجموع مصالح الشعب أو أكثريته الساحقة أمر ليس بالمستحيل . . ولكن انتهاج مثل هذه السياسة لا يمكن أن يكون عن طريق اقناع هذه القوة أو تلك بسلوك طريق التعاون وتوحيد جهودها مع القوى الأخرى ، وانما يكون بفسح المجال لأكثرية الشعب الساحقة لفرض ارادتها وذلك بوضع جهازى الدولة التشريعى والتنفيذى بين يديها .

ان الثورة قد اطلقت دون شك قوى الشعب وفسحت لها المجال للقيام بدورها فى ادارة نفسها وقد حاول قائد الثورة ان يضع السلطة التنفيذية والتشريعية بين ايدى ممثلى القوى الوطنية ، وحين وجد تناقضا بين طبيعة القوى الوطنية وتكوين السلطة التنفيذية أجرى تعديله الوزارى الاول مبعدا العناصر التى فقدت ثقة الشعب أو تلك التى لم تكن تمثل مصالحه والتى اثبتت الاحداث انها كانت أدوات طيعة فى ايدى الطامعين فى بلادنا العزيزة ، وكان التعديل الوزارى الثانى الذى جاء فى نهاية العام خطوة جديدة لزيادة تمثيل السلطة التنفيذية للقوى الوطنية ولكن هذه الخطوات الرائعة لاحداث هذا الانسجام النسبى بين الشعب وحكومته ، انما كانت تتم لحد كبير بفضل استيعاب زعيم الثورة لحقيقة الوضع فى البلاد وتفهمه لطبيعة القوى الوطنية وحنكته فى ادارة دفة الحكم . ولولا هذا الدور الفعال الذى قام به زعيم الشعب فى هذا المجال لكان على القوى الوطنية نفسها أن تتفق على ذلك . ان هذه المشكلة دون شك هى

واحدة من المشكلات الرئيسية التى لابد للقوى الوطنية ان تجد لها الحل الشافى الذى يفسح المجال لتنفيذ سياسة تحررية تخدم مصالح مجموع ابناء الشعب . ان أى جبهة للقوى الوطنية لابد ان تواجه بجرأة وبروح عالية من التضحية والاخلاص هذه المعضلة وتحلها بالشكل الذى يحقق مصالح الشعب . اما محاولة استثثار قوة معينة أو طبقة معينة بالحكم فانه سوف لن يؤدى الا الى توسيع التناقضات بين طبقات الشعب وهدر مصالحه المشروعة .

وعدا مشكلة الحكم ، فان كثيرا من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية أيضا قد برزت فى أواخر العام الفائت ووضعت أمام القوى الوطنية مهام جديدة لم يكن لها وجود قبل ذلك .

ودون أن ندخل فى تفاصيل هذه المشكلات لابد أن نقول ان المشكلتين الاساسيتين هما :

أولا : الى أى حد يجب ان تقف الثورة ؟!

لقد صرح زعيم الثورة مرارا أن لنا فى كل شهر ثورة ، فثورة ١٤ تموز لم تنته اذن وانما هى قائمة حتى الآن وستستمر فى المستقبل ، ومعنى ذلك أنها ثورة تقدمية لا تعرف الحدود وأن الاساس الذى تقوم عليه هو مصلحة مجموع الشعب أو بتعبير آخر مصلحة أكثريته الساحقة . واذا كانت ثورة ١٤ تموز قد سارت فى هذا الطريق حتى الآن ، واذا كانت قد حققت الى الآن مصالح جميع الطبقات الوطنية من أصحاب أعمال وتجار وكسبة ومثقفين وعمال وفلاحين ، فان هناك دلائل كثيرة تشير الى أن فريقا من الناس رأوا فيما حققته الثورة حتى الآن ما يكفيهم فلم يعودوا يطلبون المزيد بل أصبح همهم الاول عرقلة سير الثورة وايقاف تيارها ومنع تقدمها ، وحرف خط سيرها الى اتجاه يضمن مصالحهم الخاصة دون الاهتمام بمصالح بقية طبقات الشعب . ومن الطبيعى أن يلتقى هؤلاء مع أولئك الذين حرمتهم الثورة امتيازاتهم وسلبتهم نفوذهم وسحقتهم فى سيرتها الظافرة الى الامام ، ويوحدوا جهودهم فى سحب عجلة الثورة الى الوراء . ولكن اذا كان هناك بعض من يتخلى عن الثورة وهى فى سيرها الدائب فان اضعاف هؤلاء سيستلقفون مشعلها الوهاج وينطلقون به الى الامام لانهم يرون فى هذا التقدم تحقيقا لمصالحهم واستجابة لآمالهم

وأمانهم • ولا نشك في أن موكب الثورة في تقدمه المستمر سيشهد في كل مرحلة من يتخلى عنه ويضع العقبات في سبيله ولكنه سيجد في الوقت نفسه اضعافا مضاعفة ينضوون تحت لوائه وينطلقون معه ويضرمون أوار شعلته •

ثانيا : والمشكلة الاساسية الثانية التي ابتدأت تتضح في كل مجال هو حق مجموع ابناء الشعب أو أكثريته الساحقة في توجيه حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية • ورغم ان حكومة الثورة قد أخذت على عاتقها - بالتعاون مع القوى الوطنية الشعبية - توجيه الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية لما فيه مصلحة مجموع طبقات الشعب لا سيما وان الدولة تملك الجزء الاكبر من الرأسمال الوطني ولديها الامكانيات المادية والمعنوية للقيام بهذه المهام الخطيرة ، فان اتجاهها ليبراليا خطيرا ابتدأ يظهر في بعض الاوساط يخفى وراء ستار الحرية الفردية المزيفة طموح الرأسمال الفردى الى السيطرة على الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية • ان فهم الحرية على اساس انها اطلاق العنان للرأسمال الفردى لكي يفرض نفوذه على كل شىء فهم خاطيء لا يحقق سوى مصلحة أقلية ضئيلة من الناس على حساب الاكثرية الساحقة ، ولذلك رفعت الجماهير شعار الديمقراطية الموجهة ولا حرية لاعداء الشعب • ان هذه الشعارات لا تحمل في الواقع أى معنى من معانى الضغط والتقييد وانما هى حماية لحرية الاكثرية الساحقة ، هى فسخ المجال لهذه الاكثرية لان تمارس حقها الطبيعى في التعبير عن ارادتها وتقرير مصيرها بنفسها دون فرض أو اكراه • ان اعطاء حق اصدار الصحف مثلا لكل من يستطيع اصدارها كاعطاء حق قتل الناس لكل من يستطيع الحصول على مسدس • ان معنى ذلك أن تتحكم الامكانيات المالية فى تمتع هذا الشخص أو ذاك بهذا الحق ، ان معنى ذلك أن منظمة شعبية تضم عشرات أو مئات الالوف قد لا تستطيع ان تعمل فى هذا المجال ما يعمل فرد واحد له من المال ما يساعده على القيام بذلك • واذا ما اعتبرنا كون مثل هؤلاء الافراد لا تهمهم عموما سوى مصالحهم الخاصة ، لا يهمهم ان تنهدر حقوق الشعب كله ، اذا علمنا كل ذلك ادركنا خطر مثل هذا المفهوم الخاطيء للحرية •

ان هناك خطرا حقيقيا فى ان تستأثر طبقة واحدة بمكاسب ثورة
الرابع عشر من تموز . تستأثر بالسلطة السياسية وتستأثر بالحرية
وتستأثر بمكاسب السياسة الاقتصادية الجديدة . .

صحيح أن هذا الخطر لم يظهر بشكله المريع حتى الآن ، بفضل
سياسة زعيم الثورة الجرىء وتمثيله لارادة الاكثرية الساحقة من ابناء
الشعب ولكن التحليل العلمى والمنطقى للوضع السياسى فى نهاية العام
الاول من الثورة وبداية العام الجديد يقودنا حتما الى تحليل هذا الهجوم
الواسع على التنظيم الديمقراطى والمنظمات الديمقراطية التى برهنت فى
مناسبات عديدة على انها تعبر تعبيرا حقيقيا عن ارادة الجماهير الواسعة ،
ومحاولة تأليب حكومة الثورة ضد المثقفين الديمقراطيين المعبرين عن
مصالح جمهور الشعب ، على انه مظهر واضح من مظاهر هذا الخطر
الجديد .

اننا على ثقة ان الشعب العراقى الذى دربته التجارب وحنكته
المحن وعلى رأسه زعيمه البطل لن يسمح لهذه الاخطار الجديدة أن تتفاقم ،
لن يسمح للثورة الجبارة ان تكون لمصلحة طبقة معينة ، لن يسمح للحرية
ان تستخدم ضد الشعب وان حكومة الثورة ستخلق الظروف الملائمة
لتطور سياسى واقتصادى واجتماعى يحقق مصالح مجموع طبقات الشعب
ويعنى باكثريته الساحقة .

ان على القوى الوطنية أن تدرك ان السبيل الوحيد الناجح هو
سبيل الوفاق والتعاون وتوحيد الجهود على أساس المصالح المشروعة لكل
طبقة وعلى أساس تقدمى متطور يرفع باستمرار مستوى حياة الشعب
ويسير به الى الامام .

ان الشعب واع مدرك وهو قادر دون شك على أن يخوض معارك
جديدة من أجل حقه فى الحياة الحرة الكريمة المرفهة .

ان على هذه القوى أن تدرك أنه يجب ان لا تسكرها نشوة النصر
فالاستعمار يتربص ببلادنا الدوائر وهو لم ولن يلقى سلاحه وان واجبها
يدعوها جميعا الى رص الصفوف وتوحيد الجهود ونبد الخلافات لاجل
صيانة الجمهورية والدفاع عن مكاسب الثورة والسير بها قدما الى الامام .

« رئيس التحرير »

مفهوم وأهمية القوة الانتاجية

لمنى كل من الاقتصاديين الرأسماليين والاشتراكيين

الدكتور منصور الراوى

١ - مفهوم القوة الانتاجية :

منذ بعيد الحرب العالمية الثانية أخذت الدول الرأسمالية فى شن حملات الدعايات الواسعة غرضها زيادة القوة الانتاجية بطريقة أو بأخرى بغض النظر عن الكيفية أو الطريقة التى تتم بواسطتها هذه الزيادة . ان المفكرين الرأسماليين قد اقتصروا بحملاتهم هذه ودراساتهم للموضوع على « اصطلاح » القوة الانتاجية فبات تحليلهم لهذه القوة موجز ومبهم . فمثلا يفسر الاقتصادى البرجوازى الفرنسى « فوراستيه » Fourastié القوة الانتاجية بانها : « مقياس للتطور التكنيكى » ، أو : « مقياس للقوة الشرائية » ، وانها : « عامل يبعث على خلق أو بعث التطور الاقتصادى » . ان جميع هذه التعاريف تقع فى خطأ جسيم مشترك هو خلطها بين حاصل العمل وبين القوة الانتاجية وذلك بغض النظر عن معنى حدة العمل *Intensité de Travail* . وهكذا ونتيجة لذلك لا يعير مفكرو النظام الرأسمالى أية أهمية لمقدار الجهد الذى يتحتم على العمال بذله من أجل رفع قوتهم الانتاجية ، وأصبح هم رجال الاعمال فى هذه البلدان مجرد الحصول على أكبر كمية من الانتاج وعرض الاحصائيات المتعلقة بهذا الموضوع لمقارنتها مع احصائيات الدول ذات النظام الاشتراكى .

ان هذه الحملات لم تكن الا رد فعل لما حقته دول المعسكر الاشتراكى من تقدم مدهش فى هذا المجال خاصة خلال العشر سنوات

الآخيرة • وبالرغم من كل هذه الوسائل والدعايات نجد ان القوة الانتاجية في الدول الاشتراكية في ازدياد مطرد تفوق بكثير تلك القوة في الدول الرأسمالية الأكثر تقدما في مضمار التطور الاقتصادي : فالاتحاد السوفياتي ينتج مثلا (٢٥٠) الف عاملا تكنولوجيا كل عام بينما لا تنتج الولايات المتحدة من هؤلاء سوى (١٠٠) الف • والجدول التالي يبين بوضوح مقدار التطور السريع للقوة الانتاجية في الاتحاد السوفياتي بالنسبة لتطورها في الاقطار الرأسمالية التي تقف في قمة الصناعة :

السنة	الاتحاد السوفياتي	الولايات المتحدة	انكلتره	فرنسا
١٩١٣	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
١٩٢٨	١٢٠	١٢٦	٩٤	١٠٥
١٩٣٧	٣١٨	١٣٥	١١٣	١٢٩
١٩٤٠	٤٢٢	١٥٠	١١٥	١١٤
١٩٥٠	٥٨٠	١٨٥	١٢٤	١٢٧
١٩٥٦	٩٠٠ (نحو)	٢٢٤	١٣٨	١٨٤

فبفضل النظام الاشتراكي وزوال الملكية الفردية في الاتحاد السوفياتي الذي همه الاول خلق شروط أفضل لنمو سريع ونظامي للقوة الانتاجية : كأدخال التكنيك الجديد والعمل على ارتفاع وتقدم نوعية العمال ومستواهم الثقافي ••• نجد ان هذا القطر قد احتل محل الصدارة في العالم في هذا الميدان • ففي الوقت الحاضر تجاوز الاتحاد السوفياتي ، في تطور القوة الانتاجية ، كلاً من انكلتره وفرنسا ولم يبق هناك فرق يستحق الذكر بينه وبين الولايات المتحدة •

تعرف الماركسية زيادة القوة الانتاجية بانها : كل تحول في وسائل الانتاج من أجله ان يختصر الوقت اللازم اجتماعيا لانتاج بضاعة ما بحيث ان كمية أقل من العمل تصبح كافية للحصول على انتاج كمية أكبر من قيم الاستعمال • وتعني بحدّة العمل : الحصول على كمية أكبر من قيم الاستعمال بجهد أكبر من السابق •

الفرق اذن واضح بين المعنيين وهذا ما يريد الاقتصاديون الرأسماليون اخفائه أو غرض النظر عن اهميته •

فالمعنى الصحيح للقوة الانتاجية أو لزيادتها هو « كل وسيلة من

أجلها ان تعمل على عدم زيادة جهد العامل بل تجعل من العمل أكثر سهولة وأقل عناءً وجهداً » . فدرجة القوة الانتاجية فى لحظة معينة تتوقف - كما يقول ماركس - على ظروف متعددة منها معدل المهارة للعمال والتطور العلمى ودرجة التطبيق التكنولوجى وسعة فعالية وسائل الانتاج وشروط مادية بحثه . .

يستخلص مما تقدم ان التعريف الصحيح للقوة الانتاجية هو « قابلية عمل ما - مع درجة متوسطة من حدة العمل - لتجهيز كمية معينة من قيم الاستعمال فى مقدار معين من الوقت » .

٢ - طرق زيادة القوة الانتاجية فى النظام الرأسمالى :

كيف اذن يحاول الرأسماليون زيادة القوة الانتاجية على حساب العامل ؟

تتم هذه الزيادة عادة بطريقتين :

الطريقة الاولى - زيادة عدد ساعات يوم العمل : من ٨ - ١٠ ساعات مثلاً ٤ ساعات من العمل المعتاد و٦ ساعات من العمل فوق المعتاد أى بزيادة ساعتين عن الفرضية السابقة للزيادة .

الطريقة الثانية : انقاص عدد ساعات العمل اللازمة للمحافظة على قوة العمل ، أى القسم العادى للعمل الذى يعمل فيه العامل لحسابه أو بعبارة أخرى الوقت اللازم للعامل لاعادة انتاج قوة عمله .

تتلخص هذه الوسيلة بإبقاء عدد ساعات العمل اليومى ثابتة وانقاص عدد الساعات الضرورية ، وبالنتيجة يزداد العمل الاضافى بمقدار النقصان المذكور . فبهذا الاسلوب أو بذاك يزداد فائض القيمة بنفس نسبة زيادة ساعات العمل الاضافية ، فزيادة فائض القيمة ، الذى يعزى الى الاسلوب الاول ، يدعى فائض المنفعة المطلقة ؛ والذى يعزى للاسلوب الثانى ،سمى بفائض المنفعة النسبى .

ان الطريقة الأكثر شيوعاً للحصول على هذه الزيادة ، وهى الوسيلة الاولى أى بزيادة عدد ساعات يوم العمل . ولكن هذه الزيادة لها ، كما هو معلوم ، حدود نتيجة لبلى أو فناء القوة العاملة السابق لأوانه ونتيجة

لكثرة الاضرابات عن العمل والتظاهرات والمطالب المتعددة لوضع حد
لمثل هذه التعسفات .

ان من الظروف - على اختلاف مصادرها وأنواعها - ما قد تؤدي الى
اختلاف فى القوة الانتاجية ، وقد يؤدي هذا الاختلاف أو التكييف
الى انخفاض فى تلك القوة وقد يحدث ذلك خاصة اثر حرب أو نتيجة
لحصول أزمة اقتصادية وإلى غير ذلك من أمراض اجتماعية تعزى الى
متناقضات النظام الرأسمالى العديدة . . . ولكن الواقع والهدف العام
هو الزيادة والارتفاع فى هذه القوة .

ان من شروط هذه الزيادة هو التقسيم الاجتماعى للعمل .
والمقصود من هذا التقسيم اساسا هو التقسيم التكنيكي المبني على وجود
اقتصاد صناعى متطور . ولهذا السبب نجد فى الاقطار المتخلفة
اقتصاديا ، حيث هذا النوع من التقسيم لا يوجد الا بصورته البدائية ،
أن القوة الانتاجية منخفضة لدرجة تستدعى القلق كما سنرى بعد قليل .

٣ - عناصر زيادة القوة الانتاجية :

من المعلوم انه لاجل تحقيق انتاج مادي ما يجب توافر ثلاثة عناصر
أساسية هي :

١ - عمل الانسان الذى هو شرط مطلق لاستمرار وجود البشر وهو
يقوم على تكييف واستعمال المواد المجهزة والطبيعية لاجل اشباع
حاجياته .

٢ - المادة التى تجرى عليها عمليات الانتاج والتى تكون اما مجهزة
مباشرة من قبل الطبيعة أو انه يكون قد جرى عليها عمليات
تكييف أو استعمال سابق لهذه المرحلة .

٣ - وسائل العمل وتشتمل على كل شئ بواسطته يستطيع الانسان
ان يطبق عمليات الانتاج والعمل على المادة الجارية عليها عملية
الانتاج . تشتمل هذه الوسائل على وسائط الانتاج والارض
ومنشآت الاستغلال والطرق والقنوات ومخازن التوزيع
الخ . . والعنصر الاهم ، من بين هذه الوسائل ، هي وسائل الانتاج
والذى يدل تطور صنعها على تطور مرحلة الانتاج للمجتمعات .

ومن المعلوم أيضا ان المواد موضوعة العمل ووسائل العمل تكون ما يدعى بوسائل الانتاج . اما عمل الانسان فيدعى بقوة العمل وان هذه القوة تعتبر الشرط المحدد لقوة وفعالية العنصرين الاوليين ؛ فهي اذن العنصر الفعال في الانتاج الذي يضع وسائل الانتاج موضع التنفيذ .

وأخيرا فان وسائل الانتاج وقوة العمل يكونان ما يدعى بالقوة المنتجة . وواضح اذن ان الجماهير العاملة تكون القوة المثمرة الاساسية في كل مجتمع وفي كل مرحلة من مراحل تطوره .

يستخلص من هذا ان الانسان يؤثر على الطبيعة وعلى وسائل العمل ، فدوره اذن مطلق في هذا المجال ولكن هذا لا يعنى على كل حال ان دور الطبيعة أو دور وسائل الانتاج سلبي ، بل على العكس ؛ ان لغزارة أو لوفرة الموارد الطبيعية أو لندرتها وبكلمة أخرى ، لبخل الطبيعة أو لكرمها دور كبير في تطور الانتاج ورفع القوة الانتاجية . ويكفى ان نفكر بوجود الصحارى الشاسعة القاحلة التي لم يستطع الانسان حتى الآن ان يستخرج منها القليل من الموارد بل لم تسمح للانسان التغلغل في اعماقها والتعرف بما تكنه من أسرار فاعتبرت عاقرا غير أهلة للسكنى .

ولكن دور الانتاج هو العمل على التخفيف من قساوة الطبيعة واستغلالها الى أقصى حد ممكن . اما وسائل الانتاج فلا ينكر أحد أيضا دورها في الانتاج . فزيادة القوة الانتاجية تكون بطبيعة الحال أعلى في قطر أكثر تقدما في هذا المجال عما هي في قطر متخلف تكاد تقتصر وسائله الانتاجية على أدوات بدائية لا تختلف كثيرا عن تلك التي كان يستعملها أجدادنا في القرون الاولى .

٤ - ما هي نتائج زيادة القوة الانتاجية :

يمكن تلخيص هذه النتائج بثلاث نقاط أساسية هي :

- ١ - انخفاض القيمة الاستعمالية للوحدة المنتجة من البضائع : فبأزيد عدد الوحدات المنتجة في نفس الوحدة الزمنية ينتج ان الوقت المخصص لكل وحدة من هذه الوحدات يقل وبالتالي تقل القيمة

الاستعمالية بنفس النسبة . هذه الاختلافات فى القوة الانتاجية تفسر اذن الاختلافات فى الاسعار فى الفترة الطويلة الامد .

٢ - من النتائج الحتمية لزيادة القوة الانتاجية هى الاختلاف فى مستوى حياة الطبقة العاملة . ان هذا الاختلاف يكون بالطبع اما نحو الانخفاض أو نحو الارتفاع تبعا للنظام الاقتصادى والاجتماعى المطبق فى كل قطر .

ففى النظام الاشتراكى يميل مستوى الحياة هذا الى الارتفاع بصورة مستمرة . وهذا ما حدث ويحدث بالفعل فى الاقطار المعنية بالامر : فالاحصائيات تشير الى ان الدخل القومى الحقيقى لكل فرد فى الاتحاد السوفياتى قد ازداد من (٤٥) روبل فى سنة ١٩١٣ الى (٨٢٥) روبل فى سنة ١٩٥١ أى بزيادة تعادل (١٨) مرة عما كانت عليه فى سنة ١٩١٣ . (١)

اما فى بلدان الاقتصاد الرأسمالى فالحالة ، على العموم ، هى العكس . تلك نتيجة حتمية لوجود المتناقضات العديدة التى تلازم مثل هذا النظام . من أهم هذه التناقضات هى تلك التى توجد بين روابط الانتاج الرأسمالى وبين الانتاج الاجتماعى فى مثل هذه الانظمة . نتيجة لتلك الروابط تعتبر قوة العمل ، مجرد بضاعة قيمتها محددة بمقدار ساعات العمل اللازمة لانتاج البضاعة الضرورية للمحافظة عليها وتجديدها . فبأزدياد القوة الانتاجية ينتج عنه انخفاض لقيمة تلك البضاعة ككل البضائع الأخرى وبالتالي انخفاض قيمة قوة العمل . اذن فالوقت اللازم أو الضرورى الذى يعمل فيه العامل لنفسه ينخفض أيضا ، ولما كان عدد ساعات يوم العمل ثابتة فرضيا ينتج عن ذلك زيادة عدد ساعات فائض العمل وبالتالي يزداد فائض القيمة .

قلنا ان الغرض من ارتفاع القوة الانتاجية يجب ان يكون نحو تحسين مستوى حياة الجماهير ، أى الطبقات العاملة ، ولكن نظرا لتطور قيمة قوة العمل التى تختلف تبعا للاختلاف فى القوة الانتاجية - التى تختلف من بضاعة الى أخرى - والضرورية لاجل المحافظة على قوة العمل ، فان بعض هذه البضائع تنخفض اقيامها اكثر من انخفاض قوة العمل

(١) كل دينار عراقى يساوى ١٠ - ١١ روبل .

وبعضها الآخر ينخفض بنسبة أقل . ولذلك فانه لاجل التعرف فيما اذا كان مستوى حياة الطبقة العاملة قد ارتفع أو انخفض نتيجة للتغير في القوة الانتاجية يجب مقارنة القوة الشرائية للطبقة العاملة بالنسبة **لجملة البضائع** لا مع مجرد بضاعة واحدة أو بضاعتين كما يفعل أكثر الاقتصاديين البرجوازيين . لهذا فان انخفاض الاثمان لعدد قليل من البضائع لا يمكن ان يقرر بان مستوى الحياة قد ارتفع وبالاخص اذا كان هذا الانخفاض لا يصيب الا موادا كمالية وثنائية بالنسبة للحياة المعاشية للطبقة العاملة .

نقول اذن ان ارتفاع القوة الانتاجية للعمل خلال تطور النظام الرأسمالي احدث ارتفاعا عاما في فائض المنفعة . ولكن في الواقع نظرا لان طرق الانتاج الجديدة والآلات الأكثر اتقاناً لا تدخل في الانتاج الا لحساب عدد قليل من الرأسماليين ونظرا لان انتشار هذه الطرق الجديدة على كل فروع النشاط الاقتصادي يحتاج الى فترة من الزمن قد تكون طويلة جدا فانه قد يحدث خلال هذه الفترة فرق كبير بين القيمة الاجتماعية للبضائع والقيمة الفردية لبضائع أحد أو بعض أصحاب رؤوس الاموال . ولكن مع ذلك تبقى بنفس الوقت **أثمان البضائع** محددة بقيمتها الاجتماعية . وينتج من ذلك ان من مصلحة صاحب رأس المال ان يزيد أكثر فأكثر من القوة الانتاجية لعماله لانه يحقق بذلك فائض قيمة اضافية أو فائض قيمة فوق العادة مقاسة بالفرق بين القيمة الاجتماعية والقيمة الفردية للبضائع المنتجة .

من نتائج زيادة القوة الانتاجية هي رفض الافكار الرجعية المتشائمة المنسوبة الى مالطس ، تلك الافكار التي اقتضت على حساب عدد السكان دون الاهتمام الى خطورة الموضوع بعضها النظر عن زيادة القوة الانتاجية والتطور التكنيكي وبكلمة واحدة بغضها النظر عن دور الانسان الايجابي في الانتاج . ففي المجتمعات البدائية كانت العشرات من الكيلومترات المربعة ضرورية لأعاشة عشرات معدودة من الصيادين ، اما اليوم فالمساحة نفسها تكفي لأعاشة آلاف من البشر بمستوى حياة أعلى من مستوى حياة تلكم العشرات من الصيادين البدائيين .

٥ - اهمية تطور القوة الانتاجية في نمو اقتصاديات الاقطار المتخلفة :

يظهر مما سبق ان دور الانسان هو بالعمل دائما من أجل تخفيف وطأة قساوة الطبيعة وبخلها الامر الذي ادى ان يعتبر الدور

الحاسم والاول فى تطور المجتمعات • فوجود الطاقة الكهربائية والطاقة الذرية وغيرهما لدليل قاطع على مقدرة الانسان الكبيرة ودورة الفعال فى الانتاج وفى الحضارة البشرية • ولا غرو بعد هذا ان نجد فى العالم مجتمعات متفاوتة فى مضممار المدينة والتقدم •

فهناك المجتمعات المتخلفة التى ، علاوة على ان دور الانسان فيها ليس فعالا ، فان خيراتها قد استنزفت وان موادها الاولى قد استغلت لتستعمل وقودا لاستمرار سير عجلة الاستعمار الرأسمالى المتداعى • ولهذه الاسباب خاصة فان لزيادة القوة الانتاجية فى هذه الاقطار اهمية تفوق اهميتها فى الاقطار المتقدمة اقتصاديا •

وهناك بلدان اخرى اطلق عليها بالاقطار المتقدمة او الصناعية والتى ارادت ان تثبت تقدمها وأولويتها بالحياة بتسخير واستخدام المواهب والثروات الطبيعية والبشرية الموجودة فى الاقطار الاولى • وهكذا نجد الفارق لا يزال فى ازدياد والضغط آخذ بالشدة والتوتر • فالارقام والاحصائيات التالية تشير الى ذلك بوضوح :

استهلاك وانتاج الفحم الحجري للفرد الواحد فى الاقطار الصناعية والمتخلفة فى سنة ١٩٥٠

الانتاج (بملايين الاطنان)	الاستهلاك للفرد الواحد (بالاطنان)
٢٧٥	٣٦٦ر
٢٢٧٣ر٥	٥١٩ر

يلاحظ من هذا الجدول ان النسبة المئوية للانتاج تعادل ٨٢٪ فى الاقطار المتخلفة و ١٨٪ فقط فى الاقطار المتقدمة ، بينما نسبة الاستهلاك لا تتجاوز الـ ٥٪ فى الاقطار المتخلفة و ٩٥٪ فى الاقطار المتقدمة • ان هذا الدليل القاطع يشير الى مقدار استغلال الاقطار المتخلفة من قبل الاقطار الصناعية التى سبقتها فى مضممار التقدم الاقتصادى • ولهذه الاسباب يمكن تفسير نقص القوة الانتاجية فى الاقطار المعنية بالامر كما يدل عليه الجدول التالى ، والقوة الانتاجية مقاسة (بالوحدات الدولية)

في مختلف الاقطار حسب درجة نموها الاقتصادي :

دول الشرق الاوسط : ٩٠ - ١٨٦

دول شبه رأسمالية : ٧٠ - ٢٠٠

دول رأسمالية حديثة : ١٠٠٠ - ٢٤٠٠

دول رأسمالية قديمة عالية التصنيع : ٤٠٠ - ١٠٠٠

وهذا جدول آخر يبين مقدار الانتاج الزراعى للعامل الواحد
(بالوحدات الدولية) فى بعض الاقطار :

٦٦١	الولايات المتحدة الامريكية
٥٧٩	هولنده
٤٧٥	انكلتره
١٠٩	تركيا
٩٨	سوريا ولبنان
٩٣	العراق
٩	مصر

كما وان الاحصائيات تشير الى ان ما يصيب الفرد الواحد من
الحبوب المنتجة يزيد على ثلث طن فى أقطار الشرق الاوسط . ان هذا
لضئيل بالنسبة الى ما هو عليه فى أقطار اوربا الغربية حيث يصيب
الفرد الواحد نحو الطنين ، وحتى فى اوربا الشرقية حيث يصيب الفرد
الواحد طنا واحدا .

ان لهذا النقضان أسباب منها خارجية ومنها داخلية . ونعنى
بالاسباب الخارجية السيطرة الاجنبية والاستعمار الاقتصادي
والسياسي . أما الاسباب الداخلية فاهمها التوزيع غير العادل والا
اجتماعي للثروات الطبيعية والانتاج . وكانت النتيجة ان ارتفعت نسبة
المرضى والوفيات كما وابقت هذه الشروط أغلبية الشعوب المتأخرة على
وضع يرثى له من الجهل والجوع والفقر . وتفاقم هذه الشروط الاجتماعية
يؤدى بدوره الى زيادة نقصان القوة الانتاجية . وهكذا نجد انفسنا فى
حلقة مفرغه .

والجدول الآتي يبين جيداً مقدار تردّي الشروط الصحية .

القطر طبيب واحد لكل :

٥٨٨	الاتحاد السوفياتي
٧٥٠	الولايات المتحدة الامريكية
٩٠٠	الارجنتين
٢٧٠٠	البرازيل
٣٢٠٠	تركيا
٦٠٠٠	العراق

وهذا اخيرا جدول يعطينا فكرة عامة موجزة عن مقدار تاخر النهضة الثقافية في الاقطار المتخلفة :

فمقدار استهلاك ورق الصحف بمعدل الكغم الواحد في السنة :

٣٦	الولايات المتحدة الامريكية
١٣	انكلتره
١٠٩	البرازيل
٠.٦	مصر
٠.١	العراق

من كل هذا ينتج ان كل هذه العوامل وكثير غيرها ما هي الا نتائج ثانوية لأسباب رئيسية جعلت من هذه الدول بلداناً متأخرة تضم شعوبا بائسة ومتخلفة لا لانها فقيرة بل ربما لانها غنية . وقد يوجد فقر من دون ان توجد فاقة . كما وان الغنى لا يعنى دائما السعادة والحضارة على كل حال .

٦ - كيف يجب ان تلعب زيادة القوة الانتاجية دورها في النمو الاقتصادي للاقطار المتخلفة ؟

تضاربت الآراء واختلفت الافكار في اعطاء دور الاولوية الى الزراعة أو الى الصناعة لاجل انتشار المجتمعات الفقيرة والمتخلفة من حالة فقرها . فمنهم من ذهب الى الرأي القائل بوجوب العمل على رفع القوة الانتاجية في الزراعة وتطورها نظرا لان الزراعة تشكل القسم الاكبر والاھم من

مجموع النشاط الاقتصادى ولان غالبية السكان (٧٠٪ - ٩٠٪) يعمل فى هذا الميدان وان الواردات الحالية فى هذه الاقطار يتأتى معظمها من الانتاج الزراعى .

ومنهم آخرون من ذهب الى انه لاجل تطور الاقتصاد المتخلف يجب ان يعمل على الزيادة فى القوة الانتاجية فى الميدان الصناعى . فتطور الصناعة - الخفيفة منها والثقيلة - اصبح فى عرفهم الشرط الاول لاجل النهوض باقتصاديات هذه الاقطار . وحجتهم فى ذلك تستند على عناصر اقتصادية وبشرية وسياسية خاصة . فلا يمكن لمثل هذه الاقطار ان تتقدم فى مضمار الحضارة طالما بقيت اقتصادياتها مبنية أساسا على الانتاج الزراعى . حيث ستبقى هذه الاقطار حينئذ فى وضع المدين نظرا لما يترتب على عدم وجود الصناعة من زيادة فى الاستيراد للمواد الضرورية المصنوعة سواء للانتاج الزراعى أو للاستهلاك المباشر مما سيؤدى الى نقصان فى الميزان التجارى . علاوة على ان التقدم التكنيكي السريع لعصرنا هذا أصبح لا يتناسب مع وجود انتاج زراعى بحت .

اما حجتهم البشرية فهى قولهم بانه لاجل امتصاص اليد العاملة الزراعية العاطلة والقضاء على فائض أو « زيادة » السكان فى الاقطار المتخلفة فانه ليس هناك سوى تطور الصناعة - أو انشائها بصورة ادق - حيث سيتم عندئذ تشغيل هذه اليد العاملة بصورة مثمرة بنفس الوقت الذى سيخف فيه الضغط البشرى على الانتاج الزراعى .

اما الحجة السياسية فهى قولهم بان ليس للخلاص من السيطرة السياسية والاقتصادية الا بتطور صناعى لهذه الاقطار التى لا تزال - الى حد ما - بحاجة الى اللجوء الى الاقطار المسيطرة لاجل طلب المعونة ولأستيراد حاجياتها - الضرورية والكمالية - ؛ فطالما بقيت الاقطار المتخلفة فى حالة اقتصادية « بدائية » تقتصر على انتاج نوع أو نوعين من انتاج المواد الاولية فلا محالة من انها ستبقى بموضع البلد التابع أو « مخزن وقود » لتغذية وادارة ماكنة الاقتصاد الرأسمالى . ولا يخفى على أحد خطورة الامر بالنسبة للبلدان المتخلفة . فحساسية أسعار المواد الاولية وتقلباتها السريعة فى السوق الدولية والاحتكارات العالمية أمور معروفة للجميع .

اما رأى الثالث فهو القائل بانه لاجل تطور متزن للاقتصاد المتخلف يجب ان تعطى نفس الاهمية لميادين الاقتصاد حسب اهمية كل منها بالنسبة للتركيب الاقتصادى العام للقطر المعنى بالامر . فتطور

الصناعة لا يجب ان يستبعد تطور الزراعة بل على العكس يجب ان يكون التطور فى هذين الميدانين متصلا ومتمما احدهما للآخر . حجة هؤلاء هو انه من الخطأ الاخذ بنظر الاعتبار مجرد اهمية الثورة الصناعية بغض النظر عن الثورة الزراعية التى سبقتها والثورة فى مجال النقل التى اعقبتها وحجتهم الاخرى هو ما واجهته اوربا أثناء تصنيع اقتصادياتها من تحويل وتكييف من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية دامت فترة طويلة عانى سكانها من جراء ذلك صعوبات لم تكن فى أغلب الاحيان من السهولة حلها . وحجتهم الاخيرة هى ان كون الغالبية الساحقة لسكان الاقطار المتخلفة ذات دخولات واطئة ، وانه لاجل رفع مستوى هذه الطبقات البائسة يجب الا يهمل امر تطور الزراعة ، بل يجب العمل على رفع القوة الانتاجية لهذا النشاط الاقتصادى الذى هو اشد حيوية من غيره فى هذه الاقطار خاصة .

والحقيقة فان كل هذه الآراء - التى قد تبدو لاول وهلة متضاربة - لا تخلو من الصحة كما لا تخلو من المغالات . ولكن قبل كل شئ الا يجعل التفرقة بين ظروف كل قطر على حدة واعطائه اهمية خاصة تتفق وشروطه الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؟ ومع ذلك لو سلمنا بان معظم الاقطار المتخلفة تشترك فى صفات تكاد تجعلها فى موضع متحد ولو علمنا بان العنصر السياسى هو أهم العناصر فى تثبيت التخلف الاقتصادى ، لامكننا القول بان التطور الاقتصادى فى الميدان الزراعى لا يجب ان يكون الا عنصرا اساسيا وضروريا لاجل تطور الصناعة الذى يبقى شرطا لازما للتقدم فى مضمار الحضارة والمدنية .

الدكتور منصور الراوي

* * *

المصادر :

- 1— Productivité et Civirilation; Par: A. GIRAUD, Paris, 1953
- 2— Probleme de Productivité en U.S.S.R; Par: J. LAMBERT ' Dan: Economie et Politique; No. 18, 1955.
- 3— La Productivité du Travailleur dans la rociété socialiste; Dans: Economie et Politique, No. 9, 1955.
- 4— The Middle East; By: FISHER, London, 1956.

٥ - الدليل السنوى للإحصاء : هيئة الامم المتحدة : نيويورك ١٩٥٦

تأملات حول آراء جورج لوكاتش الفلسفية

ب : فوغاراسي

دأبت التحريفية منذ لحظة ولادتها على اتخاذ موقف المعارضة المباشرة من الماركسية في الفلسفة ؛ وعن طريق تشويه المذهب الاقتصادي والسياسي الماركسي ، حاول التحريفيون على الدوام دحض المادية الدايلكتيكية ليحلوا محلها الاتجاه السائد في الفلسفة البورجوازية في وقته . وكان على لينين ان يصف التحريفية الفلسفية قائلا : « انها تزوير حاذق للماركسية وعرض حاذق أيضا للمذاهب المعادية للماركسية تحت رداء الماركسية ، وهي الصفة المميزة للتحريفية الحديثة في الاقتصاد السياسي وفي مسائل التاكتيك وفي الفلسفة عامة سواء في نظرية المعرفة أو في علم الاجتماع » (١) .

ان التعاليم الماركسية اللينينية وحدة منسجمة ولهذا فان الآراء التحريفية المعادية لاي جانب من الماركسية - اللينينية ، سواء أكانت للمذهب الاقتصادي أو تعاليمها بشأن الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا ، تدل على انعطاف عن المادية الدايلكتيكية .

ونستطيع ان نقول ، بصورة عامة ، أن المظاهر الفلسفية والسياسية للتحريفية متشابكة ومتداخلة ، ولكن ينبغي ان نلاحظ بان التحريف في المفاهيم الماركسية الفلسفية استخدم على الدوام لدعم آراء التحريفية

(١) لينين (المادية والنقد التجريبي) .

السياسية . فالفلسفة ، ايا كانت ، هي بطبيعتها منحازة ؛ ذلك لان
الايدولوجية تنبع دائما من علاقات اجتماعية أى علاقات طبقية معينة .
وهي مرتبطة ، ان لم تكن مباشرة فبصورة غير مباشرة ، بالنضال الطبقي
واخيرا بالسياسة . ونحن عندما نتحدث عن الاثر الذى تتركه النظرة
السياسية على الفلاسفة وعلى آرائهم الفلسفية فلسنا نريد باى حال من
الاحوال ان نقلل من خطر الدور الذى تلعبه التحريفية الفلسفية فى
السياسة . ان الارتباط الوثيق بين النظريات الفلسفية والنضال الطبقي
المعاصر ينبغى ألا يغرب عن اذهاننا عند تحليلنا لادعاءات التحريفيين
الفلسفية .

والفلسفة ، بالاضافة الى انها تعكس مصالح طبقات معينة ، فهي مصممة
من أجل ان تخدم الطبقات التى ولدتها وهى ، باعتبارها نظرة عامة للعالم
وطريقة فى البحث ، كانت على الدوام سلاحا لا فى المناقشات العلمية
الصرفة حسب بل فى الكفاح السياسى الذى شنته الطبقات أيضا .

ومن العناصر الاساسية فى التحريفية الفلسفية مبدأ التعايش بين
الايدولوجيات ونحن نستطيع ان نقول ، استناداً الى لينين ، بان التعايش
بين الانظمة السياسية والاقتصادية الاشتراكية والرأسمالية لا يتضمن
الاعتراف بالتعايش بين ايدولوجيات هذين النظامين ؛ وان على الماركسيين
اللينينيين ان يحاربوا الايدولوجية البورجوازية ، والتحريفية من جهة
أخرى ، التى تلتزم جانب التعايش بين الايدولوجيات وهذا الاتجاه يجد
تعبيراً له ، بشكل خاص ، فى مؤلفات جورج لوكاتش .

ومنذ ان غدت الماركسية اللينينية الايدولوجية السائدة فى الاقطار
الاشتراكية ، حاولت التحريفية الفلسفية ان تبدو فى غالب الاحيان برداء
الفلسفة الماركسية - اللينينية مستخدمة المقررات الماركسية - اللينينية
ومحاولة ان تثبت تمسكها باللينينية عن طريق الاستشهاد بلينين لغرض
تغطية آراء التحريفية المعادية للماركسية .

والتحريفية الفلسفية تجد لها مجال التعبير فى مختلف الاشكال ؛
ففى المجر من الطبيعى ان نتناول قبل كل شىء آراء جورج لوكاتش الذى
تغطى مؤلفاته الاجتماعية والادبية مجالات الفلسفة والسياسة وعلم الجمال
والنقد الادبى . وآراء لوكاتش السياسية والايدولوجية والفلسفية
متراصة ومتشابكة فيما بينها ، ولهذا السبب ، فان اخطاءه السياسية
لا يمكن ان تعزل عن آرائه وبالعكس .

ولقد افترض الموقف العدائي للماركسية والشيوعية الذي وقفه
لوكاتش وذلك خلال ثورة الردة عام ١٩٥٦ (*) عندما وصفها بأنها « ثورة
شعبية » . وهذا الظرف يستدعى بحث مؤلفاته الفلسفية من جهة علاقتها
بآرائه السياسية .

وطبيعى ان هناك نقاطا متناقضة فى مؤلفات لوكاتش الا ان آراءه
الفلسفية ، بصورة عامة ، لم تكن فى يوم من الايام آراء ماركسية . وهو
لم يتخذ موقف الطبقة العاملة الثابت ، سواء فى السياسة أم فى الفلسفة ،
وكان يتذبذب فى النظرية والتطبيق على السواء مع ميل الى الوقوع فى الفكر
البورجوازي الليبرالى . صحيح أنه فى بعض الاوقات بدا وكأنه يقترب
من الماركسية - اللينينية الا انه ابتعد عنها منذ زمن طويل سواء اكان ذلك
فى السياسة أم فى الفلسفة وانضم الى التحريفين . ولوكاتش يتقبل
المادية الدايلكتيكية فى المبدأ فقط اما فى التطبيق فانه يدفع بالمادية الى
الخطوط الخلفية تقريبا . اما دور المبادئ الفلسفية الماركسية الصميمة
فشأنه قليل فى مؤلفاته فى الوقت الذى ينبغى ان يكون الموقف الثابت
تجاه هذه القضايا من اولى واجبات الفيلسوف الماركسى ومن هنا يستتبع
بان الافلاس السياسى الذى اعلنه عام ١٩٥٦ ، لم يكن نتيجة خطأ عارض
بل ثمرة نشاطه العملى والاجتماعى والسياسى السابق برمته .

* * *

لقد عمل لوكاتش على الخط من قدره كشخصية سياسية وذلك فى
ثورة الردة وفيما بعدها ؛ فالجانب السياسى من المسألة اذن واضح تماما .
ولكن على أى ضوء نستطيع ان نثمن مؤلفاته فى الفلسفة وعلم الجمال
وتاريخ الادب ؟ هذه المسألة أبعد ما تكون عن الوضوح بالنسبة للجميع .
يميل الكثيرون الى رسم خط فاصل بين دور لوكاتش السياسى وآراءه
الفلسفية ، ويميلون الى ان يجدوا فى مؤلفاته الفلسفية تطبيقا جيدا
للماركسية فى الوقت الذى يشجبون فيه موقفه السياسى . وهذا خطأ
عميق . وسنحاول هنا ان نزن فلسفته دون ان نبين رأينا فى مؤلفاته
فى التاريخ ونظرية الادب والنقد الادبى . وسنبدا بالمؤلفات الفلسفية
الكبرى التى نشرها فى السنوات العشرين الاخيرة :

(*) الثورة المعاكسة التى قامت بها العناصر الرجعية فى المجر خريف عام ١٩٥٦
بمساعدة فعالة من الاستعماريين الامريكان . - المجلة -

- ١ - هيكل الناشئ ومشكلة المجتمع الرأسمالى . كتبت بين سنتي ١٩٣٤ - ١٩٤٢ ونشر في زورينخ عام ١٩٤٨ .
- ٢ - أزمة الفلسفة البورجوازية - مجموعة مقالات ومحاضرات ، بودابست عام ١٩٤٨ .
- ٣ - تدمير العقل نشر في برلين عام ١٩٥٤ وتحت عنوان « اسقاط العقل عن عرشه » في بودابست عام ١٩٥٢ .

والكتاب الاول عبارة عن سرد تاريخي ماركسى Monograph وقد لاقى في حينه ثناءً من نقاد ادعوا انهم ماركسيون . وفي الوقت الذى نسارع فيه الى اعلان صحة بعض خصائصه الايجابية ، فاننا لا نستطيع ان نتفق مع التثمين غير النقدي الذى تلقاه به بعض النقاد . والكتاب ، الى جانب ذلك ، يحوى عددا من الاخطاء المفجعة التى لا يمكن لناقد ماركسى ان يتجاهلها . وجوهر هذه الاخطاء هو ان لوكاتش يبالغ في رسم صورة مثالية لآراء هيكل الناشئ . وبالرغم من ان ذلك يصدق على ان روح التحفظ في آراء هيكل في بداية نشوئه كانت أقل مما هي في مؤلفاته الاخيرة الا ان الامر الذى لا جدال فيه هو ان الاتجاهات المحافظة تجرى خلال فلسفته في جميع مراحلها . ونحن نعرف ان هيكل كان فيلسوفا مثاليا وهو أمر لا يناقش فيه لوكاتش الا انه لا يعطيه الا اهمية قليلة .

ويرى هيكل ، كما يعلمنا لوكاتش ، بان « الانسان يصبح انسانا بفضل عمله » ولكن الذى يفوتنا هنا هو ان هيكل يقصر العمل جميعا على العمل الروحي المجرد . ويقول هيكل « بان الانسان يكتسب أثناء عمله معرفة أعمق لقوانين الطبيعة ويرغم الطبيعة على ان تعمل من أجله » . وهنا أيضا يتغاضى لوكاتش عن مفهوم هيكل المثالى الصنف عن عملية المعرفة كتطور لفكرة المطلق . وفي الوقت الذى يعرض فيه لوكاتش آراء هيكل لا ينى يقتبس من ماركس ، لغرض واحد ، وهو تقريب المثالية الهيكلية من الماركسية بدلا من توضيح الموقف الدايكتيكي المادى تجاه هذه الآراء على اساس من النقد الماركسى ؛ ولوكاتش لا يحاول على الاقل القيام بهذا العمل بالرغم من ان دراسة الآراء الفلسفية لهيكل الناشئ لا تحقق - في رأينا - أية نتيجة اذا لم تسهم في تفسير وتقدير نظام هيكل الفلسفى . ومن المهم التأكيد على هذا لان التفسيرات الخاطئة - سواء أكانت مقصودة أم غير مقصودة - للعلاقة بين الماركسية والهيكلية كانت أرضا صالحة لازدهار المفاهيم المعادية للماركسية .

والهيجلية عند لوكاتش هي فلسفة الثورة الفرنسية وهو يعطى أهمية بالغة لهذا في مؤلفات هيجل الناشئة . ومما لا جدال فيه ان الثورة الفرنسية تركت آثارها على الفلسفة الالمانية الكلاسيكية والادب الالماني الكلاسيكي . الا ان هذا التأثير كان أكثر تعقيدا وتناقضا مما يبدو في كتاب لوكاتش . ومن الممكن القول بان هيجل اظهر تأييده للثورة الفرنسية الى الحد الذي قضت فيه على الاقطاع ، الا ان موقفه تجاهها كان سلبيا أيضا باعتبارها اداة تستخدم للاطاحة بالنظام البورجوازي الذي كان يأخذ شكله في بروسيا آنذاك ، ذلك النظام الذي دعمه هيجل من كل قلبه .

وبالرغم من ان الكتاب مكرس لهيجل الناشئة الا انه كان على الكاتب ان يظهر تناقضات فلسفة هيجل وهذا ما لم يفعله لوكاتش . فقد بحث احد جوانب هيجل بالتفصيل متغاضيا عن الجانب الرجعي منه . ومما لا يغتفر لاي كاتب سرد تاريخي ، يدعى التقييم الماركسي لهيجل ، ان يكون متيما بهيجل الناشئة الى درجة ينسى معها هيجل الذي كتب « فلسفة القانون » و « فلسفة الدين » الكتابين اللذين يعرضان آراء هيجل الرجعية على اتم صورة . فبحث لوكاتش عن هيجل هو من جانب واحد ومشوه .

اما النقاط الاخرى في الكتاب والتي تستحق النقد فلن نتوقف عندها ونعتقد انه من الضروري التأكيد فقط بان رسم هذه الصورة المثالية لهيجل والاسلوب غير النقدي في معالجة فلسفته وهي نقيسة قديمة عند لوكاتش واحدى النقائص التي عبت الطريق الى مفاهيمه المعادية للماركسية واللينينية فيما بعد .

لننتقل الآن الى المؤلفات التي نشرها لوكاتش بعد عام ١٩٤٥ ، ومن الضروري هنا ان نبحث هذه المؤلفات بتفصيل أكثر ذلك لان تحليلها سيظهر ، في رأينا ، بان لوكاتش متجه نحو التحريفية الاصلية وان موقفه عام ١٩٥٦ لم يكن امرا طارئا أو عارضا بل كان نتيجة حتمية لآرائه السابقة .

نشر لوكاتش عام ١٩٤٨ مجموعة من المقالات والمحاضرات تحت عنوان « أزمة الفلسفة البورجوازية(*) » والازمة عند لوكاتش هي ان الفلسفة الاستعمارية تحاول ان تقوض قدم العقل ، أو كما عبر عنه

(*) ترجم الاستاذ ابراهيم كبه هذا الكتاب الى العربية عام ١٩٥٤ . - المجلة -

لوكاتش ، ان تسقطه من عرشه . وهذا الاسقاط للعقل من عرشه يؤلف في رأي لوكاتش أساس الايديولوجية الفاشية . وهو يرى بان الفلسفة البورجوازية هي الآن في طريقها الى ان تصبح فلسفة لا عقلانية وان هذه الاخيرة هي تعبير الايديولوجية الفاشية الخاص .

ان المقارنة التي يقصدها لوكاتش بين اللاعقلانية والعقل خاطئة ؛ ذلك لانها ستهمل تناقضا أكثر أهمية وجوهرية وهو التناقض بين المادية والمثالية والصراع بين الطرفين الرئيسيين في الفلسفة . وهذا بطبيعة الحال لا يعنى التقليل من أهمية الدور السلبي الذي تلعبه اللاعقلانية في الفلسفة الحديثة أو عدم ادراكنا ضرورة مقاومتها . ولكن المهم هنا هو التأكيد على ان اطارها المثالي لا يمكن ان يكون المسألة الأساسية في الفلسفة كما يقترح ذلك لوكاتش . ان التناقض الايديولوجي الاساسي في عصرنا هذا هو بين النظرة العلمية للعالم أى المادية الديالكتيكية وبين النظرة غير العلمية للعالم - أى المثالية بجميع اشكالها . ولوكاتش لا يعير أى انتباه لهذا الخط الفاصل بين الطرفين في الفلسفة . ويبدو تشويه لوكاتش عند عرضه للاعقلانية والتي يشخصها بانها ضد الديالكتيك ، ويغض الطرف عن الطبيعة المثالية للاعقلانية . وعندما يعقد مقارنة بين العقل واللاعقلانية فانه يفهم من « العقل » الطريقة الديالكتيكية . الا انه ينسى بان الطريقة الديالكتيكية لا تقوم على المثالية كما كانت الحال مع هيغل بل على المادية الفلسفية كما هو الامر عند ماركس . وهكذا تختفى الاسس المثالية للاعقلانية في مؤلفات لوكاتش وليس ثمة تمييز بين الديالكتيك المثالي والمادى . وهو يضع بصورة عامة طرق المعرفة مهما كانت اسسها المثالية أو المادية باعتبارها المسألة الأساسية في الفلسفة والتي هي في الحقيقة سبق المادة للفكر . وينظر الى تاريخ الفلسفة باعتباره صراعا بين الطريقة الديالكتيكية والطريقة الميتافيزيقية في الوقت الذي يقصر فيه الصراع بين المادية والمثالية - أى جوهر الفلسفة - على ذيول غير مهمة للخلاف بين طرق المعرفة .

وبسبب رأى لوكاتش الخاطيء في اللاعقلانية ودورها فان تحليله للفلسفة البورجوازية الحديثة جاء تحليلا خاطئا في جوانب شتى . فهو يغض النظر عن الحقيقة المعروفة وهي ان الفلسفة الرجعية الحديثة لا تتميز باتجاهها المثالي فحسب بل بالمحاولات التي تبذلها لربط العقل باللاعقلانية وربط العقل بالايمان .

والكتاب لا يبحث في الفلسفة البورجوازية حسب ؛ ففي تقريره عن « النظرية الارستقراطية والنظرية الديمقراطية للعالم » الذي قدمه الى المؤتمر الاول للفلسفة في جنيف عام ١٩٤٦ ، عرض لوكاتش آراءه فيما يخص التعايش الايديولوجي ، وهو يرى بان مشكلة التطور في اوربا اليوم ليست في التناقض بين البورجوازية والبروليتاريا وبين الرأسمالية والاشتراكية بل بين الرجعية والارستقراطية من جهة وبين اوربا الديمقراطية من جهة أخرى . والهدف الاساسي كما يراه هو التجديد والاستمرار في التحالف الحربي بين الاقطار المعادية للفاشية والذي يفهم منه تحالفا على الصعيد الايديولوجي . « ان المضمون الايديولوجي للقتال عام ١٩٤١ ينبغي ان يجدد » ويقول أيضا « من الضروري استعادة التحالف بين الاشتراكية والديمقراطية البورجوازية وان هذا التحالف هو المعنى الضمني لايديولوجية عام ١٩٤١ » .

ولا يكفي لوكاتش بهذا بل يزعم ان الديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية البورجوازية سيتلاقيان كلما تطورا . وبهذا يساوي بين الديمقراطيةين . والاتجاه واضح من قوله « انه من الخطأ المدمر ان نتحدث عن مفترق الطرق بين الديمقراطية الغربية والشرقية والمسألة الحقه هي التعالي عن الحيرة المزيفة لفترة قبل الحرب » . ولوكاتش التزم آراء مماثلة في وقت كانت الديمقراطيات الشعبية فيه تتخذ الطريق الاشتراكي وكانت الديمقراطيات الغربية سائرة في الوقوع تحت نفوذ الاستعمار الامريكي ومتخذة طريق « الحرب الباردة » ضد الدول الاشتراكية .

وهذه الحجج خاطئة خطأ جذريا ؛ فالهدف بالنسبة للوكاتش هو الكفاح من أجل الديمقراطية ، الديمقراطية البورجوازية ، وهو يعزل هذا الكفاح بل وحتى يضعه في وجه النضال من أجل الاشتراكية .

ان الكفاح من أجل الديمقراطية كان دوما اولى واجبات كل شيوعي الا ان ذلك لم يعن ابدا التوقف في « ملتقى الطرق » أي التخلي عن النضال من أجل الاشتراكية . بل العكس فان ما يستتبع من هذا هو حاجة الشيوعيين الى ربط كفاحهم من أجل الديمقراطية مع نضالهم من أجل الاشتراكية . والشيوعيون بالتأكيد يكافحون من أجل الديمقراطية ومن أجل السلم لانه يتجاوب مع مصالح الجماهير الحيوية ولانه يسهم في الوقت ذاته في النضال من أجل الاشتراكية .

ان عبارة لوكاتش « التحالف بين الاشتراكية والديمقراطية » يخفى التعارض الاساسى القائم بين الديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية البورجوازية . والهدف هو تعضيد فكرة التحريفية الاصيلية عن « التعايش الايديولوجى » .

ولقد فهم القراء بادىء الامر الغموض الذى يكتنف هذه القوانين على أساس ان لوكاتش استخدم « لغة الطبقة العليا » لاغراض التاكيد عندما تحدث الى المثقفين البورجوازيين . وجاء عام ١٩٥٦ فكشف بان من منهاج التعايش الايديولوجى بين البورجوازية والاشتراكية رسم لوكاتش استنتاجاته فيما يخص نشاطه السياسى فوجد نفسه أخيرا فى معسكر التحريفين السياسيين الغلاة .

وهنا ارتباط وثيق مع مفهوم لوكاتش فى ان التناقضات الاجتماعية الاساسية ليست بين الرأسمالية والاشتراكية (وهى التناقضات الايديولوجية الاساسية فى عصرنا) بل بين الفاشية وأعداء الفاشية ؛ وبكلمة واحدة يشطب لوكاتش على الخلاف الرئيسى بين الايديولوجيتين الاشتراكية والبورجوازية ويحاول ، نظريا ، ان يدلل على « تعايش سلمى » لا يمكن ان يقوم بينهما الا فى الخيال .

ولتجنب أى سوء فهم ينبغى التأكيد باننا لا ننتقد لوكاش لوضعه ضد الفاشية ووقوفه بوجهها أو دعوته الى النضال ضد الفاشية ، فان ذلك ليس هدفنا من النقد (أليس الشيوعيون أشد المنافحين ضد الفاشية ؟) ؛ بل هدفنا هو مفهوم لوكاتش الخاطىء عن النضال ضد الفاشية .

وخطأ لوكاتش الرئيسى هو أنه يستعيز عن التناقض بين الرأسمالية والاشتراكية بالتناقض بين الفاشية وضد الفاشية وفشله فى ادراك التضاد الطبقي داخل الحركة المعادية للفاشية ذاتها . وهذا ثابت ، الى درجة كبيرة أو قليلة ، حول ما ذكرنا أعلاه من « تحالف عام ١٩٤٥ » وبصورة أوضح من تصريحاته الاخيرة . فهو مثلا فى تقريره المعنون « الصراع بين التقدم والرجعية فى الحضارة الحديثة » - حزيران ١٩٥٦ - ينتهى الى الفكرة القائلة بان ستراتيجية الاحزاب الشيوعية لم تكن بعد وفاة لينين تتحدد بالتناقض بين الرأسمالية والاشتراكية بل بالتناقض بين الفاشية وضد الفاشية . وهذا الرأى الخاطىء وجد تعبيرا له فى « ملحق الترجمة الذاتية » الذى نشره فى اليابان واعادت نشره الصحف الفرنسية

والايطالية واليوغسلافية » ان النهاية الظاهرة للحرب بدلت الموقف جذريا . . . ويبدو لي ان الفترة الجديدة قد ولدت ، كما كانت الحال أثناء الحرب ، امكانية خلق تحالف بين كل القوى الديمقراطية والاشتراكية والديمقراطية الرأسمالية في صراعها ضد الرجعية » .

وهكذا يرى لوكاتش بان الاستراتيجية الشيوعية تتحدد في وقت لا بالتناقض بين الرأسمالية والاشتراكية بل بين الفاشية وضد الفاشية . والحركة المعادية للفاشية ، في رأيه ، تفقد ميزتها الطبقية وتتطور الى « نضال ديمقراطى شامل » يحتضن حتى « القوى الرأسمالية » ويختفى موقف الصراع الطبقي تماما . ولوكاتش يتجاهل الحقيقة بان الرجعية البورجوازية تبدو اليوم لا على شكل الفاشية العارية فحسب بل على شكل الديمقراطية البورجوازية . وأن النضال ضد جميع أشكال الدكتاتورية الرجعية للرأسمال الاحتكارى لا يقتصر على معاداة الفاشية المجردة على الصعيد الايديولوجى بل يتطلب عملا علنياً مشتركاً من قبل جميع القوى الديمقراطية الاصيلية . وان الدور القيادى للطبقة العاملة هو ضمان نجاح حركة ضد الفاشية وتصبح عبارة « من أجل السلم ومعاداة الفاشية » هذه عبارة مجردة ان لم تدخل هذه النقاط فى حسابنا .

* * *

ويذهب لوكاتش الى ابعد من هذا فى البحث عن تبرير فلسفى للآراء التى هى فى اساسها تحريفية وهو هدف كتاب « تدمير العقل » الذى اشرنا اليه أعلاه . والكتاب فى الشكل عبارة عن سرد فلسفى ابتداء من شلنغ حتى يومنا هذا . اما هدفه الحقيقى فهو تبين الارضية الفلسفية لفاشية هتلر وتهيئة منهاج ايديولوجى سياسى محدد لانصار « السلم والتقدم » وتعريف مهامهم السياسية .

ان الجزء التاريخى من الكتاب غني جدا ولكن ذلك لا يزكى الاسس الفارغة لمفهومه الاصلى . ففي مقدمة الكتاب نقرأ ما يلى : « ان الموقف مع أو ضد العقل يحدد فى الوقت ذاته الجوهر الفلسفى للفلسفة ودورها فى التطور الاجتماعى » ، (الطبعة الهنغارية) . وتطويرا لهذه الفكرة يقصر لوكاتش مسألة الانضواء الى المسألة التالية : هل الفيلسوف هو مع العقل أو ضده ؟

وموضوع الكتاب بالنسبة للمؤلف هو تطور الفلسفة الالمانية من

شلنغ الى ما بعده . وهو يرى ان اللاعقلانية الجرمانية وصلت نهايتها المنطقية عند هتلر .

وينبغي علينا ، ونحن ننقد هذا الكتاب ، ان نقول بانه يعيد الاخطاء الفلسفية والسياسية ذاتها ، التي ذكرناها عند تحليلنا لكتاب ازمة الفلسفة البورجوازية . ففي هذا الكتاب أيضا يطرح لوكاتش برامج مصطنعة ومفاهيم مجردة ، بدلا من تقفى آثار الروابط الحقيقية ، فيضيف تناقضا على تناقض . وجملة ما نستخلصه هو ان مستقبل البشرية مرهون بمصير اللاعقلانية . فلوكاتش يستعرض الدور الاجتماعى ومسألة الانضواء فى الفلسفة من وجهة نظر كون الفيلسوف مع أو ضد العقل فقط . اما المضمون الطبقي للفلسفة فلا يهمله كون الفيلسوف مع أو ضد العقل . وهذا التضاد لا يمكن ان نفهمه على حقيقته الا عند وضع الصراع بين المادية والمثالية فى موضعه الحقيقى . ولوكاتش فى بعض الاحيان يدخل ذلك فى حسابه الا انه لا يعطى لها اهمية حاسمة . ونتيجة لهذا العرض التجريدى لمسألة « العقل » أو « اللاعقل » تبقى مقولة العقل معلقة فى الهواء وتصبح عاملا مساعدا للتعايش الايديولوجى .

ومن هذا الكتاب أيضا يخصص لوكاتش أهمية متزايدة للدور الفلسفى الذى تلعبه اللاعقلانية من الايديولوجية الفاشية . ان اللاعقلانية هى احد عناصر الايديولوجية الفاشية ولكن القول بانها العنصر الحاسم فيها هو تفسير للفاشية لا طائل منه . ان الرسمية وسياسة السيطرة على العالم المشبوهة - وليست اللاعقلانية - هى التى تخدم أهداف العدوان الاستعماري والنظريات الفاشية الاخرى التى لعبت الدور الرئيسى فى الدعاية لفاشية هتلر بين الجماهير .

وينبغي ، فى الوقت ذاته ، التأكيد على انه بالرغم من كون اللاعقلانية اتجاها رجعيا اكيدا فانها لا تؤدى بالضرورة الى فاشية هتلر أو الى الفاشية بصورة عامة . فاللاعقلانية الظاهرانية عند « هسرل » كان لها تأثير أكبر بين الفلاسفة البورجوازيين غير الفاشيين ، منه على الفلاسفة فى ألمانيا الفاشية . وكذلك الامر فى الاتجاه اللاعقلانى فى الوجودية والاتجاهات الفلسفية المثالية الاخرى التى تتميز بصفاتها اللاعقلانية . فهى لا تؤدى بالضرورة الى الفاشية . فسارتر لا يمكن ان يوصف بداعية فاشية بالرغم من انه - الى الحد الذى نعرفه - لم يشجّب الوجودية لحد الآن .

وهكذا نرى بان خط سير تفكير لوكاتش مضلل ، سواء فى دحض
الفاشية ايدولوجيا أو فى معارضة الفلسفة اللاعقلانية بصورة عامة .
وهو - اى خط التفكير هذا - يعرقل أية معالجة متميزة أو نقد للاتجاه
اللاعقلانى . وعلى الرغم من ان اللاعقلانية اتجه رجعى غير اننا لا نستطيع
ان نقول ان كل لاعقلانية تقود الى الفاشية .

ان انهيار وسقوط الهتلرية يشخصان بتدمير اللاعقلانية « لما كانت
الهزيمة السياسية والعسكرية قد انزلت بهتلر لا بسبب أخطاء منفصلة
وعارضة بل بسبب جوهر نظام حكمه ، وهكذا الامر مع اللاعقلانية
باعتبارها ايدولوجية وجدت شكلها فى الهتلرية ، فقد قضى عليها
للاسباب نفسها » (صفحة ٥٨٧) . وهكذا يتوصل لوكاتش الى
الاستنتاج الخاطىء بان اللاعقلانية زالت نتيجة انهيار هتلر . وهى
النتيجة المنطقية للتقدير الخاطىء للعلاقة بين اللاعقلانية والفاشية .

والحقيقة ان اللاعقلانية كفلسفة رجعية تدعى العلم قد افترضت
من قبل الماركسية بزمان سبق سقوط الهتلرية بمراحل . وتدلنا الخبرة
انه بالرغم من الهزيمة التى الحقت بالفاشية فان البورجوازية لا تزال
تستخدم اللاعقلانية ضد الماركسية والاشتراكية . وما دام النظام
الرأسمالى قائما ، فى بعض أنحاء العالم على الاقل ، فان البورجوازية
ستظل توجه اللاعقلانية ضد الماركسية والمادية الدايلكتيكية . وليس
من الصعب ان ندرك انه حينما يحاول لوكاتش ان يفسر الهتلرية بواسطة
اللاعقلانية فانه يقلب المسألة رأسا على عقب . صحيح ان اللاعقلانية كانت
سلاح الايدولوجية فى السياسة الفاشية الا انها لم تكن السلاح الوحيد
البتة . والانتفاع من هذا السلاح ينبغى ان يفسر على أساس الفاشية ،
وليس ثمة ماركسى واحد يستطيع ان يفسر الفاشية جاعلا من اللاعقلانية
نقطة انطلاقه . وهو ما فعله لوكاتش بالضبط .

وينبغى ان نلاحظ فى هذا العرض بان البورجوازية فى التطبيق
هى « عقلانية » الى أعظم درجة . وهذه الخاصية السيكلوجية لاحظها
ماركس وانكلز فى البيان الشيوعى . فقد اشارا الى ان البورجوازية
اغرقت المشاعر الدينية والحماس الفروسى والعواطف فى مياه جليدية
من التأملات الانانية . ومن الضرورى التمييز بين « العقل » البورجوازي
أى « عقل » البورجوازية الاستعمارية وبين العقل الحقيقى لتلك الطبقات
فى المجتمع ، التى تكافح ضد البورجوازية الاستعمارية ، ومن أجل التقدم

والاشتراكية ، وهذا بطبعه لا يغير من حقيقة ان البورجوازية الاستعمارية تستخدم اللاعقلانية الى أبعد حدود الاستخدام لتوسيع مصالحها .

ان التفسير الخاطئ للعلاقة بين الفاشية واللاعقلانية أمر أعظم من الوقوع فى خطأ فلسفى . فبوجه اللاعقلانية ، التى تعنى تدمير واستقاط العقل عن عرشه ، يضع لوكاتش « حكم العقل » ، وكما أعلن ما بين ١٩٤٣-١٩٤٥ بان النضال ضد العقلانية هو المسألة الاساسية فى الحركة المعادية للفاشية ، فكذلك ابرز الى المقدمة ، فى فترة ما بعد الحرب ، مسألة « الدفاع عن العقل » باعتبارها المهمة الايديولوجية والسياسية . وهكذا يستعيز مرة أخرى عن المادية بالمثالية . ان هذه الاستنتاجات المثالية سواء أكانت فى النظرية أو فى التطبيق هى الحصيلة المنطقية لمفهومه الفلسفى عن « تدمير العقل » ؛ يقول لوكاتش بان حركة السلم لها مهمات عملية أخرى الا انه فى نهاية الكتاب يقصر الدفاع عن السلم على الدفاع عن العقل فانتصار العقل على الارض « والدفاع عن السلم » هما فى رأيه أمران متلازمان . وبالنتيجة فانه يوازى بين « الدفاع عن العقل » مع « الدفاع عن السلم » . فمهمة حركة السلم فى رأيه هو حشد المثقفين باسم العقل ضد اللاعقلانية التى هى ، كما يعتقد ، أساس النظرة العامة للفاشية والعدوان الاستعماري .

ان طرح المسألة وهذا المنهاج بهذا الشكل يقلب رأسا على عقب العلاقة القائمة بين الكينونة والوعى وبين القاعدة والبناء الفوقى . فهو يقول « ان وجود حركة السلم ذاته له دلالة تاريخية بالنسبة للتفكير البشرى وهى الدفاع عن العقل من قبل حركة جماهيرية » (صفحة ٦٦٩) . وبذلك يجعل من العقل اسطورة .

ان النظرية ، كما يرى ماركس ، تصبح قوة مادية حال وصولها الى الجماهير ، ولكن ماركس كان يعنى « النظرية » وليس « العقل » بصورة عامة . وكان يعنى النظرية الاشتراكية العلمية وليس النظرية بشكلها المهمل الذى تبدو فيه فى مؤلفات لوكاتش . ان اندحار اللاعقلانية باعتبارها ايدولوجية مضادة للعلم يدل على انتصار المادية الديالكتيكية والنظرية الماركسية - اللينينية .

وعندما يخفى لوكاتش الاهداف الحقيقية لحركة السلم فانه بذلك يجعلها اسطورة ؛ فهو يعلن انها « ثورة الجماهير ضد البله » الا انه لا يذكر شيئا عن السلم الذى يهم مصالح وأهداف وعواطف الاكثرية الساحقة من الجنس البشرى وضرورة شن الكفاح من أجل السلم لا فى اطار العقل

الصرف بل فى حياة الناس أيضا • ان عبارات مثل « ثورة الجماهير من أجل العقل » وغيرها عبارات خاطئة مظلمة بالرغم من نغمتها الشاعرية ؛ فتفسير الحركة المعادية للحرب ، مثلا ، بالدفاع عن العقل تفسير فلسفى مثالى محض ، ذلك لانه يتخذ التفكير والعقل بدلا من الحركة العملية الحقيقة نقطة انطلاق له • وهو نوع من الهيكلية التى تنتهى الى ان العلاقات الحقيقة تقلب رأسا على عقب ويصبح العقل القوة الدافعة الرئيسية فى التاريخ • ان مقولة العقل ، كما يستخدمها لوكاتش ، تذكرنا كل التذكير بمثابة هيكل سواء فى الشكل أو فى المضمون ؛ وهكذا فان مثل لوكاتش كمثال هيكل يتحدث عن « العقل الشامل » الذى يوجد فى (التطور الذاتى للمجتمع التاريخى) • وفى مكان آخر يقول « ان تقدم التطور أو تدمير العقل هو الآن من وجهة النظر العامة الفترة الرئيسية للصراع بين التقدم والرجعية » ، (ص ٧٢) • ولكن هل الوقوف مع أو ضد « العقل » يحدد فى ذاته الانضواء تحت القوى التقدمية أو الرجعية كما يفترض لوكاتش ؟ ألم يقاوم ماركس آراء مماثلة عندما انتقد هيكل فى ملحق كتاب رأس المال لتحويله عملية التفكير أو « العقل » الى شىء مستقل بينما هو فى الواقع « ان المثال ليس أكثر من العالم المادى منعكسا فى العقل البشرى والمترجمة الى أشكال التفكير (٢) » •

ان مفهوم لوكاتش هذا يظهر مدى ابتعاده عن المبادئ الاساسية للمادية التى يدعى بها كثيرا • كما انه يظهر بان طريقته الدايكتيكية المزيفة هذه ، طريقة القوانين المصطنعة التى تحل محل الواقع ، لا ترتبط بأى رباط مع الماركسية • ولقد اشار لينين فى أيامه الى هذا الخطأ • وفى ملاحظة نقدية الى مجلة (كومينوزم) ادرك الخطأ الاساسى فى مقال لوكاتش قائلا : « ان الماركسية اللفظية الصرفة ، والخلاف بين « المدعى » و « المدعى عليه » مصطنع وليس ثمة من تحليل شخصى للمواقف التاريخية المحدودة بوضوح » (٣) • ان هذه الكلمات تلقى ضوءاً على طريقة البحث الخاطئة التى يتصف بها لوكاتش •

وبحجة التمسك بالعقل يقدم لنا لوكاتش فى كتابه « تدمير العقل » وبالتفصيل مفهوم « التعايش الايديولوجى » التى لخصها فى كتابه السابق « ازمة الفلسفة البورجوازية » مطورا الآراء التى ضمنها تقريره « النضال بين التقدم والرجعية فى الحضارة الحديثة » (حزيران

(٢) ماركس (رأس المال) •

(٣) لينين (المؤلفات) •

(١٩٥٦) ؛ وفي تشرين الاول عام ١٩٥٦ وضع لوكاتش منهاجا عن العمل السياسي معاديا للاشتراكية والذي أدى به الى التحالف مع التجريفيين الخونة .

ولقد اعتقد الكثيرون ، كما اسلفنا القول ، بان خطأ لوكاتش السياسي عام ١٩٥١ لم تكن له علاقة بفلسفته وعند مناقشة ذلك ينبغي عدم التطرق الى موقفه المعادي للثورة .

ونرى بان هذا الفصل بين الفلسفة والسياسة عبث لا طائل من ورائه ، وبالاخص عندما تكون القصة متعلقة بمؤلف ربط على الدوام آراءه الفلسفية بالمشاكل السياسية والذي توصل في مؤلفاته الفلسفية الى نتائج سياسية بعيدة المدى تتصف بصفة تحريفية واضحة . اما المؤلفات التي نشرها لوكاتش منذ تشرين الاول عام ١٩٥٦ فهي تؤكد هذا الرأي . لناخذ مثلا كتابه « ضد الواقعية التي اسىء فهمها » هامبورغ ١٩٥٨ - فهو يرينا بان لوكاتش لا زال متمسكا بآرائه التحريفية في علم الجمال والادب والسياسة الدولية .

وفي هذا الكتاب مقالات التراجم الذاتية التي نشرها بين عامي ٩٥٧ - ٩٥٨ في الصحف الرأسمالية نشعر بمذاق رديء للحجج التي يستخدمها لتبرير موقفه خلال الفترة التي يصفها « بالستالينية » عندما لم يكن ، كما يدعى ، قادرا على عرض آرائه بصراحة بل تحت قناع من المقتبسات من ستالين . فهو يقول في ملحق الترجمة الذاتية : « كنت سابقا اخضع بارادتي آرائي كلها الى متطلبات الموقف وهو السبب الذي بدأت بشن حرب عصابات من أجل آرائي العلمية . ولقد جعلت نشر كتيبي ميسورا لانني ملأتها بمقتبسات من ستالين . . الخ معبرا عن موقعي المضاد الى أقصى ما يمكن من الحذر آنذاك » . (فرانس اوبزارفاتور ٢٥ أيلول ١٩٥٨) .

وبهذه الاعترافات يريد لوكاتش ان يشهد امام جمهور معين بان آراءه التحريفية هي ليست ثمرة الوقت الحاضر حسب ؛ وهو الموضوع الذي يفتخر به فيلسوف يدعى الماركسية . ان هذا يظهر بالتأكيد مدى ترديه في التحريفية ومقدار تكييفه لنفسه لحجج الدوائر البورجوازية والتحريفية في الغرب . والتحريفية ، كما ترينا الامثلة المتعددة ، هي الطريق الى معسكر أعداء الطبقة العاملة .

ترجمة : نجم الدين بزركان

• من اتحاد الادباء العراقيين •

وظيفة الادب السوفياتي في البناء الشيوعي *

أ.أ.أ. سر كوف

- القسم الاول -

وصف أ.أ. سر كوف في مقدمة تقريره جو العمل الهائل والحماسة الخلاقة التي انبعثت في البلاد بعد المؤتمر الحادى والعشرين للحزب الشيوعى ، وقال :

انه لسرور خلاق سام لنا جميعا ، ان نلاحظ كل ما هو جديد وما هو متطور ينبعث بين شعبنا يوميا وبالساعات ، وان ندرسي ونصور ذلك الجديد بكل ما لدينا من طاقة وبأسلوب فنى رفيع ، لنساعد فى تأسيسه وتثبيته ونشره . انه لسرور لنا ان نكون مكتشفين ومبشرين وهادين لهذا الانسان الجديد مسترشدين بحلم الشيوعية ومستوحين ماثر الحزب الجبارة ...

... سنجد ، ونحن أقوياء بمساعدة الحزب ، فيما سيعترض من مناقشاتنا الواسعة فى مؤتمرا هذا ، أوثق وأقصر الطرق لابداع المؤلفات الفنية العالية التى ستساعد الحزب ، بصورة فعالة ، فى تثقيف الطبقة العاملة بالثقافة الشيوعية .

... لقد سبق انعقاد المؤتمر الثالث للكتاب السوفيات انعقاد خمسة عشر مؤتمرا لكتاب الآداب الشقيقة فى الاتحاد السوفياتى ، وكان من بينها المؤتمر الدائم لكتاب جمهورية روسيا الاتحادية ، الذى افتتح مرحلة جديدة فى تطور الآداب الشقيقة ... لقد أصبحت مؤتمرات

(١) التقرير الذى القاه سر كوف فى مؤتمر الكتاب السوفيات الثالث الذى انعقد فى موسكو مؤخرا .

الكتاب ، كما كانت دائما ، استعراضا لاستعدادنا للقيام بواجب الادب
فى فترة بناء الشيوعية .

وللحصول على فكرة واضحة عن مقدار نمو ادبنا ، ينبغي ان نلاحظ
بانه قد ازداد فى فترة ما بين المؤتمرين عدد العناوين التى نشرت فى
بلادنا بأكثر من ٥٠٪ ، وبأن مجمل عدد طبعاتها قد ازداد بمعدل ٧٥٪ .
ان انتاج الكتب لدى كتّاب القوميات الشقيقة قد ارتفع بصورة خاصة .
كما احتل كتاب جدد محلهم بين ما نشر من كتب جديدة فى الاربع سنوات
الماضية ...

لقد انعطف أدبنا ، فى فترة ما بين المؤتمرين ، نحو الموضوع المعاصر
ولو ان ذلك لم يحدث بصورة سريعة الا انه كان انعطافا ثابتا . كما جلب
انتباه الكتاب المواضيع التاريخية والتاريخية الثورية ...

... ان انتقاد الحزب لعبادة الشخصية الذى حرك فينا احاسيس
متنوعة ، قد حظي بقبول الكتاب التام ، ومع ذلك فهناك أيضا أمثلة
فى الآداب الشقيقة على وجود التفسير الخاطىء لاسباب نقائص واخطاء
فترة عبادة الشخصية .

ان الكتاب ، الذين استكانوا لتأثير الحالات الانحرافية ، حاولوا ان
يصورا الحقيقة السوفياتية تحت أضواء مشوهة ، متجاهلين الدور القيادى
للحزب الشيوعى والانتصارات التاريخية التى حصل عليها الشعب تحت
قيادته .

لقد كان الكفاح ضد الظواهر الانحرافية فى الادب والفن كفاحا
ايدولوجيا ضد محاولات الخضوع للايدولوجية البورجوازية ، والاتجاه
بالادب فى الطريق الضال متنكبا خط سير تطوره الرئيسى ؛ لقد كان
كفاحا فى سبيل النظرة اللينينية فى الادب ، تلك النظرة التى هى أعلى
تعبير عن رغبات الشعب . لقد وجدت تلك الانحرافات فى بعض المؤلفات
النثرية والشعرية وفى بعض المسرحيات التى نشرت حينذاك .

لقد تميز الاجتماع الكامل لاتحاد الكتاب السوفيات بالكفاح
الايدولوجى ضد الميول الانحرافية . فقد اختبر الكتاب قوتهم
الايدولوجية ، فظهروا نتيجة الاختبار ، انضج ايدولوجية وأكثر التصاقا
بالحزب وبلجنته المركزية .

اسمحوا لى ، بالنيابة عن أعضاء المؤتمر الثالث وعن جميع الكتاب

السوفييات ، أن اشكر بحرارة الحزب الشيوعى ، ولجنته المركزية اللينينية وسكرتيرها الاول نيكيتا خروشوف ، على ما قدموا من عون ايدىولوجى لجميع المثقفين الفنانين ، ولنا نحن الكتاب ، أولا وبدرجة كبيرة ، فى الكفاح ضد الانحرافيين . (هاتف طويل) .

لقد كانت المحادثات الشهيرة بين قادة الحزب وجماعة الكتاب مدرسة جديرة بالاعتبار فى التثقيف السياسى لنا . ان الآراء والمقترحات التى اوضحها الرفيق خروشوف ، والموجودة فى وثائق الحزب « حول ارتباط الادب والفن الوثيق بحياة الشعب » ان تلك المقترحات وتلك الآراء التى تخص الاتجاه الرئيسى لتطور الادب والفن ، كانت مقترحات هامة لعمقها وقوتها ولعرضها القواعد الرئيسة لسياسة الحزب فى الادب والفن ، انها مثال حى لتطوير السياسة التى وضع اسسها لينين تطورا عمليا .

لدينا الآن جو ملائم لتدعيم قوى الكتاب بصورة واسعة ، وهذا واحد من المتطلبات الرئيسية لايجاد عمل خلاق ناجح من أجل الشيوعية . ان واجب الكتاب الرئيسى فى تسجيل انجازات الشعب العظيمة ، والعمل بنشاط على تعميم الافكار الشيوعية ، يدفعهم الى الالتفات نحو مواضيع البناء الشيوعى . ان الحاجة الى تصوير الحياة المعاصرة انما هى الآن حاجة سياسية وفنية وجامعية ...

ان الاستجابة لمواضيع الحياة اليومية الملحة لا تضيّق المجال على الفنان بل على العكس ، انها توسع فى امكانياته ، فى اختيار الموضوع ، والفن الادبى الملائم والاساليب الفنية . ان تتبع الفنان تصوير الحياة تصويرا فنيا يوسع من افقه ، كما تزداد صلته بحياة الشعب وتعمق معرفته بالحقيقة وتتكشف موهبته الى حدها الاعلى .

ان تجربة أكثر الكتاب السوفييات الموهوبين تنفي وجود التباين بين أدب النضال الزاخر بالحماسة والادب الذى يعالج ما يسمى بالموضوعات « الخالدة » .

ان القدرة على ابراز الابطال الذى يدعون عادة « بالخالدين » فى أشياء موقته انتقالية يعتمد على حدة التصور التاريخى لدى الفنان ، وعلى سعة وعمق افقه الايدىولوجى وعلى قوة موهبته ، ان « ايما بوفارى » بطل « فلوير » و « أنا رنينا » بطل « ليوتولستوى » و « اكسينيا » بطل « شولوخوف » ، شخوص تعينهم صفات « غير عابرة » فى مجال الحب .

ولكن هل ان هذه الشخصوس تعيش فى الادب خارجة عن الزمن الذى عاشت فيه وخارجة عن محيطها الاجتماعى والعقلى ؟ ان قصر بعض المؤلفات ، التى تناولت مواضيع ملتبهة وحوادث موقته ، لا يعود الى موضوعها بل الى عجزها الفنى

ان تفسير الحاجة الى الاشياء المعاصرة تفسيراً صحيحاً يرفع الادب السوفياتى الى مراق فنية وايدولوجية جديدة . ان هذه الحاجة تتطلب من الاساس ، تصويراً فنياً للاشياء البطولية فى الوقت الحاضر . فالاجابة السطحية عن الحوادث ، دون تعميم فنى عميق ودون ادراك لاهميتها التاريخية ، لا يطمأن حاجة القارىء لدينا

والارتباط الوثيق الثابت مع الشعب ، كان وسيظل ، الصفة الاساسية الواضحة لادبنا ، فقد كان دائماً الصلة بالشعب سواء آكان ذلك فى وقت الانتصار أم فى أوقات المحن . ولهذا احب الناس الادب واحترموا دعوة الكاتب .

ولكن ليس جميع الادباء يباهون بالصلة الوثقى بالشعب ليس من الضرورى ان يعطى الكاتب وصفة بكيفية حياته . ولكن يمكن القول بأن أكثرية المؤلفين يتركزون فى الدرجة الاولى فى عواصم الجمهوريات الاتحادية وفى مراكز الاقاليم الكبرى . ويضرب لنا الاكاديميون القائمون بانشاء حركة علمية جديدة فى سبيريا مثلاً حسناً عن ذلك . ولغرض ايجاد اصدق الروابط وأكثرها نفعا فيما يخص شكل ارتباط الكاتب بالحياة ، من الضرورى ان تدرس بعناية كبرى تجربة مؤلفات الكتاب الذين يعيشون فى المجالات الانشائية والمزارع التعاونية خلال فترات مشاريع السنوات الخمس ، كذلك تجاربهم الخصبة أثناء الحرب . ان أشياء مفيدة كثيرة يمكن استخلاصها من التجارب المتجمعة فى السنين الحديثة لدى الكتاب الذين حلوا بنجاح ، هم انفسهم ، قضية الصلة الوثيقة مع الشعب فى حياته .

لقد عرف ، منذ زمن طويل ، ان الانسان هو موضوع الادب . ونحن نعرف جيداً تعريف « غوركى » للادب بأنه « علم الانسان » ؛ ولكن الواقع اننا نجد فى كثير من الاعمال الادبية فى السنين الحديثة نقصاً فى تصدير الميزات الانسانية ؛ فهناك حالات عديدة يبحث فيها المؤلفون بعض المشاكل الهامة ، الا انهم لا يرسمون دائماً صورة مؤثرة للناس الذين يقومون بحل تلك المشاكل .

غالبا ما نجد فى الكتب المخصصة لازماتنا سيطرة العناصر التأملية على العناصر التصويرية ، وغلبة شرح الشخصى على عرضها فى مجرى تطورها .

ان النزاعات المنبعثة عن كيفية « بناء » بطل ايجابى ليست بذات قيمة . فطبيعى بأن البطل لا يمكن ان يكون انسانا « ببرجه العاجى » ، ومعلوم ان عبارة « البطل المثل » لا تبعث غير الارتباك وافترض صورة ايقونية روحانية . ان النظرة السلبية للحقيقة وانكار وجود « نظرية » - النزاع - كلاها يناقضان فن الواقعية الاشتراكية . وقد اوضح هذا بدقة فى وثيقة الحزب « حول ارتباط الادب والفن الوثيق بحياة الشعب » .

ان الادب ، بتأكيد على الصفات الايجابية للناس وعلى الصور الباهرة لانتصار الجديد على القديم ، يرفض ويدين بعزم ترسبات الماضى . ومن المؤسف ان يكون الفن التهكمى أقل واضعف قوة من الفنون الاخرى . ان ذبوع المجلات التهكمية فى جميع الجمهوريات الشقيقة يوضح مقدار امكانية هذا الفن الادبى فى الكفاح ضد كل ما يعرقل تقدم مجتمعنا الناجح . والعمل التهكمى الذى يستحق المنافسة هو مؤلفات الشعارين « اولينك وميخالكوف » S. Olenik و S. Mikhalkov .

لم يكن أدبنا يوما ما شعريا ، غير ان عنصر النقد فيه ، بتوافقه مع حقيقة الحياة ، يجعله ممتزجا بالجهاد الرئيسى من أجل تثبيت شعرى للجديد . وليس بغريب ان يوجه الانحرافيون ضرباتهم ، بحقد خاص ، الى فكرة « البطل الايجابى » . فان نفرا من الكتاب قد اعربوا فى السنين الاخيرة وباشكال مختلفة عن اتجاههم الساخر نحو البطل الايجابى فى الادب السوفياتى .

أجل ، ان الانسان السوفياتى ، كما هو اليوم ، بكل ما فيه من مناقب ومعائب ، من اندفاعات عقلية ومن ترسبات لم تقهر بعد ، هذا الانسان الجديد ، الذى لم يسبق له مثيل فى العالم هو مثال البطل الايجابى فى أدبنا . انه انسان بطولى لانه قد حقق المعجزات خلال أربعين عاما من العمل . لقد حطم فى بلدنا النظام الاستغلالي القديم وبنى مجتمعا جديدا ، لقد ثبت مكاسب الاشتراكية فى أعنف كفاح ضد الفاشية المسلحة من قمة الرأس حتى اخمص القدمين وهو الآن يبنى الشيوعية بنجاح .

ان خلق صورة عامة لانساننا المعاصر ذات أهمية ، فى الوقت الحاضر ، خاصة حين يكون تطور انسان المجتمعات الشيوعية قد احتل مكانه فى الحياة - وحين تكون صفاته قد تميّزت ، متمثلة فى أعضاء فرق العمل الشيوعية - وحين يكون الادب السوفياتى مدعوا بقوة لان يساعد الحزب فى تربية الانسان الجديد ، وفى توليته ومهمته الروحية والخلقية . فما اشرف واسمى المساعدة التى اناطها التاريخ بالكاتب السوفياتى فى تكوين صفات الانسان الجديد ! ..

فالكاتب ، وهو يسبح بحمد الجديد ، مبینا لحقيقة الحياة ، ويبلور بعناية ، صفات المستقبل فى انسان اليوم ، ويصور سير الكفاح ضد القديم ، الكفاح الذى يخلق الابطال الكبار الاقوياء .

وبنفس الوقت فأن أدبنا لا يبتعد عن تصوير حياة الانسان اليومية ، ويجاهد لان يأخذ انسان المستقبل شكله من مجريات الحياة اليومية الاعتيادية وفى العمل وفى العلاقات الاجتماعية والشخصية .

ليست هناك مواضيع تافهة بل هناك معالجة تافهة لها . ان موضوع الحياة اليومية ، من العائلة ومن علاقات الحب . ليس محرما ، ولم يمنع احد ما ان يكتب عن التناقضات الحاصلة فى العلاقات الانسانية فى الحياة اليومية . ان السكوت عن هذه التناقضات لا يورث غير الضرر . ومهما كان الامر فمن غير المسموح به ان تعالج القضايا اليومية فى الحياة بأسلوب النثر الفنى والملاحم والمسرحيات فى نطاق ضيق وبصورة سطحية تردها الى كونها المثلث « السيئ الصيت » حيث يظهر الاشخاص فى الخصومات الغرامية وكانهم بعيدون عن الحياة الاجتماعية وهو ما يناقض الحقيقة .

ينبغى الا يغيب عنا بأن أى تصوير للناس ولمشاهد الحياة المعاصرة فى العمل الفنى سيظل ناقصا وضيقا اذا لم يعرض الانسان فى الوسط الذى تظهر فيه ميزاته أكثر حيوية فيما لو كانت فى ظروف العلاقات الاجتماعية الجديدة .

ان ذلك الوسط هو وسط عمل الانسان السوفياتى وفعالياته . وفى اتجاه الانسان السوفياتى نحو العمل ، وفى علاقاته مع الآخرين يستطيع الكاتب ان يصور تصويرا صادقا ذلك الشئ الجديد الذى يرفع الشعب السوفياتى فوق جميع الشعوب التى تعيش فى ظروف المجتمع

الرأسمالى الاستغلالي • ان سجية انسان ما لا يمكن ان تفهم اذا درست
منعزلة عن تتبعاته •

هذا هو تماما مفتاح كثير من المشاكل الخلقية والسلوكية لزماننا ،
كما هو مفتاح للصفات المميزة لحياتنا العقلية المعاصرة •

فالمنزلة الجديدة التى يحتلها العمل فى حياة الانسان ، واتجاهه
العقلى نحو المجتمع وسروره بالحصول على ما يهتم به لحل ذلك يقرون بعاصفة
من الاحاسيس والافكار ، وبعواطف وانعكاسات تخص هو نفسه ، أى بكل
ما يسبق التقرير والعمل الحسن فى انسان مفكر ...

ان الكتب الموهوبة الرفيعة التى أصبحت « كتب الحياة المقررة »
لدى الجيل الناشئ قد وجدت لها انتشارا واسعا فى قطرنا • ومع ذلك
فلا يوجد الا القليل من مثل هذه الكتب • وبنفس الوقت فقد نشرت
كثير من الكتب التى لا تدفع المرء لان يجابه المشاكل ويرد عليها ، ولا
تحفزه للتفتيش عن حلول لاهمها وأكثرها حيوية • ان امكانية النظر فى
صميم بناء الشيوعية يجب ان تكون أكثر ما يجذب الكاتب المعاصر •

لقد ظهرت كثير من الكتب فى فترة ما بين المؤتمرين ، كما كتب
كثير من المسرحيات « والسيناريوات » • ومن يتتبع سير هذه المؤلفات الجديدة
سيقول مع الاسف ، بأن بعض تلك المؤلفات ذات مستوى متوسط ، وبأن
قراءة بعضها ، حتى ولو كانت لمؤلفين موهوبين ، تصدم الانسان لعدم
اهتمامها باللغة والاسلوب الفنى ، أى عدم اهتمامها بالشئ الذى بدونه
يكون الموضوع ، رغم أهميته ورغم الحاجة اليه ، تافها لا رونق فيه •

ومعلوم ان عمل الكاتب هو ان يقدر درجة سمو الاسلوب الفنى •
ان الموهبة الفنية عظيمة التقدير فى بلادنا وعلى الكاتب ان يكتب بكل
ما يملك من قوة فى الاسلوب •

ان تصدير الشئ الجديد فى الحياة يتطلب أيضا الابداع فى
الاسلوب • ان الابداع الفنى فى الواقعية الاشتراكية ، كما هى الحال فى
جميع وجوه الفعاليات الادبية ، يتضمن القدرة على رؤية الجديد فى محيطه
الحقيقى كما يتضمن تثمينا صحيحا وعميقا للحوادث وللسلوك البشرى ،
وقدرة على تصوير الجديد بشكل فنى وبوسيلة تصويرية تطابقه كل
المطابقة •

ترجمة : « الثقافة الجديدة »

مالية الثورة الفرنسية

الدكتور جاك سولون

« كتب هذا المقال بمناسبة مرور ١٥٠ عاما على الثورة الفرنسية » .

من العسير ان نبحث انجازات الثورة المالية بدون ان نتطرق ولو بصورة مقتضبة الى الوضع المالى ونظام الضرائب فى عام ١٧٨٩ .

ان الضرائب المباشرة كانت على أنواع ثلاثة :

١ - Taille : وكانت ضريبة تقديرية يعين الملك فى كل سنة المقدار الذى يريد جبايته وهذا المبلغ كان يقسم بالتساوى بين المكلفين (دافعى الضريبة) حسب دخلهم ، ولكن النبلاء ورجال الدين ، وهم الطبقة ذات الامتيازات ، كانت مستثناة من دفع هذه الضريبة . اما طريقة التقدير فكانت تعسفية جائرة اذ قد يتراوح معدل التقدير ما بين قرية وأخرى من واحد الى أربعة .

٢ - ال Capitation أو الجزية : وكانت فى الاصل ضريبة على الدخل عند أول فرضها وتقنينها فى سنة ١٦٩٥ ، وكان الذين يخضعون لها يصنفون الى ٢٢ صنفا . فالصنف الاول يشمل صنف الدوفين Dauphin (ولى عهد فرنسا) ، ويدفعون (٢٠٠٠ جنيه فرنسى^(١)) فى السنة . والصنف الثانى والعشرين وهو افقر الاصناف كان يدفع جنيها فرنسيا واحدا فى السنة . ولكن هذه الضريبة اصبحت مؤخرا ضريبة

(١) وهى ضريبة على السابلة وتفرض على اصحاب العجلات او من يركبها .

تقديرية مكملية لضريبة الـ Taille . صحيح ان الطبقة ذات الامتيازات لم تكن معفوة منها في المبدأ ، غير ان طبقة رجال الدين (الاكليروس) كانت تدفع ٤ ملايين جنيه فرنسي في السنة لهذه الضريبة عوضا عن مبلغ اجمالي يقدر بـ ٢٤ مليون جنيه^(٢) ، وهو مجموع هذه الضريبة عليهم . اما النبلاء فالوقائع الدقيقة تثبت ان الكبار منهم والامراء بالدم كانوا في الواقع يتهربون منها عن طريق اعطاء دخل كاذب لم يجرأ الجباة او مراقبو المالية العامون على تفنيده او الطعن فيه .

٣ - اما الضريبة العشرينية Vengtieme فكانت أيضا نوعا من ضريبة الدخل ، وقد أخذ اسمها في الاصل من كونها كانت تجبي بنسبة ٢٠/١ من الدخل المقدر . ثم زيدت النسبة عدة مرات . وكانت هذه الضريبة تشمل مدخولات الارض والصناعة والتجارة على السواء . الا انها من الناحية العملية كانت تخص دخل الارض . فمثلا بلغ مجموع ما استحصل من هذه الضريبة عام ١٧٨٤ (٧٦٥) مليون جنيه فرنسي . كان ٧٤ مليون منها يخص ضريبة الارض . وقد كان مقدار ما دفعته الكنيسة من هذه الضريبة عام ١٧٨٠ ثمانية ملايين جنيه وهو مبلغ زهيد بالنسبة لما كان يجب ان تدفعه . ومعنى هذا من الناحية العملية ان عبء هذه الضرائب المباشرة كان يقع على عاتق الفلاحين والصناع وسكان المدن بصورة عامة . اما أملاك النبلاء والكنيسة من الاراضي الزراعية فلم تمسها الضرائب ، فمثلا وضع Francois de Neuf Châtion جدولا لدفعي الضرائب في منطقة تدل على الوجه الآتي :

جنيه

٧٢٢٨

الكنيسة

٣٩٦

النبلاء

٢٣٨

الضباط

١٨٩٦١٥

غيرهم

ومن هذا يتضح ان الطبقة العامة دفعت ٩٦٪ من مجموع الضريبة المباشرة . وهناك مثال نموذجي آخر على هذا في قرية Murat - Le - Quaire يظهر فيه ان كونتيسة سان - پول كانت قد دفعت ٤٦٠ جنيهها من

(٢) Livre او الجنيه يساوي ٤ - ٥ غرامات من الفضة ، ويساوي نحو فرنك واحد وكانت اجرة العامل في باريس نحو جنيهين يوميا .

مجموع ايراد الارض البالغ ٣٠٠٠ جنيه أى نحو (١٥٪) من دخلها . بينما دفع الفلاح Ligier Brugiere ١٧٥ جنيها من مجموع ايراد أرضه البالغ ١٧٩ جنيها أى نحو (٨٨٪) من دخله ، ومعنى ذلك ان ايراده كان قد قدر بستة اضعاف ايراد الكونتيسة !

وفى ميزانية عام ١٧٨٩ التى بلغت ٤٧٥ مليون جنيه ساهمت الضرائب المباشرة فيها بنحو (١٩٠) مليون أو ما يقارب ٤٠٪ من الميزانية . وهى مقسمة على هذا النحو : (٩٠ مليون من ضريبة Taille و ٤٠ مليون من ضريبة الجزية Capitation و ٦٠ مليون من الضريبة العشرينية Vengtiemo) .

والآن يجدر بنا ان نفحص الضرائب غير المباشرة . وفى مقدمة الضرائب العديدة على الاعمال وملكية العقار وضرائب الصفقات التجارية (الكمارك والمكوس داخل القطر ، وكان عدد دوائرها فى فرنسا ١٦٠٠) ، كانت ضريبة الشراء وضريبة الملح . وكانت ضريبة الشراء تفرض على عدد كبير من البضائع الاستهلاكية وخاصة المشروبات الروحية ، وهذه الضريبة البغيضة اقامت جواجز شديدة اعاقت تطور الصناعة الى درجة كبيرة .

غير ان ضريبة الملح بصورة خاصة كانت هدفا لحقد من جانب الشعب . وفى مناطق الملح كان على كل فرد بلغ السابعة من عمره ان يشتري من الحكومة مالا يقل عن ٤٥ كيلو من الملح سنويا . وكان هناك جيش من شرطة الملح تراقب تنفيذ هذه الانظمة . وكان باستطاعتهم فرض عقوبات صارمة على المخالفين . ونظرا لاختلاف ضريبة الملح باختلاف اقاليم فرنسا ، فقد نشطت عملية تهريبه بصورة خاصة ، فكان يدان نحو من ٣٠٠ شخص سنويا بتهمة تهريب الملح والتبغ . ولاجل تقدير عظم ضريبة الملح هذه يكفى ان نقول ان سعر الرطل (١/٢ كيلو) من الملح كان يساوى ١٢ سولا (الجنيه ٢٠ سولا) عام ١٧٨٩ فى اقليم الملح الكبير ، وقد انخفض عام ١٧٩٠ عقب الغاء هذه الضريبة الى سول واحد فى هذا الاقليم بالذات ، وكانت الدولة لا تسيطر على هذه الضرائب مباشرة ، بل كانت تضمنها للمتزمين لقاء دفع مبالغ معينة للدولة . وهذا يعنى للجمهور بان فقره كان نتيجة مباشرة لغنى هؤلاء المتزمين الذين كانوا يعتصرونه لجباية الضرائب منه . وقد ثار الناس على هؤلاء المتزمين والمترشحين من الضرائب التى جعلوها عبئا ثقيلا عليهم ، بينما لم يكونوا هم ليدفعوا الى الدولة الا قدرا ضئيلا منها .

هذه الضرائب التي كانت تثقل كاهل الشعب في سنة ١٧٨٩ .
على اننا يجب الا ننسى العشور (ضريبة العشر) وضرائب الاقطاع التي
كانت في تزايد مستمر ، ان الاحاطة بكل ذلك وأخذه بنظر الاعتبار هو
الكفيل باعطائنا فكرة صادقة عن وضع فرنسا المالي قبل الثورة . وفي
رأى الاقتصادي Dupont de Nemours ان العشر والضرائب الاقطاعية
الآخري كانت تعادل $\frac{1}{4}$ مطالب الملك . وهذا يرينا ثقل العبء الذي كان
يحملة الفلاحون والصناع وعظم العوائق التي كانت تقيدها الضرائب في
طريق تطور الصناعة ، كذلك يرينا ان هذا النظام لم يكن قادرا على حل
المشاكل المالية التي اوجدها . وقد وصفه السيد Marian بأنه كان نظاما
ماليا جائرا غير كفوء .

وبالرغم من كل هذه الضرائب فان الدولة الملكية كانت تجد نفسها
امام ارتباكات مالية تتزايد باطراد . ان مصاريف البلاط والتبذير
والفساد السائد في كل مكان ومصاريف الحرب في امريكا ، كل ذلك
ترك الميزانية في عجز دائم . لقد كانت مصاريف البلاط تبلغ ٤٠ مليونا
من الجنيهات الفرنسية في السنة ، وهو ما يساوي $\frac{1}{4}$ من واردات الدولة
السنوية . وكانت مصاريف ١٢ الف ضابط من النبلاء تعادل مصاريف
البلاط أيضا . ونظرا لان ذوى الامتيازات لم يكونوا في الواقع يدفعون
ضريبة ما ، فان الحكومة كانت تلجأ الى الاستدانة بصورة مستمرة وهذا
يعنى ان جزءا كبيرا من الميزانية كان يدفع على شكل فوائد على هذه
الديون ، وقد ارتفع دين الدولة العام الى ثلاثة اضعاف خلال الخمس عشرة
سنة من حكم لويس السادس عشر ، وبينما كانت فوائد القروض تبلغ
٩٣ مليون من الجنيهات في سنة ١٧٧٤ ارتفعت في سنة ١٧٨٨ الى ٣١٨
مليون ، وهذا يبلغ ٥٥.٥٠٪ من مجموع مصروفات الميزانية . ولاجل
مواجهة المصاريف العمومية وتجنب الافلاس كانت الاموال تقترض من
الممولين عن طريق رهن ضرائب السنين المقبلة ، ففي هذه الحالة تكون
الضرائب وكأنها صرفت سلفا قبل ان تستحق وتجبى . فعند افتتاح
الجمعية التشريعية كان العجز نحو ٥٦ مليونا من الجنيهات ولكن ١٧٢
من الواردات التي تستحق في الثمانية أشهر الاخيرة من سنة ١٧٨٩ ،
و ٩٠ مليونا من التي تستحق في سنة ١٧٩٠ سبق وان رهننت من قبل ،
وكان يبدو لكل فرد بان الحالة تبعث على اليأس ، ولم يكن بالامكان
تجاهل الاهمية السياسية لهذا الجيش اللجب من المرتزقة من اصحاب

الرواتب ، فالجميع كانوا يخشون المستقبل ، كما كانوا مستاتين من تبذير البلاط . وكان الجميع يعلم بان أوامر الملك ومطالبه كانت أهم أسباب تكوّن الديون العامة .

وكان ذوو الامتيازات لا يدفعون جنيها واحدا للضرائب . الا انهم مع ذلك كانوا يتسلمون فوائد عن مبالغ خيالية عينها لهم الملك حسب رغبته وقد عبر - Jaurès - عن ذلك بقوله :

« ان من السهل ان يتفهم الانسان الى أى حد وصلت القوة الاجتماعية التى كان يتمتع بها دائنو الدولة ، ففي طريقهم كان البورجوازيون فى الواقع هم السادة المالين للدولة الحديثة قبل ان يحصلوا على القوة السياسية . فلم يكن هناك نظام يستطيع ان يقاوم تعاظم نفوذ الدائنين والبورجوازيين . غير ان دائنى الملكية فى النظام القديم لم يكونوا ليطمئنوا الى الملك . اذ كانوا فى خوف دائم من افلاس تام قد تعرضهم له ارادة فرد واحد (الملك) ، وكان خوفهم يتزايد بارتفاع الدين نفسه » . وقد كتب Rivaral :

« لقد جلبت المشاكل المالية الانتباه اليها لمدة طويلة . فان تزايد اهمية البورجوازية التجارية والصناعية قد اثار دراسة الظواهر الاقتصادية التى صاحبت جهود الانسكلوبيديين من أجل فهم العالم بصورة دقيقة وهذا ما قام به الفيزيوقراطيون الذين يجب ان نقول عنهم بضع كلمات :

لقد كتب ماركس يقول : « ان الفضل يعود للفيزيوقراطيين فى المجتمع البورجوازي لتحليلهم رأس المال . وهو ما جعلهم يعتبرون المنشئين الحقيقيين للاقتصاد الحديث وكان نظامهم - الذى كان من اشهر من شرحه وفسره الدكتور Quesnoy و Turgat و Le Trosue و Dupont de Nemours وغيرهم - يعكس سيادة الطابع الزراعى على الاقتصاد الفرنسى فى تلك الفترة ، وهو لذلك يطابق المجتمع البورجوازي عند انبثاقه عن النظام الاقطاعى ، ولذلك كانت فرنسا ، وهى قطر زراعى ، مسقط رأسه ، وليس انكلترا التى كانت تسودها التجارة والصناعة والملاحة » . وفى الحقيقة فان مصدر فائض القيمة Surplus Value كان يسهل تمييزه فى الزراعة ؛ فمجموع الغذاء الذى يستهلكه العامل فى السنة الجيدة أو الرديئة هو أقل من مجموع ما ينتجه . . . وفى الزراعة كان يمكن ان نرى بصورة مباشرة زيادة القيمة الاستعمالية Use Value

ففي الزراعة يمكن ان نلمس بصورة مباشرة فائض القيمة الاستعمالية *Surplus of the Use Value* التي ينتجها العامل على القيمة الاستعمالية *Use Value* التي يستهلكها . ولفهم ذلك لا نجد ضرورة لتحليل القيمة بصورة عامة وادراك طبيعتها ، اما في الصناعة فهي أقل وضوحا وعليه فبالنسبة للفيزيوقراطيين يعتبر العمل الزراعى هو العمل الوحيد المنتج وهو العمل الوحيد الذى ينتج قيمة فائضة (*Surplus Value*) وعلى هذا فان الثروة جميعها تأتي من العمل فى الارض (الزراعة) . ان تطبيق نظرية الضرائب هذه كان واضحا . فاذا كانت جميع الثروة متأتية من العمل الزراعى فان دخل الارض هو الدخل الوحيد الذى يجب ان تفرض عليه الضريبة ، وقد جلب ماركس الانتباه الى تلك الحقيقة بصورة تهكمية قائلا : « الظاهر ان تمجيد الملكية الزراعية (الارض) ينتهى بالسلب الاقتصادى لهذه الملكية نفسها باثبات الانتاج الرأسمالى ، ان جميع الضرائب كانت تجبى على ايجار الارض . وبعبارة أخرى ان ملكية الارض (الملكية الزراعية) كانت تصادر بصورة جزئية ، وهذا ما حاول ان يفعله مشرعو الثورة الفرنسية » .

وكان من الطبيعى ان تثير هذه النظرية كثيرا من النقد . ومن عدم الادراك ان يستنتج بانها غير مقيدة لفرض الضرائب على المتمولين طالما ان الضرائب فى النهاية تقع على عاتق الارض . ان التفاوت الكبير فى وجهات النظر ولد نتائج خطيرة ظهرت بتطور الثورة الفرنسية . فمثلا المقالة الموجودة فى الانسكلوبيديا (الموسوعة) حول الضرائب المنسوبة الى (*Chevalier de Jaucourt*) تقرر بصورة جزئية مبدأ فرض الضرائب التصاعدية ، وعلى الدولة ان تجبئها من الموسرين فقط ، ولا تثقل كاهل الطبقات الفقيرة ابدا . وبينما ينتفع جميع رعايا الحكومة على السواء من حمايتها وما تقدمه من أمن فان التفاوت فى ثرواتهم وما يحصلون عليه من منافع يستدعى تقدير الضرائب وفقا لهذا التفاوت . وتختتم المقالة باقتراحات لتقوية الشعب ورفع مستواه المادى ، منها :

- ١ - تأييد واعانة الزراعة والتجارة وهما مصدرا ثروة الرعية والحاكم .
- ٣ - تحديد نمو الثروة المفرط والمصاريف عديمة النفع .
- ٤ - الغاء الاحتكارات والمكوس .
- ٦ - ازالة سوء استعمال ضريبة الـ *Taille* والمليشيا والملح .
- ١٠ - واخيرا تخفيض الضرائب وتقديرها بصورة تتفق ومبادئ توزيع العدل .

وإذا ما نُفذت هذه المناهج فستصبح فرنسا حرة قوية ، كما سيكون الشعب الفرنسي شعبا سعيدا ، ولكن هل سيكون فجر ذلك اليوم الجميل قريب الانبلاج ؟ • ومرت سنون على نشر الانسكلوبيديا ولكن عرائض تظلم سنة ١٧٨٩ اظهرت كيف ان المشكلة المالية كانت قد عبأت وهيأت الجماهير ، فلم تكن هناك عريضة واحدة تخلو من تخصيص جزء رئيسي من انتقاداتها للمالية العامة •

فماذا كان يطالب أصحاب العرائض بصورة عامة ؟ كان الشعب يطالب قبل كل شيء بأن يوضع حد للطرق التعسفية في فرض الضرائب ، كما كان يطالب في ان يمارس سيطرته على الصرف وعلى الايراد •

وهناك مثل على ما جاء في عريضة تظلم Cahier de Saint - Cyr « المادة الخامسة : ان للشعب وحده أو الممثل في المجلس الثالث ، ان يقر الضرائب وان يخفضها ، وان يخول منح القروض وانشاء الدواوين » • « المادة السابعة : ان مقاييس العملة لا يجوز ان تغير بالاسم أو بغير ذلك الا بموافقة المجلس الثالث » • كما طالبت بعض العرائض الملك بتخفيض مصروفاته ومصروفات بلاطه ولكنها كانت كلها مجمعة على نقطة جوهرية واحدة هي الغاء الضرائب غير المباشرة ومسؤولية متساوية للجميع في دفع الضرائب •

وهذا رأى مدون في عريضة Chesnays (قرب فرساي) : « اننا نرجو الغاء ضريبة ال Taille والضرائب الاضافية الاخرى والغاء الضريبة ال Aides (وهي ضريبة غير مباشرة) والملح Gabelle والسيطرة Cantials • وضرائب مزارع التبغ والاعباء الاخرى المرهقة المهينة المفروضة على الشعب في الريف ••

وتقدم مظلمة Saint - Cyr تعبيرا تقريبا لاعلان حقوق الانسان • « المادة السادسة : ان جميع الضرائب تكون عهدا قانونيا مشاعا يجب تحمل اعباؤه بصورة متساوية بصرف النظر عن المنزلة والجاه ، وبالنسبة للملكيات والامكانيات » •

ولنصف الى هذا ما جاء بعريضة Fasses :

« ليست هناك ضريبة جائزة مضحكة اسوأ من ضريبة الملح Gabelle ويظهر ان اولئك الذين اخترعوها قالوا يجب ان توجد وسيلة يساهم

فيها الفقير بقدر مساو لقدر الغنى ، وحيث اننا لا نستطيع ان نفرض على الفقراء ضريبة الـ Taille والضريبة الاضافية على الصناعة وضريبة الـ Carvée (١) وضريبة الجزية Capitation والضريبة العشرينية Vengtiemo الخ ٠٠٠ لانهم سوف لا يدفعونها ولاننا سوف لا نجد فى بيوتهم شيئا يناسب تخمينات الضريبة فلنوجد اذا ضريبة الملح الثقيلة ٠٠٠ مثل هذا التبرير القاسى كان يحمله وكلاء الواردات حين اوجدوا ضريبة الملح البغيضة » .

واحتجت بعض العرائض على فرض الضرائب على الفقراء الذين لم يكن عملهم اليدوى كافيا لسد رمقهم ورمق عوائلهم . ان ايجاد مثل هذه الضرائب يعود الى النفوس اللثيمة والمرترقة اعداء العدالة الذين لا ترق قلوبهم للانسانية المعذبة . كما طالبت بعض العرائض ان تفرض على المالىين والتجار ضرائب عادلة تناسب ملكياتهم وامكانياتهم المالية . وفى الحقيقة يمكن تلخيص مطالب عريضة Tiers كما يلى :

- ١ - ان يوافق الشعب وحده على الضرائب .
- ٢ - الغاء الضرائب غير المباشرة .
- ٣ - تساوى مسؤولية الجميع امام الضرائب ، فالأغنياء يجب ان يدفعوا أكثر ، واما الفقراء المعدمون المدقعون فيجب ان يعفوا منها .

وبعد مرور قرن تقريبا على هذا التاريخ نشرت الـ L'Egalité فى ٣٠ حزيران سنة ١٨٨٠ منهاج حزب العمال الفرنسى : (Parti Ouvrier Français) الذى وضعه Jules Guesde بالتعاون مع ماركس وانكلز Marx & Engels وكانت احدى فقراته تنص على ما يلى : « الغاء جميع الضرائب غير المباشرة وتحويل جميع الضرائب المباشرة الى ضرائب تصاعدية على الدخل الذى يزيد على (٣٠٠٠) فرنك » .

راينا قبل هذا كيف كانت الحالة المالية وقت انعقاد الجمعية العمومية (State General) فى فرساي فى ٥ ايار سنة ١٧٨٩ ، وقد صرح الوزير نيكر قائلا : « ان عسر الخزانة الملكية وعوزها العام أصبح ظاهرا الى درجة تجعل من الصعب اخفاءه ، فقد وصلت الازمة الى نهايتها » . وكانت خطوات الجمعية الوطنية أكثر صعوبة ذلك ان الاصلاحات

(١) وهى ضريبة على الفلاحين تجبى بشكل عمل مجاني (ضريبة السخرة) .
- العرب -

التي لجأت اليها قد زادت العجز في الميزانية . اذ ان الغاء ضريبة واحدة فقط كلف ٨٠٠ مليون فرنك . وان الغاء ضريبة العشور Tithes حتم على الدولة ان تخصص نحو ١٠٠ مليون فرنك لتمشية أمور الكنيسة . ولاجل اعادة تنظيم نظام الضرائب كان يجب ان تذلل هذه الصعوبات وبالطبع كان هذا يحتاج الى وقت كانت الحاجة الى الاموال ملحة ومستعجلة بسبب المجاعة التي استوجبت شراء القمح من الخارج لذلك قررت الجمعية الوطنية فرض ضريبة اضافية حتمت على ذوى الامتيازات ان يدفعوا ضريبة الجزية Capitation وضريبة الـ Taille لمدة ستة أشهر على الاقل في السنة .

وجريا على استعمال نظام القروض القديم فقد اعلن في ٩ آب سنة ١٧٨٩ عن قرض قدره ٣٠ مليوناً من الجنيهات بفائدة قدرها ٤ر٥٪ ولكن الوزير نكر اعلن في ٢٧ آب بأن القرض لم ينجح بسبب انخفاض سعر الفائدة اذ لم يحقق أكثر من ٢ر٥ مليون جنيه وعلى هذا فقد اعلن عن قرض جديد بفائدة قدرها ٥٪ يمكن ان يساهم فيه المشتركون بدفع نصفه نقدا والنصف الثاني بسندات ايجار . وكان هذا القرض اكثر نجاحا من الاول ، ولكن مع هذا فانه لم يستحصل من مبلغ الثمانين مليونا التي اريد اقتراضها الا خمسين مليونا وكانت النتيجة غير مناسبة وازداد قلق الجماهير وهياجها بسبب اشتداد المجاعة ، ففي ٥ و ٦ تشرين الاول سارت النساء بمظاهرة الى فرساي معلنة تبرمها وجئن بالملك والجمعية الى باريس ليكونوا وسط الجماهير . اذن فلم يكن من قبيل الصدفة ان تقرر الجمعية الوطنية في ٦ تشرين الاول سنة ١٧٨٩ اعانة وطنية وكان اعلان ميرابو المشهور عنها على هذا الشكل : « هذه قائمة من الملاك الفرنسيين اختيروا من بين اغنيى الاغنياء لكي يكون عدد من يضحى بهم من المواطنين أقل ما يمكن . نعم يملك هؤلاء الالفا نبيل ما يكفي لسد العجز واعادة النظام الى الوضع المالي ، كما يساعد ذلك على اعادة السلم والرفاهية الى فرنسا » .

على ماذا كانت تحتوي هذه الاعانة الوطنية ؟ ان أول ما يلاحظ هو ان كلمة (ضريبة) استبدلت بكلمة (اعانة) ، وكان القصد من ذلك ان تظهر ان هذا العمل غير مفروض على الشعب بل انه كان تضحية تعهد القيام بها وانجازها . وكانت هذه الاعانة تساوى ١/٤ دخل الفرد . كما اخضعت النقود والحلى لضريبة قدرها ٢ر٥٪ من قيمتها . وتمشيا مع احدى المطالب الجوهرية للعرائض المرفوعة فقد اعفى من الضريبة دخل الفرد

الذى يقل عن ٤٠٠ جنيه . وكان ثلث القرض يستحق فى اول نيسان سنة ١٧٩٠ ، اما الثلثان الاخران فانهما يستحقان فى السنتين القادمتين ، واتخذت الترتيبات لابلاغ الدائنين بان ديونهم سترجع اليهم بأسرع وقت ممكن ، وكان هذا الدين فى الحقيقة والواقع ديناً اجبارياً .

كم كان نجاح هذه العملية ؟

يظهر هنا ، كما اتضح أكثر فأكثر فيما بعد ، بان البورجوازية لم تؤيد الجمهورية كما ايدها الفلاحون والصناع . ففى ١٠ آذار سنة ١٧٩٠ قال Dubois de Cransé : « وبينما افنى الفقراء انفسهم فى العمل وفقاً لرغبات واعتراض الجمعية الوطنية ترى الاغنياء وفروا على انفسهم عناء ذلك دون خجل أو حياء » . ففى ١٨ تموز سنة ١٧٩٠ اعلنت اللجنة المالية فى الجمعية الوطنية ان الطبقة التى تملك أكثر هى نفسها التى لم تكلف نفسها اقل عناء . ولو ان كل ما كان يطلب منها لمساعدة الدولة هو ان تسحب جزءاً مما يفيض من أموالها أو جزءاً من احتياطها من تلك الاموال ، بينما افنت الطبقة الفقيرة ، دخلها الى درجة انها حرمت نفسها حتى من الضروريات ، وقد اتخذت الجمعية الوطنية سلسلة من الاجراءات لانعاش وتقوية جباية المعونة انتجت نحو ١٠٠ مليون جنيه . وكان أعضاء الجمعية قد لمسوا ضعف ثقة الاغنياء بالجمهورية فكثرت الكلام عن اجراءات لاجبارهم على دفع المعونة للصالح العام وباتفاق الآراء شرعت الجمعية الوطنية اصلاحاً مالياً بعد ليلة الرابع من آب المشهورة ، فقد اقرت يوم ٢٧ آب فى اعلانها لحقوق الانسان المبادئ الاساسية التى اكدت مراراً من قبل .

ففى المادة الثالثة عشرة : لاستمرار السلطة العامة (الدولة) ولمواجهة نفقات الادارة فان المعونة العامة أمر حيوى ، ويجب ان يتحمل جميع المواطنين اعباءها بالتساوى حسب امكانياتهم .

المادة الرابعة عشر : يحق للمواطنين ان يفحصوا ويتثبتوا بانفسهم أو عن طريق ممثليهم ضرورة المعونة العامة والموافقة عليها بمحض حريتهم وارادتهم ، كما ان عليهم ان يتأكدوا من استعمالها ، ويقرروا حصتها وتقديرها وجبايتها ومدتها . وفى ٢٣ ايلول سنة ١٧٨٩ تقرر الغاء ضريبة الملح بصورة تدريجية الى ان انتهت فى اول آذار سنة ١٧٩٠ . وعند ذلك انتقلت الجمعية الوطنية الى اعادة تنظيم نظام الضرائب فاستبدلت الضرائب الرئيسة السابقة الثلاث بضريبة معونة العقار Contribution Fonciere (قانون ٢٣ تشرين الثانى سنة ١٧٩٠) ،

ومعونة الاثاث Contribution Mobilier (قانون ١٣ كانون الثانى سنة ١٧٩١) وضريبة الاختراع Impatsur les Patentes (قانون ٢ آذار سنة ١٧٩١) .

فمعونة العقار Contribution Fonciere كانت ضريبة تقدر على صافى الدخل من الاراضى والبيوت ولم يكن ايرادها يتجاوز $\frac{1}{4}$ الميزانية ، وكانت تدر ايرادا قدره ٣٠٠ مليون جنيه فى السنة .

اما معونة الاثاث Contribution Mobilier فكانت أيضا ضريبة تقديرية تشمل ضريبة متساوية تعادل شغل ٣ أيام . وكان الفقراء ، يعفون منها وهناك ضريبة تعادل $\frac{1}{4}$ من الدخل الصناعى والثروة الشخصية (تعين وفقا للايجار ويؤخذ عدد الاولاد عند تقديرها بنظر الاعتبار) كما كانت هناك ضريبة تصاعدية على عدد الخدم وضريبة على الخيول ، والبغال ، وكان يقصد من هذه الضريبة الاخيرة اخضاع ذوى الدخل الكبير اليها .

وكان يتوقع ان تدر هذه الضريبة نحو ٦٠ مليون جنيه فى السنة . واخيرا ضريبة الاختراع (ضريبة المهن) Impôt les Patentes وقد فرضت بموجب قانون ٢ آذار أيضا سنة ١٧٩٠ . وقد الغت الاحتكار وشملت اصحاب المهن الصناعية والتجار . وكانت تفرض على أساس قيمة ايجار المحل أو الدائرة . وقد لاقى تقرير هذا الاصلاح المالى صعوبات عديدة فقد وضع تقرير الضرائب وتهيئة قوائمها بيد البلديات التى لم تكن مهية للقيام بهذا العمل على وجه صحيح . وفى شباط سنة ١٧٧٢ قامت ٣٤٤٨ بلدية فقط من مجموع ٤٠٠٠٠ بلدية بانجاز هذا الواجب . وكانت الضرائب لا تزال سيئة التوزيع ، فنسبة الدخل الخاضع للضريبة كانت تختلف من اقليم لآخر . ولكن مبدأ التدرج كان يطبق فى فرض الضرائب وتقديرها فى كل اقليم ، فلم يكن هناك غبن كالذى اشرنا اليه سابقا .

وكانت المعونة الوطنية تسير ببطء ولذا فان إعادة تنظيم الضرائب لم يؤت اكله الا متأخرا . وكان من الضرورى توفير الاموال فى الحال لدفع رواتب الموظفين ولدفع الديون المستحقة وفوائدها ولشراء القمح من الخارج ولمعالجة المشاكل الاجتماعية . وقد انشأت الجمعية الوطنية لجنة التسول Comitè de Mendicité برئاسة Duke de la Rochetoucauld - lioncourt

وقد اوضحت هذه اللجنة بأن مساعدة المعوزين هو واجب الدولة كواجبها في دفع رواتب الموظفين وتديرها امر الكنيسة وقيامها بجميع الوظائف العامة الاخرى . لقد اقترح تاليران Talleyrand وميرابو Mirabeau حلا لذلك بوضع اموال الكنيسة تحت تصرف الدولة على ان تستمر الدولة في القيام بتوزيع الصدقات وخدمات الاحسان التي كانت تقوم بها الكنيسة . ومقابل هذا تستولى على اموالها الكبيرة الضخمة التي تقدر بنحو ٤٠٠٠٠٠٠٠ رطل جنيه . وفي ١٠ تشرين الاول سنة ١٧٨٩ اتخذت الجمعية الوطنية بعد مناقشة طويلة قرارا باغلبية ٥٠٨ صوتا ضد ٣٤٦ صوتا بوضع اليد على املاك الكنيسة الواسعة لضمان ديون الحكومة .

لقد ابتدأت الجمعية ببيع اراضي قيمتها ٤٠٠ مليون جنيه وقد اصدرت سندات حكومية بمقدار هذا المبلغ لدفع ائقل أنواع الديون التي عقدت مع Caisse d' Escompte وهو مصرف خاص كان يسيطر على التجارة واصدار الكمبيالات . وهذه السندات الحكومية التي ضمنت ببيع املاك الكنيسة لم يكن ليوثق بها ، وكانت تحمل فائدة قدرها ٥٪ ، كما دفعت عمولة البنك Caisse d' Escompte الذي اصدرها . وكانت هذه السندات غطاء قانونيا لدفع ثمن املاك الكنيسة وباستمرار بيع املاك الكنيسة فان هذه السندات تعود ثانية الى الحكومة وتبطل . وبهذه الطريقة يسدد دين الحكومة (وكما يظهر ان المسألة ليست مسألة نقود بكل معنى الكلمة ، بل انها كانت سندات تحمل فائدة عند التعويض مساوية لكمبيالات الخزينة) . غير ان هذه العملية لم تكن ناجحة اذ ان الناس احجموا عن شراء املاك الكنيسة وتشككوا في دوام نقل ملكية اراضيها وكان لابد من عمل شيء ما ، وعلى هذا فقد قررت الجمعية الوطنية في ١٧ آذار سنة ١٧٩٠ ان تجعل البلديات وسيطا لجميع بيوع الاراضي هذه ، وبهذا تتجنب الاتصال المباشر بين المشتري والملاكين القدامى . وكان قد تقرر دفع جميع ديون الدولة والكنيسة التي لا تحمل فائدة ما ولهذا الغرض فقد ارتوى اصدار سندات بقيمة ١٢٠٠ مليون جنيه بدلا من ٤٠٠ مليون جنيه . وقد اشترط مرسوم ١٧ نيسان ان تحمل هذه السندات قيمة نقدية بيد كل الاشخاص في المملكة . وان تقبل كأموال عند الدفع في جميع الدوائر المالية العامة والخاصة ، وبالرغم من كل هذا فانها لم تحافظ على قيمتها وتطورت المنافسة بينها وبين النقود المعدنية واشتدت خاصة وان هذه السندات اصدرت في اول الامر بمقدار

١٠٠٠ جنيه ومضاعفاتها واصبح لها بعد مدة قصيرة سعر تحويل يقدر بالذهب .

وقد فقدت هذه السندات قيمتها منذ البداية كما يظهر من هذه الارقام بالنسبة للجنيه الذهب Gold Louis الذي كان يساوى ٢٤ جنيها من هذه السندات .

سعر الـ	Louis الذهبى الواحد	جنيه Livere	Sols
كانون الثانى ١٧٩٠	٢٤	١٧	
حزيران سنة ١٧٩٠	٢٦	—	
كانون الاول سنة ١٧٩٠	٢٦	٢	
آذار سنة ١٧٩١	٢٦	١٥	
حزيران ١٧٩١	٢٨	—	
كانون الاول ١٧٩١	٢٥	٥	

ويظهر من هذا ان التدهور كان ملحوظا . فماذا كان سبب ذلك ؟ ان فى مقدمة الاسباب ارتباك الوضع السياسى وعدم التأكد منه مما كان يدفع الناس الى تفضيل الذهب والفضة على العملة الورقية ، وكنتيجة لهذا فان هذه السندات عرضت للبيع بصورة حرة ، بينما كان يتشدد الناس فى الاحتفاظ بالعملة الصعبة . هذا وقد حمل المهاجرون معهم الى الخارج كميات كبيرة من السبائك الذهبية ، كما كانت الحكومة بحاجة الى سبائك ذهبية لمشترياتها من الخارج ولدفع ديونها . وعلى كل فقد سار بيع أملاك الكنيسة سيرا حسنا وكانت نتيجة سياسية على غاية من الاهمية لانها برهنت على ان مصادرة أراضي الكنيسة كان قطعيا ونهائيا . وقد قال احد المؤيدين لها « انها مسألة تقوية الدستور وقطع الامل على أعدائه ، وربط الشعب بالنظام الجديد عن طريق مصالحه » . وقد بلغت قيمة ما بيع من أراضي الكنيسة فى تشرين الثانى سنة ١٧٩١ (١٩٢٨) مليون جنيه ، بينما بلغ مجموع كل ما اصدر من سندات ١٨٠٠ مليون (١٢٠٠ مليون منها صدر فى ٢٩ أيلول سنة ١٧٩٠ و ٦٠٠ مليون فى ١٧ أيار سنة ١٧٩٢) وقد خولت الجمعية التشريعية ببيع الاموال العامة بأقساط سنوية موزعة على ١٢ سنة فاستفاد المشترون من هذه التسهيلات فوائد كبيرة وكانت نتيجة ذلك ان السندات التى اصدرت بدأت تعود للدولة ثانية بصورة بطيئة ولم يبق منها فى التداول الا نحو ٤٠٠ مليون جنيه من مجموع ١٨٠٠ مليون وهو القدر الذى اصدر منها . كذلك تقرر

شراء جميع الامتيازات وقد اشترت السندات التي لها الصفة القانونية لشراء الاموال العامة ، كما كانت السندات الاولى . وقد كلفت تصفية هذه الامتيازات مبلغ ٨٠٠ مليون جنيه وكانت نتيجة طريقة الدفع هذه حصول تضخم نقدي كبير ، وهناك صعوبة أخرى ظهرت من تعدد الفئات التي اصدرت بها هذه السندات . ولما كانت أجور العمال والصناع المهرة يجب ان تدفع نقدا لذا كان لزاما على المستخدمين ان يحولوا تلك السندات الى نقود ، فكانوا يخسرون في عملية التحويل هذه .

وقد رفضت الجمعية التشريعية لمدة طويلة ان تصدر سندات من فئات صغيرة لانها رأت ان ذلك يلقي الخسارة على العمال والصناع من تدهور اسعارها . ونظرا لاستمرار ندرة الذهب والفضة واختزانها فقد أخذت البنوك والبلديات وبعض الافراد يدفعون مدفوعاتهم بصكوك اعتماد Billet de Confiance واصبح جليا بعد فترة وجيزة ان تكاثر صكوك الاعتماد هذه أخذ يغير بالسندات ، لذا وافقت الجمعية التشريعية في ٢٣ كانون الاول سنة ١٧٩١ على اصدار سندات من فئة الـ ٥٠ والـ ٢٥ والـ ١٥ والـ ١٠ Saus ، ومنعت اصدار صكوك الاعتماد الجديدة وامرت بسحبها من التداول في نهاية سنة ١٧٩٢ .

وفي نفس الوقت استمر بيع الاموال العامة مما يسر للدولة دفع الديون الداخلية والخارجية وضمن استقلالها ، وهياً الجو الى التحول المطلوب في النظام المالي ورغم التدهور الكبير الذي اصاب اسعار السندات فان مستوى الاسعار العام لم تظهر عليه زيادة محسوسة .

وقد أدت الحرب وسياسة الجيرونديين في الجمعية التشريعية الى سوء الوضع المالي مما أدى الى تصادم بين الجيرونديين الذين كانوا يمثلون البورجوازية الصناعية والتجارية الكبيرة وبين اليعاقبة الديمقراطيين الثوريين . وفي خلال وجود الجمعية التشريعية لم يصدر أى قرض بل اكتفى باصدار السندات التي أخذت بالازدياد من ٩٨٠ مليوناً من الجنيهات في ١٧ آيار سنة ١٧٩١ الى ١٧٠٠ مليون في ٣٠ نيسان سنة ١٧٩٢ و ٢٠٠٠ مليون في أيلول سنة ١٧٩٢ . وكانت المصروفات تزداد باستمرار أيضا ففي ١٣ تشرين الثاني أعلن Combon الذي أصبح فيما بعد من كبار الماليين ، ان المدخولات المخزنة لشهر تشرين الثاني تبلغ ٢٨ مليون جنيه ، وان المصروفات تبلغ ١٣٨ مليون .

وفي كانون الاول سنة ١٧٩٢ قدرت الإيرادات بـ ٣٩ مليون جنيه

بينما كانت مصروفات الحرب وحدها ٢٢٨ مليون من الجنيهات . ولو لم يكن الجيرونديون مسيرين بسياساتهم الطبقيّة لكان بالامكان تقسيم مصاريف الحرب حسب ثروة الافراد ، ولكن من الممكن اصدار القروض وفرض الضرائب ولكن بالامكان وقف اصدار السندات التي أدت الى ارتفاع سريع في تكاليف المعيشة . وقد نصح مارا Marat و Saint Chabat و Dupont باتباع سياسة مالية سليمة لكن احدا لم يصنع الى نصائحهم .

وكان التاجر Combon زعيم الخبراء الماليين في الجمعية التشريعية لمدة طويلة يكره الكوميون والفوضويين فالتجأ الى اسهل حل وهو اصدار السندات . ففي ١٣ تشرين الثاني اقترح بوجه معارضة Dupont تخفيض الضرائب القائمة آنذاك والغاء ضريبة الاثاث Impôt Mobilier (ضريبة تقدر على اساس الايجار) وضريبة براءة الاختراع (وهي ضريبة تجارية) وتخفيض مجموع المعونة المالية (وهي ضريبة على الاملاك الحقيقية) بمقدار ٤٠ مليون جنيه .

وكان Dupont و Mantognords يفضلان سحب السندات من التداول وذلك بتقصير الفترة المسموح بها لمشتري الاملاك العامة في انجاز عملية الشراء وفك الدين عن طريق وصولات مالية Quittance de Finances يمكن استعمالها لشراء املاك المهاجرين فقط ، كما كانا يريان اصدار قرض اجباري يدرج حسب امكانية الفرد على الدفع . وكانا يصران على دفع المعونة المالية عيناً ولكن سياسة منع التضخم هذه لم تؤخذ جدياً بنظر الاعتبار . واستمر الصراع في الجمعية التي اصدرت غداة انتهاء دورتها سندات جديدة أوصلت قيمة الاوراق التي كانت في التداول الى ٢٤٠٠ مليون جنيه وهذه كانت هي سياسة البورجوازية الكبيرة .

ان محاولة البعض التدليل على ان اليعاقبة والتضخم مترادفان يتعارض بصورة جلية والحقيقة التاريخية . وهذا ما اظهره سان جوست Saint Just في خطاب القاه في الجمعية التشريعية في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٧٩٢ : « لدينا عملة كثيرة وبضائع قليلة جداً . . . يجب ان تعطى العملة والسلع والحاجات في النهاية وزناً متكافئاً ، ذلك هو سر الادارة الاقتصادية . . . اننى اقدم المبدأ الذي هو الطريق الوحيد لاعادة الثقة كما ان تداول البضائع والسلع سيخفض كمية الاوراق المصدرة ويؤدي الى التقليل في اصدار المزيد منها » .

وقد حدث العكس فوجود الجيرونديين فى الحكم أدى الى اتساع التضخم المالى اذ اصدرت أوراق مالية نقدية بقيمة ٣٦٠٠ مليون جنيه من تاريخ اجتماع الجمعية التشريعية حتى حزيران سنة ١٧٩٣ . وهى تعادل جميع الاوراق التى كانت فى التداول سابقا وهذا ما أدى بالطبع الى تدهور مستمر فى أسعار الاوراق النقدية .

قيمة اللويس الذهبى Gold Louis = ٢٤ جنيه فى الاوراق النقدية Assignates :

السنة	جنيه	Livre	Sols
تشرين الثانى ١٧٩٢	٣٤		١٠
كانون الثانى ١٧٩٣	٤٣		—
نيسان ١٧٩٣	٥٥		—
حزيران ١٧٩٣	٧٢		—

وقد ارتفعت تكاليف المعيشة باستمرار فازداد تبرم الناس وهبوا معلنين سخطهم على حكومة الجيرونديين التى نحت عن الحكم ووضع حد لسياساتهم الاقتصادية سياسة التسبب الاقتصادى Laisser - Faire Economic Palig التى كانت ترعى الاغنياء والتمولين الذين كان الشعب يتهمهم عن حق بتعاونهم مع المهاجرين والدول الاجنبية وكانت هذه السياسة على كل حال سببا من الاسباب التى عجلت بانهمزاهم وسقوطهم .

ماذا كانت سياسة المنتصرين اذا ؟

كانت هذه السياسة هى استجابة لمطالب الفقراء الذين حطمهم التضخم المالى وتثبيت العملة ، ويمكن تلخيصها بثلاث نقاط :

- ١ - تحديد العملة المتداولة .
- ٢ - تقوية الاوراق النقدية ودعمها Assignates
- ٣ - السيطرة على الاسعار .

وكانت سياسة ملائمة لاستعادة تحويل القوة الشرائية . والجدول الآتى يبين قيمة الاوراق النقدية Assignates بالنسبة لقيمة اللويس الذهب Gold Louis على اساس ان اللويس الذهبى = ٢٤ جنيه .

السنة	جنيه	Livre	Sols
كانون الثانى سنة ١٧٩٣	٤٣		١٥
حزيران ١٧٩٣	٧٢		—
آن ١٧٩٣	٧٦		—
تشرين الاول ١٧٩٣	٨١		—
تشرين الثانى ١٧٩٣	٥٥		—
كانون الاول ١٧٩٣	٤٦		١٠
شباط ١٧٩٤	٥٨		—
ايار ١٧٩٤	٧١		—
تموز ١٧٩٤	٧١		—
كانون الاول ١٧٩٤	١٢٠		—
كانون الاول ١٧٩٥	٤٣٨٥		—
حزيران ١٧٩٦	١٢٣٢٥		—

هذا الجدول يدحض افتراءات كثيرة اذ يظهر بوضوح سلسلة التضخم التى سببها الجيرونديون فى الستة أشهر الاولى من حكمهم فى سنة ١٧٩٣ ثم جاء روبسبير ورفاقه الى الحكم وفى خلال الستة أشهر الاخيرة من سنة ١٧٩٣ دأبوا على استعادة الكثير من قيمة الاوراق النقدية - Assignates استعادة لا نظير لها فى التاريخ المالى الا نادرا ولكن الاوراق النقدية Assignates بدأت بالتدهور ثانية بعد سقوط روبسبير خلال سنة ١٧٩٥ حتى حل الافلاس سنة ١٧٩٦ .

ان روبسبير ورفاقه نجحوا فى انقاذ فرنسا من ثورة مضادة يقوم بها الغزاة الاجانب رغم الثورة التى اثارها عملاء الارستقراطية ووكلاء الدول الاجنبية ، وثبتوا العملة ، لذا يجدر بنا ان نستعرض أسباب وطرق هذا النجاح المالى المنقطع النظير .

أولا : رغم معارضة الجيرونديون اصدر اليعاقة قرضا اجباريا قدره ١٠٠٠ مليون جنيه . فقد نص قانون ٢٠ أيار سنة ١٧٩٣ على ما يلى :

« يجب ان يصدر قرض اجبارى مقداره ١٠٠٠ مليون جنيه يجبى من جميع المواطنين الاغنياء » . وقد صوتت عليه الجمعية التشريعية فى ٣ ايلول سنة ١٧٩٣ .

الافراد العزاب والارامل بدون اطفال يحصلون على سماح قدره ١٠٠٠ جنيه . اما الرجال المتزوجون والارامل ذوات الاطفال فيرتفع السماح لهم الى ١٥٠٠ جنيه . كما يستفيد النساء من سماح اضافى قدره ١٠٠٠ جنيه عن كل طفل او كل شخص يعيلونه . وكانت نتيجة القرض كالاتى :

الدخل الصافى بالجنيه	الدين أو القرض بالجنيه
١٠٠٠	١٠٠
١٥٠٠	٢٠٠
٢٠٠٠	٣٠٠
٣٠٠٠	٦٠٠
٤٠٠٠	١٠٠٠
٥٠٠٠	١٥٠٠
٦٠٠٠	٢١٠٠
٧٠٠٠	٢٧٠٠
٨٠٠٠	٣٦٠٠
٩٠٠٠	٤٥٠٠
١٠٠٠٠	٥٥٠٠
١١٠٠٠	٦٥٠٠

وكانت اقساط $\frac{1}{4}$ مدفوعات القرض قابلة للدفع فى كانون الاول ١٧٩٣ وكانون الثانى ١٧٩٤ وشباط ١٧٩٤ كما الغيت الاوراق النقدية Assignates واحرقت مما قلل تداول النقد الى حد كبير . وقد فقد جميع اولئك الذين لم يدفعوا حصتهم من القرض قبل ١ آذار حقوقهم فى استرجاع القرض فيما بعد .

ومن المهم ان نشير بصدد هذا الدين الى ان نائب Angers Joseph Delaunoy جوزيف دلوناي ، ارتأى فرض الضرائب على رأسمال

الشركات الممولة واقترح بان تلزم هذه الشركات خلال اسبوعين على تمويل جزء من أموالها يتناسب وثرواتها الى الخزانة العامة . واجبارها على تسليف الجمهورية ما يعادل ٢٠٪ من رأسمالها مقدرا على أساس الاسعار السائدة للاسهم أو على أساس سعر الفائدة .

وكانت فرنسا الثائرة على علم بان اعداء الثورة يضاربون على الصعوبات المالية ويزيدونها تعقيدا ومن وراء ذلك خنق الشعب الفرنسى .

وكان من الاسباب التى دفعت الى هذا القرض الاجبارى هو منع الاغنياء من تمويل اعداء الثورة ، وقد اعلن Thuriot وهو احد أعضاء الجمعية فى ٢٠ ايار سنة ١٧٩٣ ما يلى : « ان فرض قرض اجبارى على الاغنياء هو الظفر بانتصار عظيم ، ان هؤلاء الرجال مرتبطون باعداء الثورة ومعارضيه ، فهم يمدون ثوار Vaudie بالاموال كما يمولون المهاجرين أيضا ، لنجبرهم اذن على تخصيص أموالهم للدفاع عن الجمهورية ، وبذلك نجعلهم يرغبون فى نجاحها » . وفى ٢٤ آب سنة ١٧٩٣ أصدرت الجمعية التشريعية مرسوما بتأليف الكتاب الكبير للدين العام ، وقد صمم على ان يحتوى جميع الدائنين بدون تمييز ، كما ان ديون العهد القديم والديون الجديدة أصبحت جميعها جمهورية الصبغة .

وكنتيجة لذلك فقد منح حملة أسهم العهد الملكى فوائده على ديونهم فى حالة نجاح الجمهورية . وقد سمح احد البنود فى الكتاب الكبير بتحويل ١٠٠٠ جنيه أو أكثر من الاوراق النقدية Assignates الى دين يحمل ربعا قدره ٥٪ . وقد نزلت المبالغ التى دفعت بهذه الطريقة من أقساط القرض الاجبارى المستحقة . وبهذه الطريقة عملت الجمعية التشريعية على تخفيض كمية الاوراق النقدية Assignates الموجودة فى التداول .

وفى ٧ حزيران صدر مرسوم بمنح مكافأة لمشتري الاملاك العامة الذين اكملوا دفع اقساط الدين مقدما قبل انتهاء مدتها . وفى نفس الوقت الذى عملت فيه الجمعية التشريعية على تخفيض كمية الاوراق النقدية Assignates المتداولة ، فانها عملت أيضا على دعمها وزيادة الثقة بها .

وقد اضيفت الى املاك الكنيسة البالغة ٢٥٠٠ مليون جنيه املاك المهاجرين التى بلغت ٢٠٠٠ مليون جنيه واملاك الغابات الملكية التى

كانت تبلغ ١٢٠٠ مليون جنيه ، وارضى حاكم مالطا البالغة ٤٠٠ مليون جنيه وبهذه الطريقة زيد اعتماد العملة التي كانت فى ازدياد مستمر ، ولكن كان من الضرورى مكافحة مضاربات ومناورات الوكلاء الاجانب . فقد اكتشفت أوراق نقدية مزيفة Assignates طبعت فى كوبلتر بأمر من Calotne وزير مالية لويس السادس عشر السابق وكانت تهرب الى فرنسا لدفعها رشوة لاعداء الثورة وبقصد ارباك وضع العملة فيها . كما اكتشفت تعليمات للجواسيس الانكليز فى فرنسا منها : « على العملاء ان يتسببوا فى رفع سعر الاون الانكليزى الى ٢٠٠ جنيه فرنسى كما ان عليهم ان يقللوا من قيمة العملة الفرنسية التى لا تحمل صورة الملك وان يعملوا على رفع اسعار البضائع ما امكن » .

وقد لجأت الجمعية التشريعية الى اجراءات قاسية ضد اولئك الذين يحاولون التقليل من قيمة العملة الجمهورية ، كما حدد لها سعر التحويل بناء على طلب الكوميون . وقد لجأ وليام بت رئيس وزراء انكلترا الى تقديم اعتماد خاص ليتمكن ممولى باريس من بيع اسهم لندن فى باريس وبذا يعمل على تدهور العملة الفرنسية ويضمن انتقال رأس المال من فرنسا الى انكلترا . وعلى هذا ففى ١٧ تموز قررت لجنة السلامة العامة اغلاق البورصة .

وفى ١ آب منعت تصدير رأس المال وانتقاله الى الخارج ، كما انها قامت فى ٨ آب بنزع ملكية جميع المصارف الاجنبية . اشرنا قبل قليل الى القرض الاجبارى وكانت هذه فكرة روبسيير ورفاقه لاجبار الاغنياء الذين كان يشك فى ولائهم للجمهورية على ان يساهموا فى الدفاع عن الثورة ، فقد كتب روبسيير فى مذكراته الخاصة قائلا : « متى تمتزج مصلحتهم (الاغنياء) بمصلحة الشعب ؟ كلا سوف لا يحدث ذلك » .

وقد كتب فى مذكراته اليومية « افرض ضريبة كبيرة على بائعى الجملة لكى يستطيع بائع المفرد ان يبيع » .

وقد حمل اصدقاء روبسيير فى كل مكان سياسة شعبية تدعو الى ان يدفع الاغنياء . هذا وقد ركز روبسيير سياسة فى المادة ١٢ من اعلان الحقوق المقترح الذى وافق عليه اليعاقة فى ٢١ نيسان سنة ١٧٩٣ .

« المادة ١٢ : ان المواطن الذى لا يتعدى دخله ما هو ضرورى لمعيشته يعفى من المساهمة فى دفع النفقات العامة . اما الآخرون فيجب ان يتحملوها بصورة تصاعدية تتناسب و ثروتهم » .

وهاك بعض الامثلة على ذلك :

نشر Saint - Jaust و Lebas اللذان كانا ممثلين فى مهمة فى ستراسبورغ Strasbourg فى تشرين الثانى سنة ١٧٩٣ اعلانهما المشهور الذى جاء فيه : « هناك ١٠ آلاف رجل من الحفاة فى الجيش فيجب ان تخلع أحدىة جميع ارستقراطية ستراسبورغ ، وهكذا وفى الساعة العاشرة من صباح غد تأخذ عشرة آلاف زوج من الاحذية طريقها الى مقر قيادة الجيش » .

وفى ليون Lyons قرر Collat de Herbois Fancé « ان جميع المسنين والعجزة يجب ان يهيا لهم السكن كما يهيا لهم الطعام والكساء على حساب الاغنياء » .

وقد طرح التائبين Couthon و Maignet اكتتابا بمبلغ ١٨ ألف جنيه يجمع فى ٢٤ ساعة من الاغنياء الانانيين فى كليرمون Clermout (٨٠٠٠) جنيه منه يستعمل كمهر لاربعة فتيات فقيرات ينتخبن من بين العوائل التى دافعت عن الشعب و ٧٠٠٠ معونة للمعوزين و ٣٠٠٠ لسد نفقات الاحتفالات الشعبية . وقد كتب نائب Laplanche من Bourges الى لجنة السلامة العامة فى ٢٩ أيلول سنة ١٧٩٣ يقول :

« ان الضرائب الثورية تسير بصورة تدعو الى العجب فقد بلغت الضرائب التى امرت بجبايتها امس لشراء الاطعمة ولمساعدة المعوزين ٨٠٠ ألف جنيه انك تستطيع ان تحكم ما اذا كان لى انصار بين الشعب وما اذا كانت هذه الطرق الثورية من النوع الذى يجذب جميع القلوب للثورة » .

وكان آخر سلاح من أسلحة لجنة السلامة العامة هو الحد الاعلى

لاسعار السلع الذي كانت تحدده الحكومة المركزية ، وقد نفذ هذا الاجراء نتيجة لاحتجاج الجماهير على تزايد اسعار المواد الضرورية بسبب المضاربة والاحتكار . ففي ٤ شباط سنة ١٧٩٣ قررت الجمعية العامة للكوميون منع أية زيادة في اسعار الخبز عن طريق فرض ضريبة خاصة على الاغنياء تبلغ ٤ ملايين جنيه . وبعد شهرين اكد Danton ذلك فقال « من الضروري ان تحدد اسعار الخبز على اساس اجور الفقراء في جميع انحاء فرنسا وان اية زيادة تحصل عليه يجب ان يدفعها الاغنياء » . وقد قررت الجمعية التشريعية ما يلي :

« في اى جزء من اجزاء الجمهورية حيث يرتفع سعر الحبوب بصورة لا تتناسب مع اجور العمال فان الاموال المجبأة من الاغنياء ستدفع من جانب الخزينة العامة لتغطية الزيادة في اسعار الخبز بالنسبة لاجور المواطنين المعوزين » .

وبعد مناقشات طويلة اقرت في ٢٩ ايلول سنة ١٧٩٣ اسس الحد الاعلى للاسعار ، وقد عهد الى الجمعية بتحضير قوائم الحد الاعلى لاسعار السلع المنتجة والمبيعة على اساس الاسعار الحقيقية لسنة ١٧٩٠ زائدا الثلث . وفي ٢٢ تشرين الاول قررت الجمعية التشريعية تكوين لجنة الطعام لتأخذ بيدها السلطة الاقتصادية في البلاد ، وخولت صلاحية احتكار الاستيراد وحق تخويل التصدير .

ان من الصعب اعطاء حكم على تأثير سياسة الحد الاعلى للاسعار فالبعض يحاول ان يبرهن على انها سببت ارتباكا في الاسواق فأختفت جميع السلع ؛ اننا لا ننكر جميع الصعوبات التي جوبهت عند تطبيق هذا القانون ومع ذلك فلنستعرض اراء بعض المراقبين المعادين للجمهورية . لقد اوضح Mallet du Pan الى الدول الاجنبية انه عن طريق الحد الاعلى للاسعار « استطاعت الجمعية ان تقوم بعملية اقتصادية وشعبية عظيمة » .

وقد كتب M. G. Lefebure ان العمل البشري وقيمة السلع تخضع لنظام تحديد الاسعار . فالحد الاعلى خفض الارباح التجارية ولكنه مع ذلك ترك مجالا لتنشيط الانتاج .

وعلى العكس مما كان يدور ويؤكد فان جميع المشاريع لم تكن تعمل وتدار بخسارة خلال الاحدى عشرة سنة من الحكم الجمهورى ولكنها لم تحقق ارباحا عظيما على حساب الشعب كما كانت تفعل سابقا . وكان المبدأ هو ان ليس لاحد الحق ان يقامر على أساس تعريض الشعب للخطر . وقد حددت الاجور على اساس مستوى الاجور فى عام ١٧٩٠ زائدا النصف (بدل الثلث فى حالة الاسعار) ومعنى ذلك ان الاجور الحقيقية قد زيدت اسميا بمقدار السدس .

وفى الواقع فانه بالرغم من ان العامل قد حصل على زيادة فى الاجور منذ سنة ١٧٩٠ فان نظام الحد الاعلى للاسعار سبب انخفاضا فيها ، وكان شعور عدم الرضا الذى انتجه قد سهل هجوم المرتشين عليه ، وفى ٩ Thermidor (١) سقط هذا النظام بدون رد فعل شعبى يذكر . هذا ويجب ان لا ننسى ان روبسيير بالرغم من وجوده فى الحكم فانه لم يكن قادرا على انجاز منهاجه المالى بصورة كاملة . ففى خطاب القاه فى ٨ Thermidor هاجم Combon بعنف قائلا : « ان معارضى الثورة قد سيطروا على مآلينا » . كما اتهمهم بالتحيز الى جانب الاغنياء الدائنين وتحطيم الفقراء بقصد نشر عدم الرضا والتذمر . وانتهى روبسيير ورفاقه الى الفشل بعد كفاح بطولى عنيد . والآن يجدر بنا ان نرى ما كان يجب عليهم ان يعملوه للاحتفاظ بالحكم . ان حلمهم بجمهورية يتساوى فيها الغنى والفقير كان حلما طوباويا بعيد المثال .

« لم يكن مقدرا ان يحرز اليقظة انتصارا تاما لسبب رئيسى واضح ذلك ان فرنسا القرن الثامن عشر كانت محاطة من جهة القارة باقطار متأخرة جدا ، ولان فرنسا نفسها ايضا لم تكن توجد حينذاك مصارف ولا اتحادات رأسمالية ولا صناعة ميكانيكية ولا سكك حديدية الخ . . . وبعد Thermidor كانت التشريعات الاقتصادية منبعثة من المكتب الاستشارى الذى كان يتألف من رجال الاعمال ومن بينهم الممول الكبير Perregaux الذى كان على اتصال وثيق برئيس وزراء

(١) الشهر الحادى عشر من السنة التقويمية التى فرضت بعد الثورة الفرنسية ويبدأ من ١٩ تموز وينتهى فى ١٧ آب .

انكلترا وليام بيت والذي عمل على إلغاء نظام الحد الأعلى للاستثمار واعاد حرية تصدير رأس المال كما رفع الحجز عن الاسهم الانكليزية الى آخره من الاجراءات وهكذا ازداد التضخم واتسع رويدا رويدا .

ان سقوط الاوراق النقدية Assignates المفجع بعد Thermidor سبق وان لاحظناه من قبل ؛ ففي السنة الثالثة للثورة طبع ما يقرب من ١٥٠٠٠ مليون منها أو ما يعادل ما طبع منها خلال السنين الاربع السابقة . وكان نتيجة هذا التضخم النقدي وارتفاع الاسعار تدهور الخزانة العامة وانحدارها في طريق مليئة بالصعوبات . لذا اتجهت الادارة العامة نحو شركات التعهد الكبرى والمصارف لانهم وحدهم كانوا يستطيعون توفير المال اللازم للدولة واستطاع هؤلاء بدورهم ان يملوا شروطهم عليها .

وفي آخر جلسة من جلسات الجمعية التشريعية اقترح الديمقراطيون فرض ضريبة تجمعية Cumulative واعلن احد النواب : « انه في مثل هذه الظروف القائمة الآن يجب علينا ان نرى كيف ان كبار الرأسماليين خاصة يمكن ان يكونوا ذوى فائدة كبيرة للجمهورية » .

وقد قاوم الديمقراطيون أول محاولة لانشاء بنك الدولة (الذي أصبح فيما بعد Banque de France) فقد هتف Robert Liudet قائلاً : « لا اشك ان انشاءه سيكون ذا منفعة لحمة الاسهم ولكنه سيكون مهلكا لفرنسا ؛ هل ان الجمهورية ستظل تشهد متعديها يكذبون الملايين ويعملون على خفض سعر العملة وتدهورها » ؟! . و اضاف نائب آخر قائلاً :

« ان فكرة البنك هذه تجعلني ارتعد فرقا فهي تغلق دستور ١٧٩٣ في قاصات رجال المال » . ولكن ذلك كان متأخرا جدا . اذ انطلقا لهيب الجمهورية باختفاء روبسبير و Saint - Just و Cauthon . وبعد ذلك بقليل استطاع الممولون Perregaux و Mallet وآخرون غيرهم مساعدة الجنرال بوناپرت Bonaparte على ان يقوم بانقلابه وان يقيم حكومة بورجوازية خنقت الثورة الفرنسية لكنها احتفظت ببعض نتائجها التي كانت مفيدة للبورجوازية الكبيرة .

ترجمة : الدكتور عبدالامير مجيد

قسم ارباع النفط

ومحنة الكارتيل

تعريب وتعليق

الدكتور مصطفى رجب

في مقال سابق نشر على صفحات العدد السابق من هذه المجلة ، قدمنا لقراء اللغة العربية خلاصة عن كيفية نشوء الكارتيل الدولي للنفط (١) وعن أسس تنظيمه الاربعة وعن العلاقة بين الشركات الداخلة في الكارتيل والحكومات الرازحة تحت سيطرته . اما مقال اليوم الذي وضع اسسه « الآن فيجيئه » - المختص في شؤون النفط - فيتناول التطورات التي حدثت في السنتين الاخيرتين والتي فرضت على الكارتيل ان يتخذ موقفا دفاعيا جديدا . فمنذ الاعتداء الثلاثي على الشعب المصري الشقيق ظهرت اعراض ضعف حادة في موقف الكارتيل أدت وتؤدي به الى اتخاذ قرارات جديدة . ويمكن القول ان الكارتيل يسير منذ عدة سنوات الى نفس المصير المشترك الذي تسير اليه الامبريالية جمعاء : فالسلطة المطلقة التي يمارسها الكارتيل في داخل حدود العالم الذي يسيطر عليه قد سبق وان نالت منها القوى المعادية للامبريالية ، هذه القوى التي تزداد قوة واتساعا يوما بعد يوم . واذا كانت شركات النفط قد انقضت عدة سنوات من أجل تهينة وفرض اتفاقات الكارتيل لسنة ١٩٢٨ ، فان سيطرته قد أخذت في التداعي

(١) نذكر القارىء بان الكارتيل الدولي للنفط الذي انشئ في سنة ١٩٢٨ يتألف من خمس شركات امريكية وهى : (١) ستاندرد اويل اوف نيوجرسي . (٢) الغولف اويل . (٣) شركة تكساس . (٤) ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا . (٥) سوكوني ، ومن شركتين اخريتين غير امريكيتين هما : (١) رويال دتش - شل الهولندية . (٢) شركة النفط البريطانية ، ومن شركة اقل من تلك الشركات اهمية هى الشركة الفرنسية للبترول .

منذ محاولة الشعب الايراني تأمين نفطه وطرد الامبريالية من الصين .
ويمكن اعتبار حركات التحرر بين الشعوب (التي يقع تحت أراضيها احتياطي البترول) العامل الرئيسي لاضعاف الكارتيل في المرحلة الحاضرة ، الا انه يمكن اضافة عوامل أخرى من عوامل الضغط منها : تطور النشاطات البترولية المنافسة للكارتيل وظهور البترول المستخرج من البلدان الاشتراكية في السوق العالمية الرأسمالية .

ومن المفيد جدا في هذا العهد الجمهوري ونحن على أبواب سياسة نفطية وطنية ان نتعرف على الظروف الخارجية والداخلية التي تفرض على الكارتيل اتباع سياسة معينة أو تجعله يفرض تلك السياسة على الشعوب التي يستغل نفطها ، كيما نستطيع التأكيد بأن الاوقات والظروف الحالية هي أكثر الاوقات والظروف ملائمة لتحقيق المزيد من المكاسب .

أولا - الكارتيل وحركات التحرر الوطني

من المعلوم ان الكارتيل الدولي للبترول قد خرج من الحرب العالمية الثانية وهو منهك القوى على الرغم من ان هذه الحرب لم تؤثر في خطوته الرئيسية .

ففقدان أسواق اوربا الشرقية وبخاصة آبار رومانيا ، وأخيرا القارة الصينية الواسعة كل ذلك قد نال من قوة الكارتيل . الا ان الظواهر تشير الى ان الكارتيل قد استطاع ان يثبت سيطرته (في بقية أنحاء العالم) على قاعدة مستقرة وخصوصا في الشرق الاوسط وفي امريكا اللاتينية . ومع ذلك فان مظاهر الاستقرار هذه تتصف بصفة الاصطناعية وذلك بسبب حركات التحرر الوطني التي تعاضمت خلال الحرب في البلدان غير المستقلة والمتخلفة وبسبب المنافسة الموجودة في صدر الكارتيل نفسه . ومنذ سنة ١٩٥١ استطاعت المحاولة الايرانية بقيادة الدكتور مصدق ان تصيب الكارتيل في احدى قواعده الأكثر استقرارا . اما النصر الذي حققته ترستات البترول على الشعب الايراني (والذي كان يبدو كاملا في حينه وانه لم يؤد الا الى تغيير بسيط داخل الكارتيل لمصلحة الامريكان) ان هذا النصر لم يستطع ان يحقق رجوعا كاملا الى الماضي ، وان التاريخ سيقدر (يوما ما) محاولة الشعب الايراني هذه كنقطة ابتداء لصراع الشعوب ضد سيطرة الكارتيل المباشرة الظالمة .

ان حل المشكلة الايرانية لم يكن ليتم من دون حصول بعض

التنازل . فقد اضطر الكارتيل الى قبول مبدأ التأمين والى الاعتراف بحرية الدولة الايرانية بان تنشئ - الى جانب الامتيازات المعطاة للشركات - شركة خاصة بها للبحث ولاستخراج البترول والتي يمكن ان ترتفع الى مصاف كبريات شركات البترول وان تفتح أبواب الكارتيل الموصدة . ان هذا التنازل قد أصبح سابقة خطيرة . فهو السيف الذى يشهر اليوم لمهاجمة مبدأ قسمة الارباح مناصفة (هذا المبدأ الذى يبدو كقاعدة صلبة تستقر عليها علاقات الكارتيل بالدول التى يستثمر نطفها) ومن جهة أخرى لمهاجمة المبدأ الذى ظل حتى تاريخ المحاولة الايرانية مبدأ لا يحتمل الاستثناء الا وهو الادارة الكاملة التى تتمتع بها شركات النفط على الينابيع الموضوعة تحت تصرفها .

اما مبدأ قسمة الارباح مناصفة فقد سبق وان تم الخروج عليه فى اتفاق حديث بين الشركة الوطنية الايرانية للبترول والشركة الايطالية E.N.I Ente Nazionale Idrocarburi التى يرأسها Mattei . وبموجب هذا الاتفاق أصبحت النسبة المئوية ٧٥٪ و ٢٥٪ وقد تم تحقيق هذه النسبة بالطريقة التالية : تبقى النسبة المئوية المبدئية ٥٠/٥٠ الا ان الدولة الايرانية تستوفى ٥٠٪ بصفتها مانحة الامتياز و ٢٥٪ عن اشتراكها بنصف رأسمال الشركة . فالامر الجديد فى هذا الموضوع هو ان الشركة قد سمحت (لأول مرة) لدولة من دول الشرق الاوسط بان ترتفع الى مرتبة الشريك وبان تراقب ادارة الثروة التى هى جزء من سيادتها وبان تساهم بالنتيجة بنشاط اقتصادى يتوقف عليه مستقبل بلادها . وهذا ولا شك هو الاسفين الذى دق فى صدر الكارتيل .

اما الاتفاق الذى وقع أخيراً بين الشركة الوطنية الايرانية للبترول وبين بان اميريكان بترولسيوم كوربوريشن فانه مبنى على نفس المبدأ . ولما كانت البان اميريكان فرعاً من ستاندرد اويل اوف انديانا فالظاهر ان بعض شركات النفط الكبرى (غير المرتبطة مباشرة بالكارتيل) فى طريقها الى الانضمام الى مبدأ تكوين شركات مختلطة مع قسمة الارباح بنسبة ٧٥٪ و ٢٥٪ فضلاً عن ذلك فان الاتفاق الاخير يحتوى على شرطين جديدين : (١) ان البترول الذى تنتجه الشركة المختلطة سينقل ، قدر الامكان ، بواسطة بواخر ايرانية . (٢) ان بيع قسم من الانتاج المستقبل سيجرى تحت العلامة التجارية للشركة الايرانية .

والمثال السابق ليس هو المثال الوحيد ، فالاتفاقات الجديدة بين

جماعة الشركات اليابانية من جهة وبين المملكة العربية السعودية والكويت من جهة أخرى قد أدت الى اعادة النظر فى قاعدة مناصفة الارباح ، اذ ان الارباح المحتملة ستوزع بنسبة ٥٦٪ و ٤٤٪ وستشمل مجموع النشاطات المترابطة للمجموعة اليابانية . فضلا عن ذلك فان البلدان المنتجة ستستطيع اكتساب قسم من الاسهم الاولى بثمن الاصدار وستستطيع الاشتراك فى مجلس الادارة .

اما المفاوضات الاخيرة بين المملكة العربية السعودية والشركة الاميركية المستقلة پان اميريكان فانها - بالرغم من انها لم تثمر بعد - دائرة على أساس قسمة الارباح ٦٠٪ و ٤٠٪ وان الارباح تشمل عمليات النقل والتصفية والتوزيع وبالطبع الاستخراج ، فضلا عن ان جزءاً مهماً من النفط الخام يجب ان يصفى فى المملكة العربية السعودية وان الصناعة البترو - كيمياوية يجب ان تنشأ محليا .

وأخيراً فان فنزويلا قد ابدلت نظام الضرائب فيها بطريقة تسمح لها بتحقيق نسبة مئوية تصل الى ٦٠٪ من الارباح .

كما ان هذه الدولة قد قررت عدم منح أى امتياز جديد فى الوقت الذى ستؤلف فيه شركة حكومية تتولى استغلال الثروات الوطنية بالمنافسة مع القطاع الخاص (١) .

وفى النهاية لابد من الاشارة الى ان الشركة الايطالية التى سبق ذكرها توالى تقديم عروضها على أساس قسمة الارباح ٧٥٪ و ٢٥٪ الى مختلف دول الشرق الاوسط والادنى .

ثانياً - قضية ماتئى Mattei الشركات المستقلة

والشركات الوطنية

فى تصريح للمستتر ماتئى الذى يترأس المشروع الحكومى الايطالى E.N.I جاء ما يلى : (سنغتنم بالطبع كل فرصة . اذ ان احتياجات ايطاليا للطاقة هى فى ازدياد مستمر ما دامت التأسيسات الذرية لا تؤلف حلاً كاملاً لمشاكل الطاقة . اننا بحاجة الى المزيد من الوقود والعمل لجيش الفنيين والعمال المختصين الذى بدأنا بتكوينه) .

فاذا كان الكارتيل قد استهان فى بداية الامر ، بالدور الذى تلعبه الـ E.N.I الايطالية ومحركها المستتر ماتئى ، فان الواجب يقضى

(١) ان ارباح شركة كريول بتروليوم (فرع من الاسو) لسنة ١٩٥٨ تنخفض بسبب هذا التشريع الجديد من ٣٣٨ مليون دولار الى ٢٣٩ مليون .

عليه اليوم ليس فقط بان يحسب لها حسابا بل ومحاربتها أيضا .
ان اهمية شركة انتة ناتسيوناله ادرو كاربورى (١) لا زالت ضعيفة نسبيا اذا أخذنا بنظر الاعتبار حجم عملياتها ، الا ان سياستها النفطية هي في الحقيقة (مثال خطر) ، اذ انها ترينا بكل وضوح انه بالامكان ، فى الظروف الاقتصادية والسياسية الحاضرة ، احداث ثغرات مهمة فى جدار سيطرة الكارتيل ، واذا علمنا ان الـ E.N.I الايطالية تتسلم ٨٠٠٠ طن من البترول الخام شهريا من مصر ، وان الاتفاق الذى وقع فى سرية تامة بين هذه الشركة وبين المجموعة السويسرية الالمانية لغرض انشاء أنبوب نفط ايطاليا - سويسره - جنوب ألمانيا لمنافسة مشروع مارسيليا - شترا سبورج - كلن المؤسس من قبل شركات الكارتيل ، اذا علمنا هذا كله ادركنا ان الطوق الذى ضربه الكارتيل حول الثروة النفطية ليس كاملا كما يخيل لاول وهلة .

ومما يشغل بال الكارتيل أيضا هو موقف بعض كبريات الشركات المستقلة الاميركية التى بدأت ، بسبب ارتفاع كلفة الاستخراج من الآبار الجديدة فى الولايات المتحدة ، بالبحث خارج بلادها عن ينابيع منخفضة الكلفة وحتى الشركات التى استطاعت الدخول فى الكونسورتيوم الايرانى (٢) فانها تريد ان تلعب دورها الخاص بها وذلك اما بالاتفاق مع بعض أعضاء الكارتيل أو بالتفاهم حتى مع خصومه (مثال ذلك الاتفاق المحتمل بين پان اميريكان بتروليوم والـ E.N.I الايطالية) ومن المهم الاشارة أيضا الى ان البحث عن البترول فى الخارج قد جلب انتباه الشركات الاوربية المهمة (بتروفينا البلجيكية ، دويتشه اردول ، ايلفيرات ، دايلمان بيرجباو الالمانية) .

ثالثا - العالم الاشتراكى والسوق الدولية للبترول

بلغت شحنات المنتجات البترولية من العالم الاشتراكى الى العالم الرأسمالى فى سنة ١٩٥٧ حوالى ٧٥ مليون طن منها ستة ملايين من الاتحاد السوفيتى والباقي من رومانيا ، ومن هذه الكمية ستة ملايين

(١) وحتى فى ايطاليا فان المعارضين لشجاعة ماتئى لم يتورعوا عن ان يرفعوا اصواتهم ضده . وفى جلسة تنصيب حكومة سينى هاجم سكرتير احد الاحزاب المعروفة بميلها للشركات الاميركية ماتئى ووصفه بـ (تابع الدولة الذى يسيطر على الدولة) .
(٢) يراد بالكونسورتيوم الايرانى : المنظمة التى خلقها الكارتيل بموجب الاتفاق الذى عقد مع ايران بعد فشل محاولة الدكتور مصدق .

صدرت الى اوربا الغربية والباقي للبلدان المتخلفة . وقد استلمت مصر وحدها مليون طن . اما فى سنة ١٩٥٨ فان الارقام لم تتغير بالنسبة لاوروبا الغربية كما انه لابد من الاشارة الى ان عمليتى الشراء اللتين قامت بهما الولايات المتحدة بشأن المنتوجات البترولية السوفيتية قد اثارتا ضجة كبيرة . ومن المتوقع ان تزداد فى سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩ استيرادات الدول المتخلفة اقتصاديا من الاتحاد السوفيتى بسبب الاتفاقات الاخيرة التى عقدت مع البرازيل والارجنتين والاورغواى والسويد . ومع ان هذه الاستيرادات لا تشكل نسبة مئوية مهمة بالنسبة للسوق الدولية الا انها من دون شك تميل الى الازدياد سواء بسبب تطور انتاج النفط فى الاتحاد السوفيتى أو بسبب الفوائد التى تجنيها الدول المستوردة .

ان وجود هذه المصادر الجديدة للتزود بالبترول مضافا الى الفوائد المالية سيسمح للشركات الوطنية وللشركات الاوربية المستقلة المهددة بالاختفاء أو بالابتلاع من قبل الكارتيل بأن تؤمن لنفسها حرية التحرك فى الاسواق . ومن الممكن الاشارة الى ان محاولات بعض المشاريع الصناعية بالتزود بالبترول مباشرة ومن دون توسط شركات النفط الكلاسيكية لها ما يسندها من تشريعات بعض الدول وبصورة خاصة البلدان الاسكندنافية . مثل هذه المحاولات سوف لا تؤدى الى تقليص أسواق الكارتيل فحسب وانما ستخلق له مصاعب جمة بالنسبة للمحافظة على أسعاره الاحتكارية ، على الرغم من ان شركات النفط المستوردة للمنتوجات السوفيتية راغبة كل الرغبة فى ربط مبيعاتها الخاصة بأسعار شركات النفط الكبرى .

وأخيرا فان المنافع التى تجنى من توسيع العلاقات التجارية مع البلدان الاشتراكية لا تقتصر على ما سبق ذكره من العوائد . ففي البلدان المتخلفة اقتصاديا والمستقلة حديثا تمكنت صناعة البترول التى يسندها الرأسمال الوطنى الخاص أو الحكومى من الحصول على المساعدة الفنية اللازمة وعلى المعدات من البلدان الاشتراكية ، فالاتحاد السوفيتى ورومانيا يقومان الآن بتجهيز الجمهورية العربية المتحدة والهند بمعدات بترولية (آلات الحفر وتأسيسات التصفية) كما ان خبراءهما يشتركون فى التنقيب فى هاتين الدولتين وفى اعداد خبراء وطنيين ممتازين .

* * *

هذه العوامل الثلاثة التى سبق تحليلها بصورة منفصلة هى فى الحقيقة والواقع مرتبطة الوشائج . اذ ان أية حركة نفطية من البلدان

الاشتراكية نحو البلدان الرأسمالية ستكون صعبة التحقيق لو لم تكن هناك صناعة بترول قوية في المعسكر الاشتراكي من جهة ولو لم يكن في البلدان الرأسمالية مستوردون مستقلون من جهة ثانية ولو لم نشهد تحفزا نحو التحرر في البلدان المتخلفة اقتصاديا من جهة ثالثة .

وتجربة الشركة الايطالية E.N.I ستكون عديمة الجدوى لو لم تكن هناك حركات التحرر الوطني التي تنتهي عادة بالتغلب على جميع العقبات ، وبعبارة أخرى انها ستكون عديمة الجدوى خارج نطاق التداعي العام للامبريالية . هذه العوامل الثلاثة تمثل الاتجاهات الرئيسية التي تتعاون للنيل من الكارتيل ، ومع ذلك فانها ليست جميع الصعوبات التي يجب على الكارتيل ان يواجهها .

ففي البلدان الغربية قام الرأي العام بدوره في هذا المجال ، فالرأي العام في هذه البلدان قد تدخل بعد ان تكتشفت له - نتيجة لما حدث في ايران وفي السويس - المخاطر التي تتمثل في تزوده بالوقود عن طريق سيطرة الكارتيل واستبداد هذا الاخير في الحياة الاقتصادية للبلدان الرأسمالية . لقد تدخل الرأي العام في ايطاليا لتشجيع ودعم الـ E.N.I وتدخل في فرنسا من أجل تطوير العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ، وتدخل بصورة عامة ، في بلدان عديدة من أجل تطوير الانتاج الوطني .

ان تغلغل الكارتيل في جميع المجالات يحمل في ذاته جرثومة النقائص المستقبلية اذ ان القوة التي اكتسبها الكارتيل في مجال تموين الصناعات تضعه في حالة اتصال مباشر مع الفروع الاخرى للنشاط الرأسمالي ، كمول للرساميل أو مشتر مباشر له قدرته الخاصة على الخزن والقدرة على استعمال مصادر أخرى للطاقة . وهكذا فان على الكارتيل ان يواجه منافسة الطاقة الكهربائية أو الذرية ، وكذلك منافسة الغاز الطبيعي الذي وان كان انتاجه وتسويقه مرتبطا بالبترول الا انه قد يخرج من سيطرته بسبب ضالة كلفة الانتاج . اما منافسة الفحم الحجري فان نتائجها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية معروفة لدى الجميع .

اما الاتجاه العام نحو تخفيف الحواجز الجمركية داخل نطاق السوق الاوربية المشتركة فانه يؤلف مشكلة في مواجهة الكارتيل . ومع انه ليس من المتوقع في السوق المشتركة حدوث تغييرات سريعة بالنسبة للنفط ، الا انه من الممكن التساؤل عما اذا كان بإمكان تنقل

المنتجات البترولية بين بلدان السوق المشتركة ان يتسبب فى تغيير مناطق النفوذ بالنسبة للأسواق المقفلة .

* * *

ان العقوبات التى واجهت وتواجه الكارتيل من شأنها ان تبلور النقائص فى داخل الكارتيل نفسه وان تخلق فى الخارج موقفا يمكن ان يبشر بتغيير جذرى . اما بؤادر هذا التغيير فقد سبق وان بدأت فى الظهور ، ومنها ما حدث أخيرا من اختلال التوازن بين أسعار الشرق الاوسط وأسعار الولايات المتحدة ، بينما نجد ان هذه الاسعار الأخيرة كانت تتخذ دائما قاعدة لتحديد جميع الاسعار . ومنها أيضا ما اعلنه المستر رايبورن (رئيس الاسوستنارد اوف نيوجرسى) من انه من المحتمل ان تكون المنافسة فى صناعة البترول الدولية من الحدة بحيث تؤدى خلال السنوات القادمة ، الى خفض أسعار البترول كما ان الـ Petroleum Press Service قد اعلنت عن نفس التوقعات (اذ ان هناك عددا متزايدا من المنتجين المستقلين فى فنزويلا وفى الشرق الاوسط من الذين يبحثون عن أرباح سريعة التحقيق فى مواجهة توظيف رساميل كبيرة .

ولما كان دخول هؤلاء المنتجين محرما الى السوق الامريكية ، فان عليهم ان يبحثوا عن أسواق أخرى . كما انه من المستبعد ان اتفاقا يمكن ان يحدد الانتاج خارج الولايات المتحدة ، اذ ان حكومات الشرق الاوسط راعبة فى الوصول الى الحد الاعلى للانتاج (١٠٠٠) .

اما الدليل على صدق هذه التوقعات فقد حدث فى يوم ١٣ شباط الماضى حينما قررت الشركات البريطانية العاملة فى الشرق الاوسط تخفيض ١٨ سنت لكل برميل فى أسعارها السائدة ، بينما لم يصل التخفيض فى الولايات المتحدة الا الى ٧ سنتات . وهكذا يحصل لأول مرة نشوز فى داخل نظام تحديد الاسعار العالمية الاحتكارية .

وهذا الاتجاه مضافا اليه التغيير المحتمل الحصول فى قاعدة المناصفة فى الارباح ، سؤدى بالكارتيل الى البحث فى التصفية والتوزيع عن تعويض لما فقد من أرباح من الانتاج ، وهذا يعنى بالنتيجة تحميل البلدان الغربية الصناعية ثمن حصول البلدان المتخلفة اقتصاديا على المزيد من الحقوق ، ومن الممكن القول ان الكارتيل سوف لن يفقد شيئا الا ان هذه العملية ستصطدم بالاستيرادات المتأتية من بلدان اوربا الشرقية وبالمنتجات المتأتية من النفط الخام غير الخاضع للكارتيل .

وظاهرة أخرى من ظواهر النقائص الحالة الا وهى القوضى التى تسود قسمة الاسواق ، وقد عبر ماتشى عن ذلك تعبيرا صحيحا حينما قال :

« ان التنظيم الحالى لاسواق البترول ناتج عن الاوضاع الطبيعية والتاريخية ، وان احتدام المنافسة من جديد فى السوق العالمية من شأنه ان يغير من هذه الاوضاع الامر الذى يجعل حصول تغييرات مهمة فى توزيع الاسواق محتمل الوقوع » . وقد يضطر الكارتيل الى التخلي عن مواقع مهمة للشركات غير الكارتيلية (الشركات الوطنية أو المستقلة) التى تسعى حثيثا لتطوير كيائها ، وفى الوقت ذاته للحد من تدخل الكارتيل فى الانتاج والتصفية والنقل والتوزيع .

وقد استطاعت الشركة الايطالية ، داخل هذا الاطار ، وضع خطتها المتعددة الجوانب والرامية الى تنسيق اتجاهات ذوى العلاقة (وبصورة خاصة فى الشرق الاوسط) فى أمور الانتاج والاسعار وقسمة الارباح والى التوفيق بين الاوضاع الحالية وما يستجد من ظروف فى المستقبل ، ويؤكد ماتئى ان مثل هذه الخطة ستكون ذات اثر فعال فى تطوير الشرق الاوسط وعلاقاته مع الغرب اذا كانت مصحوبة بسياسة اعمار اقتصادى . ويشير ماتئى الى ان المبدأ الذى اتبعته الـ E.N.I. والذى يؤدى الى اشراك البلد المنتج فى استغلال ينابيع نفطه ، ان هذا المبدأ يعتبر أول خطوة فى طريق تنسيق المصالح والجهود .

اما الكارتيل فانه يميل الى المحافظة على الاوضاع الراهنة مع أخذ روابط القوى الجديدة بنظر الاعتبار . وقد اعطت Petroleum Press Service صورة لهذه السياسة حينما اشارت الى وجوب اتباع خطة فى الشرق الاوسط من شأنها تنسيق العلاقات مع العدد المتزايد من شركات النفط العاملة بكل تفاهم مع السلطات المحلية والتى لا مهمة لها الا اداء واجبها : البحث عن البترول واستخراجه وتصديره !

وفى الوقت الذى يبحث فيه الكارتيل عن قاعدة تمكنه من التمسك بالاطواق الراهنة فان الحوادث تترى سراعا . فتقدم العالم الاشتراكي وحركات التحرر الوطنى فى البلدان المتخلفة اقتصاديا وتفاقم النقائض والصراع فى داخل العالم الامبريالى كل هذه العوامل من شأنها ان تجعل الكارتيل يجرى عبثا نحو سراب دكتاتوريته البالية .

وهناك أخيرا عامل لا تقل اهميته السياسية عن العوامل السابقة الا وهو كفاح شعوب البلدان الصناعية ضد استغلال الكارتيل ، هذا الاستغلال الذى سيزداد ضراوة كلما اضطر الكارتيل الى تخفيف حدته فى البلدان المنتجة .

الدكتور مصطفى وجب

الكتاب في بولونيا

مهمتهم ونواحي ضعفهم

*

ستيفان زولكيفسكي

« وزير التعليم العالي في جمهورية بولونيا الشعبية »

* واجبات الادب الاجتماعية

* نزوع الكتاب الى الهرب من معركة الاشتراكية

* الشكل والمضمون

ان الهدف من جعل الثقافة شعبية هو تقوية وعي الجماهير الاشتراكي ،
التغلب على ضيق الفكر وعلى الاحكام السابقة التقليدية ، تطمين جميع
حاجات العمال الروحية تطميناً تزداد انسانيته باطراد . انها حاجة الانسان
لمعرفة العالم ، للسمو بميزته الخاصة ، لتقدير القيم تقديراً صحيحاً ،
لتطوير حياته الداخلية الخاصة ، لتثقيف عواطفه ومشاعره ، انها حاجته
للتسلية وللراحة .

وللادب في هذه الميادين امكانيات كبيرة لانه يستخدم اللغة القادرة
على التعبير عن اكثر المعاني غنى ، المعاني التي يسهل للانسان ادراكها .
اما وسائل الفنون الاخرى فربما تكون - بنظر البعض - اشد اثارة ، او
ربما تحدث عواطف ميسورا ذبوعها عموماً ولكنها فقيرة جداً بالمعاني .

(*) Démocratie nouvelle, Avril 1959, pages 61 — 65
"Rôle et faiblesses des écrivains en Pologne."

ولهذا فان مهمة الادب فى تنشئة وعي المجتمعات الحديثة هى مهمة صعبة وخطيرة جدا .

ان انجازاتنا فى موضوع التعليم لازالت غير منسجمة مع مهماتنا الواجب علينا اتمامها . فلا نزال ننوء بثقل تراث الماضى . ولا يمكن ان يكون الامر خلاف ذلك ولما يمض لنا سوى اثنتي عشرة سنة . ان التقاليد البرجوازية والدينية تشكل دوما قوة ايديولوجية فى بلادنا .

فمن الطبيعى ان الوضع الحاضر فى ادبنا يدعو الى القلق . لقد تطور هذا الادب فى الخمسة عشر سنة الاخيرة ، فى اثناء الصراع الايديولوجى الذى قاده الحزب ضد المقاومة المختلفة التى واجهها ، وهو يستمر فى تطوره نحو الاشتراكية ، ونستطيع ان نفجر بكثير من المكاسب الثمينة للكتاب الذين يشاركون فى تنظيم الوعي الاجتماعى الذى يساير روح التقدم . واستطاع ادبنا ان يبرز الصفة المبدعة للتغيرات التى حصلت فى پولونيا ، ولكن الحركة التى تهدف الى التغلب على اخطاء التطبيق الاشتراكى وانحرافات فى اثناء عبادة الفرد قد كشفت فى الوقت نفسه ما يعوز هذا الادب : انه لم يتمكن ان يظهر كل تعقيدات المصائر الانسانية فى مسيرة بناء الاشتراكية .

ان ادراك الآمال المعروفة وفق هذا النحو يشكل القاعدة التى تسوغ البحث عن حلول فنية جديدة أكثر تصميمًا وأكثر ثراء . وقد اجتاز عديد من الكتاب هذا الاختبار بنجاح ، مطورين ومجددين فى اثناء ذلك ، ما حصلوا عليه سابقا ، مقتربين من الحياة الواقعية التى يدركون مغزى رقيها التاريخي نحو الاشتراكية ومسيطرين تماما - حسب النظرة الفنية - على مشكلات العمل ومشكلات نضال الجماهير . بيد أن هذا التطور قد حصل فى ظروف شاقة تماما .

فنحن لا نجهل ان اللحظة السياسية الحاسمة للحزب ، اللحظة التى حدثت فى سنة ١٩٥٦ ، كان يصحبها تجدد فى نشاط القوى الرجعية . لقد اشتدت تأثيرات الايديولوجية البرجوازية ، وقوى الضغط الكهنوتى الرجعى ، ومكنت الفوضى الايديولوجية نشاط النزعات العقائدية الجامدة والتحريفية فى داخل الحزب . ولقد نادى المحرفون بنقد عدوى للماضى ، انكروا دور الحزب الموجه (بكسر الجيم) وخصوصا فى مجرى الثورة الثقافى ، وانتقدوا مبادئ دكتاتورية الطبقة العاملة واحتفلوا بخرافة (الديمقراطية الكاملة) التى كانت تطمئن - عمليا - حرية العمل للقوى

الرجعية . فى هذه الظروف ضل فريق الكتاب الذين انصاعوا الى التأثيرات الرجعية ، فهم اما قد رفضوا اسس الاختيار الايديولوجى للمبادئ الخلاقة وللدور الاجتماعى للادب ، واما انهم بدأوا يفهمون ذلك بروح برجوازية . ويعبر عن هذا - فى الواقع - ظهور الآثار الادبية التى لا تساهم فى تقوية الوعى الاشتراكى . ويعبر عن هذا ايضا العدول عن الموضوعات والمشكلات المهمة وفق هذه النظرة خصوصا .

وهناك ظاهرة مربكة مثل ذلك هى ان ادبنا المزدهر خلال السنوات المنصرمة لم يستطع بعد أن يحل المشكلات التى قد تكون اكثر مشكلات التجديد الفنى والايديولوجى خطورة . فادبنا لم يخلق نموذجا جديدا لثورى معاصر ، ولم يتوصل الى كشف القناع التاريخى للشكل الايديولوجى للثوار كما تدركهم الماركسية الحديثة ، فى الآثار الفنية لما قبل الحرب . لقد عنيت هذه الازمة بوجه خاص فريقا مهما من الكتاب الناشئين . فاشخاصهم اناس يعيشون خصوصا على هامش المجتمع ، ممثلون نموذجيون للعالم القديم : لصوص ، متشردون ، شحاذ ، الخ .

ان مشكلات هؤلاء الناس الذين يحيون على هامش المجتمع لا تهم بواقع الامر غالبية البولونيين العظمى . فالمواقف الانسانية فى اعمال هؤلاء الكتاب الناشئين لا تعكس المواقف الواقعية لحياتنا الاجتماعية ، انها صراعات خلقها الكتاب ، مواقف رمزية غالبا ما كانت مواقف لانحرافات « محدثة » - بفتح الدال - التى لا بد - كما يدعون - ان تكشف المعنى الاخلاقى لتجارب الناس فى پولونيا . وتعكس هذه الآثار الفنية كآبة العزلة المطلقة للفرد ، الكآبة التى يبعثها وجوده ، انعدام الاهداف التاريخية للانسان الضائع فى عالم احمق . وكثيرا ما تكون هذه الآثار الفنية احتذاء لآثار فنية امريكية او فرنسية فليس لها ما يجمعها اطلاقا مع المحتوى الاخلاقى والعاطفى لتجارب الناس الواقعية فى پولونيا ، لهؤلاء الناس الذين يبنون الاشتراكية ، الذين تغلبوا على الاخطاء والانحرافات ، الذين حصلوا فى اثناء السنتين الاخيرتين على نجاحات اقتصادية بارزة وشرعوا بمهام اجتماعية شروعا مفيدا .

حذار من الديماغوجية

ان الموقف الكائن فى بيئة الكتاب جعل الفوضى تتفاقم ، هذه الفوضى المصاحبة للطريقة التى يؤدى الآن بموجبها الادب البولونى هذه الوظائف الاجتماعية . ويتميز الجو الذى يسود هناك بالحذر تجاه سياسة

الحزب الثقافية : فالمجال مفسوح للديماغوجية السياسية ، لاولئك الذين يكافحون من أجل حرية تهدف الى اثاره حملة مضادة للاشتراكية تحت شعار « حرية الكلام » ، والمجال مفسوح الى النقد الرجعى ضد الاشتراكية ، نقد التقدم الحالى .

وممكن ان يظهر هذا انسلاخ قسم من مثقفينا عن الواقع مما يكون له نتائج محزنة ، ويظهر عدم فهمهم للتغيرات الكبيرة والجوهرية ، تقدم قوى الاشتراكية الهائل الذى انجز خلال السنوات الاخيرة الرقى الحقيقى للديمقراطية الاشتراكية . وقد كان لهذا الجو معنى سياسى مباشر ساعد لايجاده انقطاع كل نشاط ايدىولوجى من اتحاد الكتّاب البولونيين الذين - بعد ان شرعوا بنقد اخطائهم السياسية سنة ١٩٥٦ - اهملوا كل شكل معقول للعمل من أجل توجيه التطور الادبى ومن اجل التأثير فى الجو السياسى ضمن وسط الكتّاب .

ولهذا السبب فقد يكون خطأ وتجريداً بالغين ان ننظر بحذر الى الكتّاب ، وان نعاملهم خصوما ذوى بأس ، وأن نميّز بينهم بسبب التردد الفكرى لفريق منهم ، بسبب تباطؤ العمل الفكرى والسياسى فى هذا الجو .

ولقد ابدى المؤتمر الاخير لاتحاد الكتّاب البولونيين - بالرغم من مقاصد الاغلبية - أن انعدام الفكر السياسى ووجود النزعات والشعارات التى ترمى الى ازالة كل معيار فكرى وسياسى للحياة الادبية باسم الحرية من دون احتفال بصراع الطبقات فى بولونيا ، ممكن ان يؤدى كل هذا الى تعميق الخلاف بين الموقف السياسى الحقيقى للبلد ، وبين موقف الوسط الادبى المفعم بنزعات متناقضة والذى قليلا ما ناضل نضالا ايدىولوجيا .

لقد دعى الحزب الى ان يعرب عن قلقه فى هذا الصدد ، ان يشير الى الاخطاء ، وان يحصر ضمن التطبيق بعزم ما يمكن ان يكون من تاثيرات سياسية ضارة . وذاك من جانبه عمل سياسى ذو صلة بقضايا سياسية .

ان مبادئ سياستنا الثقافية لم يطرأ عليها أى تغيير مطلقا ، مبادئ عرضها الرفيق (مورافسكى) فى اجتماع المناضلين عن الثقافة ، الذى انعقد فى كانون الاول ، والذى كفل حرية الابداع والديمقراطية فى الحياة الثقافية . أمّا أن بعض الاوساط قد تجاوز خلال التطبيق تلك المبادئ فان الحزب قد تمكن دائما من ان يعطى التصحيحات الضرورية لذلك بصورة فعّالة .

ولا ينبغي لنا ان نتغلب على الفوضى السائدة فى الجو الفكرى للحياة الادبية حسب ، من اجل ان نمضى فى تقوية الثورة الثقافية فى پولونيا ومن أجل ان نحدد ثقافتنا ونقربها من الجماهير ، بل ينبغي لنا ان نسيطر أيضا على العوائق التى تحول دون ازدهار أدبنا .

فما هى المصادر الفكرية لهذه الظواهر ؟ ما الاحكام السابقة التى ينبغي لنا مساعدة الكتاب على التغلب عليها ؟

تأثيرات الايديولوجية البرجوازية

واحسب أن من الواجب بادىء ذى بدء ان نفحص مسألة جوهرية لا يقدر فريق من كتابنا على الآجابة عنها آجابة عقلية ، أمن الممكن ان يغير النشاط الواعى للكتاب مساهمته فى مجرى تغيير العالم ؟

ان الرد عن هذا السؤال ايجابيا انما هو ثمرة من ثمار الثقافة التقدمية ، وكل كاتب يعرف البرهان الذى يؤيد ذلك . ولعل من السذاجة ان نذكر بذلك .

وسيتفق معنا - من دون ريب - نظريا اولئك الذين نريد مناقشتهم . بيد ان هذا النقاش سيظل سطحيًا رغم ذلك . اذ حتى ولو كنا متفقين حول فكرة جوهرية فليس بالامكان ان نشعر بذلك شعورا عميقا . وهذا له تأثيره الكبير فى العمل الادبى بصورة طبيعية .

ان الكتاب الذين اشير اليهم يتحملون نتائج الآجابة السلبية عن سؤالنا الجوهرى . وهذا ما يوضح انهم يتأثرون بالادب البرجوازى تأثيرا لا روح نقدية فيه ، تلك الروح التى يكمن اساسها تماما فى الرفض البات لامكانيات تغيير العالم . انهم يخضعون لهذه التأثيرات التى خدعتهم مظاهرها الجديدة وخدعهم مبدعوها الذين اكتسبوا شهرة فى العالم ، ومع هذا فغالبا ما تميزوا بقابليتهم واصالة ابداعهم الخارجية وثقافتهم الفنية .

والاسلوب الجوهري الذى تستعمله الرجعية من أجل الظفر الفكرى لا يركز على الدفاع المباشر عن النظام السائد بل على الدفاع غير المباشر ، وذلك بنقصانها لقيمة الامكانيات المؤدية الى تطوير العالم بواسطة النشاط الانسانى المدرك (بكسر الراء) .

ويؤدى هذا الاسلوب الى ارتضاء التغيرات والمهمات الجزئية التى

يدعون بانها وحدها تقبل حلا علميا تجريبيا . والدليل الاول على ذلك
يكونه قصر العلم على المشكلات التى لا يمكن حلها الا بوسيلة تجريبية ،
ثم نكران كل نظرية تاريخية شاملة باعتبارها نتاجا لفن مرتكز على
التكهن وليس على العلم . والذكاء الانسانى غير قادر - كما يدعون -
على التنبؤ بالتغيرات التاريخية . ذاك هو موقف الايجابيين الجدد .

ان هذا الدفاع غير المباشر لم يعد يقابل الايديولوجية الثورية
بايديولوجية أخرى تدافع عن النظام وعن العرش ، وعن المعبد . لقد
افلست هذه الايديولوجية الرجعية افلاسا جوهريا فى القرن الاخير .
وصحيح أنه لا تزال الايديولوجية الدينية - فى الواقع - لدى بعض
الجماعات الانسانية ، ولكن قل ما كان لهذه الايديولوجية معنى فى
الايوساط المثقفة .

ان اسلوب الرجعية لاكثر فعالية من ذلك ، هذا الاسلوب الذى
يستند الى التقليل من شأن الايديولوجية باعتبارها عاملا يحدد روح
النقد ، أو لتزييف التاريخ ثم لتمكين الشك فى التقدم . فليس بمقدور
تغيرات التاريخ اذن ان تنقص كمية الشر فى العالم منذ قرون .

وعلىنا ان نواجه هنا الفكرة القديمة المسيحية المتشائمة التى
تقضى بان العالم لا يتغير الا تغيرا ظاهريا . فالمسألة اذن هى تحسين
خلق الانسان ، والتغير الحقيقى وفق ما يرى الفلاسفة الرجعيون يكون
هنا غير ممكن التحقيق لان طبيعة الانسان الثابتة طبيعة فاسدة وورديئة .
ويمكننا فقط ان نعارك ضد هذا الشر موقنين ان تلك معركة خاسرة
تكون المساهمة فيها أمرا جيدا ولكنها لا بد ان تثول الى الفشل مع ذلك
بموت من يكافح ، موت حتمى للنوع الانسانى .

لنساعد من اجل تطوير الانسان

فبم يمكننا ان نجيب عن هذه التاكيدات ؟
ان قصر العلم على الناحية التجريبية هو أمر مخالف قبل كل شئ
لتطور العلم نفسه . فالفكر النظرى يؤدى مهمة حاسمة فى حركة العلم
التقدمية ، وفضلا عن ذلك فانه يتخذ صفة ايديولوجية فى العلوم
الاجتماعية .

ان دولة اشتراكية لا تولد من تحسين الدولة الدكتاتورية

البرجوازية ، تحسين لا يمكن الا ان يطابق هدف هذه الدولة الحقيقى وهو الدفاع عن مصالح الطبقة البرجوازية . ولكن يجب ان تتخذ الدولة الاشتراكية لنفسها هدفا اجتماعيا آخر : أى الدفاع عن مصالح الجماهير من أجل خلق دولة اشتراكية ، وتلك مهمة جزئية لا يمكن حلها حلا تجريبيا محضا .

فالتاريخ يعلمنا - من ناحية أخرى - ان نظرية الاشتراكية العلمية تؤذن لنا ان نتنبأ بالتطور وباقامة الدول الاشتراكية . وما الاشتراكية سوى ايدولوجية الحركة العمالية ، الايدولوجية التى تعلمنا تحديد الواجبات والاهداف والقيم الاخلاقية الصحيحة حسب مفهوم التطور التاريخى التى يقصدها النشاط الانسانى المفسر (بفتح السين) تفسيرا علميا .

واخيرا فان الانسان يتطور ما دام يطوّر العالم ، وبمقدور البشر ان يتغيروا . فنسبية انتشار مبدأ المساواة الاخلاقى للجميع عقب الثورة البرجوازية وتثبيت نتائجه ثم ذبوع مبدأ العدالة اثر انتصارات الحركة العمالية ، كل اولئك يكون الدليل على تغير البشر الاخلاقى . والقضية هنا ان نقارن المفاهيم الاخلاقية التى وجدت فعلا فى هذه الميادين منذ مائة عام وفى الوقت الحاضر . وهذا لا يعنى ان هذه الاسس الاخلاقية لا تناقض فنحن لا نتحدث عن انتصار الاخلاق ، بل عن تقدمها . وليس كل ذلك الا براهين ثقافية . ولم يكن لهذه المناقشات الفلسفية فى أثناء ذلك الوقت من تأثير فى الكتاب الذين يعنيه البحث . بل الاخرى انهم تأثروا بالنتائج السياسية للايدولوجية الرجعية : من نقد مبتذل لاهداف الاشتراكية ، وخرافات عن الرأسمالية المعاصرة وقابليتها للتجدد ، نقد ديماغوگى لتأثيرات الحزب فى الحياة الثقافية .

ان ثقافة كتّابنا المحدثين السياسية ثقافة ضعيفة بصورة عامة ؛ فلم تعمل منظمات الحزب الادبية خلال السنتين الاخيرتين غير شئ قليل لتغيير الوضع ، ولهذا فاننا ندرك جيدا تاثر بعض الكتاب بالآثار التى تزايدت فصاحتها ولكنها تفسّر وتطور نزعات الايدولوجية الرجعية .

ان بإمكان كل من فنانينا وقرائنا ان يتعلموا كثيرا من كتاب فرنسا والمانيا وامريكا ، اذ ان من شروط اثراء ثقافتنا الخاصة وتحديثها هى ان نعرف معرفة حية ، وان نحكم بروح نقدية على نزعات الثقافة العالمية المعاصرة المتعددة . وانه لأمر أن نبحت القيم بحثا نقديا ، ان

تحدد مواقفه الخاصة بنقد نزعات الآخرين ثم تطبيق معايير الاختيار
الايدولوجي ؛ وأمر آخر هو أن نخضع للاشكال الفنية من دون روح
نقدية .

ان النزعات العامة لتطور الادب البرجوازي تشير الى ان هذا الادب
قد فقد اشارات التوجيه نحو المستقبل ، وحتى لو كانت هذه ملامح
جديدة زمنيا غير اننا لا نقدر ان نعدّها تعبيرا عن التجديد ، فينبغي
للادب البولوني ان تكون له اشارات توجيهه خاصة نحو المستقبل وان
يفتح اذن طريقا جديدة .

تقاليد وبحوث جديدة

واحسب ان توجيهها مثل هذا يمكن، ويجب ان ينسجم واحترام
البحوث الخلاقة . وتقاليد الادب البولوني الخاصة تعبر في هذا
الاتجاه ، هذا الادب الذي ولد في عصر النهضة حينما كان مبدعوه في
أثناء نضالهم لاصلاح الافكار بنقدهم للعصر الوسيط الكهنوتي
وبشعارات التجديد المتلازمة وروح المثل الانسانية يتوسلون باللغة
البولونية الى بلوغ الجماهير الواسعة التي كانت تعسر عليها اللغة
اللاتينية القديمة . ان جعل الثقافة ديمقراطية هي فكرة تشتق مصدرها
وفق هذا النحو من أدبنا .

والكاتب الذي يخلق يختار : انه يرفض بعض الافكار ويقبل
منها بعضا آخر ، واحد معايير هذا الاختيار ينبغي ان يكون الواجب
الاجتماعي للادب . وممكن ان يكون للكاتب فكرة واضحة عن هذا
الواجب في أثناء تعرفه حياة الشعب وحاجاته تعرفا عميقا . ومن العسير
عليه ان يعمل ذلك من دون ان يدخل في الادب شخصيات جديدة ، من
دون ان يظهر الوسط العمالي ، مصير العمال ، ومن دون ان يرى العالم
رؤية هؤلاء الناس .

ومع هذا فليس بكاف ان نمحص التجارب الواقعية لهؤلاء الناس
في بولونيا تمحيصا تلقائيا اذ ينبغي للكاتب ان يكون لديه تكوين
ايدولوجي لكي يثمن هذه التجارب ويمحصها . وليس ممكنا عدم التأثر
بايدولوجية طليعة العمال الواعية والثورية .

وبديهي ان لا يكون هناك كتاب من دون قراء . وبديهي ان يخشى
الكتاب الادب الذي يتملق القراء قبل كل شيء ، الادب الذي ينبغي

ان يعتبر الواقع القائم فى ان اذواق هذا القارىء وعاداته الفنية هى
- عموما - دون مستوى الطليعة ثقافيا وايدولوجيا . هذه المشكلة
ينبغى ان لا تهمل .

ولا يستطيع الكاتب ان يعدل عن التجديد الفنى . ولا يمكن
للفن ان يتوقف خلال تطوره من دون ان يسبب للثقافة اضرارا كبيرة ،
وسعادة الاشتراكية الكبرى هى انها قادرة سياسيا وماديا على الشروع
بعمل جدى للتربية الثقافية . وليس الفنان بمحتاج الى العدول عن
رغباته الفنية لان الجهد النافع الذى يهدف الى تعميم الثقافة يمكن وينبغى
ان يركز على توضيح وسائل التعبير الجديدة المبتكرة (بفتح الكاف) ،
ومع هذا فيجب ان يكون المضمون الذى تعبر عنه هذه الوسائل الجديدة
قريبا من القارىء ، ان يعنى بمشكلاته ، ان يساعده كى يحيا حياة
أفضل ، ان يوجهه فى العالم ويكشف له بوضوح معنى التطور التاريخي
الذى يساهم فى صنعه .

ولابد للادب فى بلد يبنى الاشتراكية ان يركز اهتمامه على
المشكلات الانسانية لبناء الاشتراكية ، وهذا كله لا يحد من افق
الفنان : بل هو - بكل وضوح - نتيجة التحليل الموضوعى للعلاقات
الذى يحيا فيها هذا الفنان ويبدع . وكل فنان يبتغى
قول الحقيقة هو « محدد » وفق هذه الشاكلة . انه
سوف يتحدث عن الواقع كما يمثل حوله ان استطاع
هذا الفنان ان يعرفه ويفهمه جيدا ، وتتضح حرية الحكم الفنى هذه
ضمن الاطار الجديد السياسى الثقافى للحزب . وليس هناك أى منهج
الزامى ذى صلة بعلم الجمال ، ولا أى أسلوب خلاق مفروض يعيق
الكاتب فى ابحاثه الفنية . بل المسألة ان تهدى هذا الفنان ابحاثه الى
وسائل للتعبير خاصة بالابداع الذى يساعد على النضال فى سبيل
التقدم الاجتماعى فى پولونيا ، هذا التقدم المرتبط بتجديد وعى الجماهير
الاشتراكى ، وهذا يعنى لنا تقوية لوعى المجتمع الاشتراكى .

ويستطيع النقد الادبى ان يتوقع فقط ، توقعا محتملا جدا ، بان
هذا التوجيه الايدولوجى ضمن ميدان علم الجمال سيجد تعبيره فى
اشكال الاسلوب التى تقرب من الوضوح الكلاسيكى أكثر من التصنع
الغريب ومن التعقيد .

ترجمة : عبدالمطلب صالح

القيمة والرياسالية *

هنرى دنى

استاذ الاقتصاد السياسى والعلوم

الاقتصادية بكلية الحقوق فى رين - فرنسا

الفصل الأول

القيمة حسب النظرية الماركسية

يطلق فى العلوم الدارجة اصطلاح « القيمة » على أكثر الاشياء اختلافا : فكما يجرى الكلام عن قيمة ساعة ، فانه يجرى كذلك عن قيمة عمل فنى أو عن قيمة انسان ، لكن ، بالتأكيد ، لا تعنى نفس الحقيقة فى جميع هذه الحالات ؛ فننعمد ، فى بعض الحالات ، ان نضيف الى كلمة « قيمة » صفة تحدد معناها ، فنقول : ان شخصا ما يملك قيمة معنوية كبيرة ، وان لوحة ما لها قيمة فنية عظيمة ، بينما الساعة لا تملك أى شىء غير قيمتها الاقتصادية .

(*) موضوع كتاب قيم نشره المؤلف عام ١٩٥٨ سنقوم بترجمة فصوله تباعا فى هذه المجلة . وقد اشار المؤلف فى المقدمة الى ان هذا الكتاب يحل محل مؤلفه القديم « القيمة » الذى نشره عام ١٩٥٠ مستفيدا من الانتقادات الصحيحة التى وجهت للكتاب الاول ، وعلى ضوء الدراسات الجديدة والتجارب « البيداكوجية » المختلفة التى مر بها المؤلف التى سمحت له ان يدرك ، بصورة أدق ، أسلوب ماركس : المادية الجدلية . وهذا جاء الكتاب الجديد يختلف اختلافا كليا عن الكتاب الاول - العرب - .

وبطبيعة الحال ، لا يعنينا في هذا البحث غير القيمة الاقتصادية •
لكن هذا التعبير نفسه يخفى التناقض Opposition بين مبدأين متميزين
تماما • يمكننا ان نقول ، أولا ، بان شيئا يملك قيمة اقتصادية
لفرد معين ، لان هذا الشيء قابل لاشباع هذه الحاجة أو تلك ، أو هذه
الرغبة أو تلك من حاجات أو رغبات هذا الفرد • هذه الميزة ، لا تضاف
بالضرورة على الشيء ، صفة معترف بها من جميع أفراد مجموعة
اجتماعية • فأنا معتاد مثلا ، على أن استريح تحت ظل شجرة تقع داخل
حديقتي • ان هذه الشجرة لها أهمية كبيرة بالنسبة لى ، ولكن ليس
بالنسبة للآخرين •

وتسمى القيمة ، بهذا الشكل الاول ، بقيمة الاستعمال أو المنفعة •
ولا تعود دراستها الى الاقتصاد السياسى ، وانما الى علم النفس • يقول
ماركس بهذا الصدد : « عندما لا تخضع قيمة الاستعمال الى أى تحديد
اقتصادى قاطع Formelte ، أى عندما تؤخذ قيمة الاستعمال بصفقتها
هذه ، فانها لا تدخل فى نطاق الاقتصاد السياسى (١) » •

وقد حصل بهذا الخصوص نوع من الخلط ، خاصة من قبل
الاقتصاديين المنتمين الى المدرسة المسماة « الحدية » ، وذلك لان جميع
الاشياء التى تهتم الاقتصادى هى عبارة عن أشياء نافعة • ان مهمة الاقتصاد
السياسى ، فى الواقع ، هى دراسة العلاقات التى تنشأ بين الناس بغية
انتاج الاشياء الضرورية لاشباع حاجاتهم • لكن هذا لا يعنى أبدا أن
واجب الاقتصادى ان يقوم بتحليل الميكانيكية Mecanisme النفسية لهذا
الاشباع •

فاذا أردنا أن ندرس هذه القيمة ، فان دراستنا سوف لا تتناول
هذه القيمة الذاتية Subjective والفردية للاشياء ، وانما تتناول القيمة
باعتبارها صفة موضوعية Objective واجتماعية للاشياء •

ومما لاشك فيه ان هذه القيمة الموضوعية تنطبق على حقيقة معينة •
فمن منا لم يحتفظ ، باعتزاز ، بشئ رغم كراهيته له ، وعدم بقاء أية
رغبة له به ، وذلك لا لسبب الا لان لهذا الشئ قيمة • وكل واحد
يستطيع حتما ان يفرق بين منفعة الشئ له نفسه ، وبين القيمة التى
يملكها بالنسبة لكل المجموعة الاجتماعية •

(١) كارل ماركس « انتقاد الاقتصاد السياسى » ص ٨ Edition Sociales

باريس ، ١٩٥٧ •

فى الواقع ، نحن نقول بان للاشياء قيمة لاننا نرى بانها تباع
اعتياديا بأسعار ثابتة نسبيا . ان أساس قيمة شىء ما فى ذهننا
Notre Esprit هو عبارة عن العلاقة المعتادة للتبادل بين هذا الشىء وبين
النقود التى نفسها ما هى الا ما يعادل مجموع الاشياء الاخرى التى يمكننا
شراؤها . ويمكننا ، فى الحقيقة ، استخلاص علاقة القيمة بين شيئين من
علاقة التبادل بين الشىء والنقود . فاذا بيع الشىء الاول بـ (١٠٠) فرنك
بينما بيع الشىء الثانى بـ (٥٠) فرنكا ، فاننا نقول بان الشىء الاول
يعادل مرتين الشىء الثانى .

ان المشكلة التى نرغب طرحها فى هذا الكتاب هى مشكلة الاساس
الحقيقى Réel (وليس الظاهرى Apparent) للقيمة الموضوعية .
ولأدراك ما هية القيمة لا يكفى معرفة وجود علاقات التبادل المعتادة التى
تطرقنا اليها . علينا ان نفهم كيف تنشأ القيمة : باى عملية اجتماعية
Processus Social ، وعلى أى أساس قانونى ، ولا نستطيع أن ندعى
باننا نعرف أية حقيقة تمثل القيمة ما لم نتوصل للإجابة هذه الاسئلة .

المبحث الاول

يجب البحث عن القيمة فى الميدان الذى هى فيه

عندما يتناول خصوم الماركسية مشكلة القيمة ، اعتادوا الاطالة فى
تحليل الحالات الخاصة ، التى يقدرون بأنها ستترك أنصار النظرية
الماركسية . وبهذا الشكل يبدأ الاقتصادى النمساوى « فون بوهيم بافريك
Von Bôhem Bawerk » فى كتاب مشهور له ، بالتأكيد على ان النظرية
الماركسية للقيمة نظرية خاطئة لانها لا تنطبق « على التماثيل وعلى
اللوحات (٢) » .

وهناك كتاب آخرون « يدحضون » ماركس بمناقشة فرضية
الجوآل الذى يجد نفسه معزولا فى الصحراء وبدون ماء ، أو فرضية
عثور فلاح على قطعة من الذهب فى حقله . وقد أخذت بهذا « الدحض »
ما لا يعد من كتب الاقتصاد السياسى . غير انه من السهولة ان نرى
بان ليس لهذا « الدحض » أهمية تذكر .
ان القيمة ، بالمعنى الذى حددناه لها ، هى عبارة عن حقيقة اجتماعية

(٢) تاريخ انتقادى لنظريات فائدة راس المال ص ٩٩ - الترجمة الفرنسية - طبعة
Giard ، ١٩٠٣ .

Fait Social تظهر فى المجتمعات التى ينتشر فيها التبادل انتشارا واسعا . واذا أردنا ان نعلم كيف تتعين ، يجب علينا ان نأخذ بنظر الاعتبار ، لا هذه الحقيقة العرضية أو تلك التى تخص شخص أو بعض أشخاص ، ولا الحقائق التى تتعلق بفعاليات خاصة Spécifique مثل الفعالية الفنية ، وانما الحشد الكبير من الحقائق التى تخص التبادل والتى تهتم جميع الافراد الذين يعيشون فى مجتمعات معينة .

يجب اذن أن نلتقى بالقيمة عندما نتناول الاشياء المادية التى يجرى انتاجها بصورة منتظمة فى مجتمع معين ، من أجل البيع فى السوق ، والتى يطلق عليها **البضائع** .

لا يعتبر الهواء الذى نستنشقه بضاعة **لانه ليس ناتجا** ، وعليه لا يستطيع ان يملك قيمة بالمعنى الاقتصادى للكلمة . يجب أن يلاحظ ، بهذه المناسبة أيضا ، الى أى حد ، مفهوم القيمة ومفهوم المنفعة هما متميزان . ان جميع الاشياء التى لها قيمة ، لانها نتاج الصناعة البشرية ، هى عبارة عن أشياء نافعة ، أى انها قابلة لاشباع حاجات انسانية . لكن العكس غير صحيح . فليس هناك شئ أكثر منفعة من الهواء ؛ لكن ليس بالامكان القول بان للهواء قيمة اقتصادية موضوعية .

وعلى هذه الملاحظة الاولى ، يجب ان يضاف مباشرة ايضا : ان الشئ لا يمكن ان يكون له قيمة الا اذا كان ينتج **بصورة اجتماعية** ، أى يجرى الحصول عليه بصورة منتظمة بواسطة عمل عدد معين من الاشخاص التابعين لمجتمع واحد .

ان الاشياء المادية ، التى يجرى عادة تبادلها فى السوق ، فى اقتصاد رأسمالى مثلا ، هى منتجات اجتماعية ، أى أشياء جرى انتاجها بصورة منتظمة ، وحسب نموذج معين وبعدد كبير .

يصادف أحيانا ، دون شك ، ان يباع شئ لا يتوفر منه الا نسخة واحدة ، ولا يمكن ان ينتج مثله ، كما هو الحال ، بصورة خاصة ، بالاعمال الفنية . ان هذه الاشياء لها صفة استثنائية ازاء الحشد الكبير من البضائع الاخرى . ان أخذ هذه الاشياء كأمثلة لتحليل القيمة يعتبر مجافيا للمنطق تماما . وعلينا أن نضع ، من باب أولى ، جانبا حالة قدح الماء فى الصحراء وقطعة الذهب الخام التى يعثر عليها فى حقل ، لاننا ، فى هذه الحالات ، نكون تماما خارج نطاق الانتاج الاعتيادى والبيع الاعتيادى للبضائع التى تؤلف الموضوع الحقيقى لدراسة الاقتصاديين .

وللسبب نفسه ، سوف لا ندرس فرضية الزورق الذى بناه (كوروزو)
فى جزيرته • كتب ماركس بحق : « ان الصياد الذى يعيش منعزلا ،
الذى يبدأ به آدم سميث وريكاردو ، يعتبر من بقايا التخيلات السطحية
للقرن الثامن عشر (٣) » •

البضاعة هى منتج يقصد منه البيع فى السوق

لا يكفى ان يكون عندنا منتج اجتماعى حتى تبدو ظاهرة القيمة •
فالقيمة لا تبدو الا فى حالة تطور تبادل المنتجات بين الافراد أو الهيئات
المستقلة •

ان القيمة ترتبط اذاً بالتبادل • وللايضاح نضيف حالا بأنها ترتبط
بالتبادل الاجتماعى ، أى التبادل الذى يتم باستمرار وبنطاق واسع • ولما
كان التبادل المنتظم يقتضى ، فى جميع الاحوال تقريبا ، وجود عملة يباع
مقابلها الشئ ، فيمكننا القول بان ظاهرة القيمة ترتبط بوجود مجموعة
ثابتة نسبيا من المشترين والبائعين لمختلف الاشياء التى يحصل التبادل
بينها • لكن اجتماع مجموع الباعة ومجموع المشترين لحاجة ما يطلق
عليه بلغة الاقتصاديين (وحتى باللغة الدارجة) اسم السوق *Marché*
ان الانتاج ، من أجل البيع فى السوق ، يؤدى الى تمييز طبيعة الحاجة
التي تملك قيمة ، ولهذا السبب بالذات ، يطلق على هذه الحاجة اسم
بضاعة *Marchandise* •

لا زال يوجد فى الوقت الحاضر أشياء تستعمل مباشرة من قبل
الاشخاص الذين يقومون بانتاجها ، ولا يجرى عادة تبادلها ، ولهذا
السبب ، فانها لا تملك قيمة : وهذا حال بعض الادوات البسيطة التى
يملكها المزارع كالمخبط *Gaule* لاقتطاف الفواكه ، أو الاوتاد التى
تستعمل فى المزارع الكبيرة ، *Plantations* • ان هذه الاشياء لها منفعة
لكن ليس لها قيمة لانها لا تعرض عادة فى السوق • كتب ماركس
« ان الشئ يمكن ان يكون مفيد ونتاج العمل البشرى بدون ان يكون
بضاعة • فمن يشبع بانتاجه حاجياته الخاصة لا يخلق الا قيمة استعمال
شخصية (٤) » •

(٣) مقدمة فى انتقاد الاقتصاد السياسى ، طبع بعد كتاب « مساهمة فى انتقاد الاقتصاد
السياسى » ص ١٤٩ •

(٤) رأس المال ، الجزء الاول ، ص ٥٦ •

فى الواقع ىجرى انتاج أكبر قسم من الاشياء المستهلكة والمستعملة فى الحياة الاقتصادية الحديثة من أجل البيع : فلا ينتج بائع السيارات مثلاً لنفسه وإنما من أجل البيع فى السوق *

يجتمع ، فى بعض الحالات ، بائعو ومشترىو منتج معين فى نفس المكان وفى أوقات محددة • فى هذه الحالة تكون السوق محددة تماماً مثل سوق « سان جان Foire de Saint - Jean » فى مركز القضاء لبيع الحيوانات •

وتجرى صفقات عديدة جداً وذات طبيعة خاصة فى اطار تنظيمات يطلق عليها البورصة Bourse (بورصة البضائع وبورصة الاوراق المالية) • ان بورصة البضائع ، فى باريس أو بوردو ، ترمز اذاً الى مجموعة من الاسواق التى لها أهمية خاصة فى النظام الرأسمالى •

لكن مع ذلك لا تتركز غالباً عمليات بيع منتج واحد فى مكان واحد : الباعة يذهبون الى محلات المشترين أو بالعكس ، المشترىون يتوجهون الى مخازن البيع العائدة للباعة ؛ اللهم الا اذا جرت المعاملات عن طريق المراسلة • وان على الاقتصاد نفسه ان يعيّن حدود السوق حسب ما يهمه من ذلك • فاذا كان يهمه معرفة الخواص المحلية لتبادل منتج معين ، فانه يستطيع ان يأخذ بنظر الاعتبار مجموع المشترين والبائعين للمنتج موزعين على الارض التى تخص ناحية Canton واحدة ؛ وبذلك يحصل على **السوق المحلية** Local للمنتج • لكن يستطيع أن يتناول كذلك السوق التى تشمل منطقة Marché Regional أو السوق الوطنية أو السوق العالمية لنفس المنتج •

اننا نلتجأ الى عالم **السوق والبضاعة** من أجل شرح ظاهرة القيمة ؛ ونأمل ألاّ يأتينا من يحاجنا بأمثلة مثل « قيمة » صوت فنان مسرحى ، أو « قيمة » زورق صنعه « كوروزو » فوق جزيرته • نحن نسعى الى تحليل الحشد الاعظم من الوقائع السائدة فى العالم الاقتصادى المعاصر ؛ وليست الوسيلة من أجل بلوغ هذا الهدف أخذ حالات لا تعتبر على الاطلاق ممثلة لهذا العالم •

قوة العمل باعتبارها بضاعة فى العالم الرأسمالى

تحتل القيمة أهمية كبيرة ابتداءً من اللحظة التى تقوم بها الحياة الاقتصادية للمجتمع على انتاج الحاجات التى تباع بانتظام فى السوق • ان الرأسمالية تطور نظام تبادل السلع بصورة سريعة • وتعمل خاصة

من قوة العمل الانسانية بضاعة • يجب النظر الى هذه البضاعة الخاصة ،
قوة العمل ، باعتبارها شيئا يتميز تماما فى آن واحد عن العامل وعن
العمل نفسه •

فى مجتمعات العبودية ، يجرى بيع وشراء العامل نفسه ، انه يوضع
بجميع قواه الجسمية والذهنية والمعنوية ، وحتى بصفته كإنسان حى ،
تحت رحمة الشخص الذى يملكه • ان السيد يستطيع ، بلا شك ، ان
يشغله ، أى أن يستعمل قوة عمله ، لكنه يتمكن أيضا استعماله
مباشرة ، كوسيلة لذاته ، ويستطيع ان يقتله اذا كانت هذه هوايته
Caprice •

اما الاجير فى النظام الرأسمالى فهو بالعكس • انه غير خاضع
خضوعا كاملا لمستخدمه • انه يتعهد فقط بان يضع تحت تصرف الاخير ،
خلال فترة معينة (شهر ، أسبوع ، يوم ، ساعة) المميزات العضلية أو
العقلية التى تضافى عليه قابلية معينة للعمل •

ان هذه المؤهلات تتميز بصورة واضحة عن صفات أخرى ليس
للمستخدم (بكسر الدال) مبدأيا سيطرة عليها (الصفات الخلقية
مثلا ، الصفات الجسمية التى ليس لها علاقة بالعمل الذى يقدمه) •
يطلق على المؤهلات الاولى اسم قوة العمل •

ويتميز عن قوة العمل هذه ، العمل نفسه الذى ما هو الا النتيجة ؛
لأننا نستطيع ان نحصل بالتأكد ، بنفس قوة العمل التى نملكها خلال
وقت معين ، على مقدار قليل أو كثير من العمل الحقيقى • منتصور مثلا
عاملا مكلفا بتزويد الماكينة البخارية بالوقود • اذا كان على الماكينة ، فى
يوم من الايام ، ان تجهزنا بضعف طاقتها المعهودة ، فيجب على العامل ،
بداهة ، ان يمدّها بالوقود مرات أكثر • ان قوة العمل تؤدى ، فى
هذه • الحالة ، عملا أكثر أهمية منه فى الايام العادية •

يعتبر بيع قوة العمل ، كبضاعة ، الصفة الخاصة Spécifique
للنظام الرأسمالى • ان الحرفى لم يبيع فى القرون الوسطى قوة
عمله ، وإنما استغلها مباشرة بفضل وسائل الانتاج (آلات ، مواد
أولية) التى كانت بحوزته • اما فى النظام الرأسمالى فان العمال ، هم
بعكس ذلك ، لا يملكون وسائل الانتاج ، ولذا فانهم مجبرون من أجل
الحياة أن يبيعوا قوة عملهم • هكذا كما يقول ماركس : « ان تحول النقود
الى رأسمال يستلزم اذاً من مالك النقود أن يجد فى السوق على العامل
الحر ، الحر من ناحيتين : أولا ، على العامل ان يكون شخصا حرا ، متمتعا

بقوة عمله حسبما يشاء وكبضاعة تعود له ؛ وعليه ثانيا ، ألا يملك بضاعة أخرى يبيعها ، أو بعبارة أخرى ، أن يكون حرا فى كل شىء ، محروما تماما من الاشياء الضرورية لتحقيق قدرته على العمل(٥) » .

ويقول لينين بصورة أكثر ايجازا : « الرأسمالية ، هى الانتاج البضاعى فى أعلى تطوره ، عندما تصبح اليد العاملة نفسها بضاعة » .

قيمة الخدمات

رأينا أن بإمكان قوة العمل ان تصبح بضاعة . وينطبق نفس الشىء على العمل نفسه ، أى نشاط الانسان المبذول من أجل هدف معين : عندما احلق شعرى اقوم بشراء عشرين دقيقة من نشاط الحلاق أو من خدماته(٦) مقابل ثمن معين .

وتنشأ فى الاقتصاد السياسى مؤسسات تشتري قوة عمل العامل الحلاق مثلا ، وتعيد بيع خدماته للزبائن ، ويجرى فى هذه الحالة انتاج الخدمات وبيعها بنفس الشروط التى تجرى بالنسبة للاشياء المادية بالضبط . وللخدمات قيمة شأنها فى ذلك شأن الاشياء المادية المتبادلة فى السوق(٧) .

ان الحرفى المستقل ، الذى يعمل من أجل السوق دون أن يتجسد عمله فى شىء مادى ، يبيع هو الآخر خدمات ، كحالة الحرفى الحلاق . وعلى العكس من ذلك ، فان الخدمات التى لا تباع فى السوق لا يمكن ان تشبه بالبضائع ، كما فى حالة خدمات الموظفين مثلا(٨) . ان القيمة المتجسدة بالخدمات هى فى الواقع ، من ناحية الكمية ، أقل أهمية بكثير من القيمة المتجسدة فى المنتجات المادية للاقتصاد الرأسمالى .

ترجمة : أبو سعد

(٥) رأس المال ، الجزء الثانى ، ص ١٧٢ ، Edition Sociales ، ١٩٤٩ .

(٦) يعنى ماركس بكلمة خدمة : « بانها ليست الا تعبيراً يستعمل للدلالة على قيمة الاستعمال الخاصة التى يقدمها العمل - (تقرا بدون شك قوة العمل) كإى بضاعة أخرى . ومع هذا ، فهى تعبير خاص يستعمل لتعيين قيمة الاستعمال التى تجهزنا بهذه الخدمة على شكل فعالية Activité وليست على شكل شىء Chose : كإى ماركس « نظرية فائض القيمة » ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٧) نفس المرجع ص ١٨٦ .

(٨) سنرى بان خدمات أعضاء المهن الحرة لا يمكن ان تشبه بالبضائع نظرا للطابع « الشخصى » لهذه الخدمات .



الدكتور على سعد

مثلما تورق الاشجار كل عام ، ومثلما تمر اسراب الطيور في السماء مع كل ربيع أو خريف ، اعتاد الشاعر عبدالوهاب البياتي ان يطل علينا كل عام بديوان جديد وليس في ذلك أية بدعة ، فان من بشائر العافية أن يبدو الشاعر كالارض الطيبة اذ تقبل علينا بالغلل والمواسم بانتظام وسخاء لان في طبيعتها ان تكون خيرة معطاء . وبهذا العطاء المنتظم كانتظام الفصول ، يبتعد الشاعر عن المفهوم القديم الذي كان يجعل من الشاعر انسانا ملهما ومبدعا خارقا ، يستنزل الوحي من جن أو آلهة متقلبي المزاج ، لا يظهرون ولا يتكلمون الا على هواهم دون انتظام وعلى غير ميعاد .

وعبدالوهاب البياتي أحد شعرائنا القلائل الذين هم ابداء على موعد مع اللحظة الشعرية لانهم يبحثون عن مادة شعرهم في كل ما يختلج في افئدتهم وما يعصف بحياة الناس حولهم وبالتالي في حياتهم وفي كل فلذة من كيانهم . فالشعر عند البياتي وظيفه تكاد تكون عضوية كالنمو والتنفس ونبض القلب . الشعر عنده مظهر دائم من مظاهر الحياة العقلية والبيولوجية . انه الحياة نفسها .

لذلك ينتفى في شعر البياتي طابع اللهو واللعب . ولذلك يغلب على جميع شعره ، حتى شعر صباه الاول ، طابع الجد في النظرة للاشياء والاحداث والناس . وهذا الجد يعمق ويغور حتى ينتهي الى نوع من

النظرة الدراماتية الى الحياة • فالبياتى ، منذ مجموعاته الاولى ، لا ينفك
عن التحويم حول مواطن المأساة فى الحياة ، حول معانى الموت وينابيع
الدم والدموع والهموم •

وكلما تقدم البياتى على الدرب الشعرى ، ازداد شعوره بالمأساة
حدة وغنى وعمقا ، وتحول مرتكزها فى نفسه من ميدان الفرد الانسانى
المتخبط فى شباك همومه الذاتية والضائع فى تلقيه السلبي لضربات
الوجود ، منسحقا امام فراغه وعجزه وبؤسه وجهله وسأله ويأسه ؛
تحول الى آفاق المأساة الانسانية ذات الجذور المتشعبة التى تتجاوز نطاق
الفرد الى النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمع البشرى •

وبعد أن كان الفرد الانسانى ، فى دواوين البياتى الاولى ، امرأ
لا وجه له ولا ارادة ، ألقى فى قلب المأساة ، رغما عنه ، فألقى نفسه
يرزح فى نوع من الاستسلام والاذعان ، تحت اعباء وفى برائن قدر
أعمى لا حد لسلطانه وطغيانه فى انزال الكوارث ؛ نجد فى شعر
البياتى ، فى السنين الاخيرة ، أن المأساة أصبحت لونا من الصراع
الملحمى الذى يخوضه الانسان الحر الثائر امام قوى الطغيان والظلام التى
تحاول ان تكبله وتعرقل نموه أو أن تدمره •

لقد اخذت تبرز فى اللوحات القائمة ملامح اكثر وضوحا لاطراف
اللعبة الدامية التى يحلو للشاعر الدوران حول اسوارها •

فالانسان الذى يتجرع الألم والعذاب والسجن والموت فى قصائد
(حتى الموت) و (لو قلتها) و (انتظار) من المجموعة الحاضرة ، لم
يعد ذلك الاتفاق البائس المبهم القسّمات الذى كان فى مجموعتى « ملائكة
وشياطين » و « أباريق مهشمة » يهيم فى طرقات المدن ويضيع فى متهات
عواملها الغريبة ؛ وانما هو ، هنا ، انسان من لحم ودم نعرف لون عينيه
ونعرف الاسباب التى من أجلها حرم الحرية والهناء والحياة • انه واحد
من عشرات آلاف المناضلين الذين أبوا أن يذعنوا ويركعوا ، وأرادوا أن
يتحدوا القدر ويتحدوا الاستعمار والبغى ، فذاقوا ويذوقون طعم الموت
فى مقابر الاحياء ، فى السجون والمعتقلات التى فتحتها الحكام الطغاة
فى ارضنا العربية ، لخلق كل ارادة حرة •

ويعرفنا الشاعر الى بعض الجوانب من العقوبات الجسدية والمعنوية
التي تعرّض لها هذا الانسان الثائر : نزع الاظافر والضرب حتى الموت ،

وحتى تصبغ الدماء الارض :

ذاك الرفيق الاسود العينين ساهد
نزعوا اظافره
فظل طوال ليل الليل صامد
ضربوه حتى الموت
لم ينبس
وظل طوال ليل الليل صامد

وفى أحسن الحالات تكون العقوبة تشريدا (بعد نزاع الجنسية)
وما يستتبع هذه الجريمة التى تستهدف ان تنزع عن الانسان انسانيته
باقتلاعه من ارضه وجوه وعائلته وكل ما يربطه بوطنه :

بغداد برحنا الهوى
لكن حراس الحدود
يقفون بالمرصاد ،
حراس الحدود

وكما فى قوله :

ها أنت
هذا أنا
ماذا سيجدي السينا ؟
من بعد أن سمّموا
فى حقدهم خبزنا
بحيرة من دم
تفصل ما بيننا
وعبرها أرضهم
تصقل اغلالنا
انا هرمننا وها
أنت • وهذا انا

ويا للحرقة فى هذه الصيحات المبحوحات التى ترتفع من حنجرة
الشاعر ، ففى هذه الكلمات الجريئة • تكاد تتجمع كل دموع الانسان
وحسراته وغصاته ، على الهناء الذى يبدد ، والحياة التى تلوث والاعمار
التي يهدرها الجلادون الطغاة • وما كان للشاعر أن ينجح فى تركيز كل

هذا الالم فى هذه الكلمات القليلة لو لم تكن حصيلة تجربته الشخصية
فى الملاحقة والتشرد أيام كان ليل الارهاب منسدلا على أرض العراق .

وفى مجموعة « كلمات لا تموت » لا يبدو الانسان محطما ، ذليلا
امام المآسى التى تنصب عليه . انه يبدو أقوى من جلاديه وأعز جانبا
وأعلى جبيننا :

قالوا له : ماذا ؟

وفى عينيك عصف الكبرياء

يا اسود العينين

يا حبي المخضب بالدماء ...

والانسان الذى يدفع دماء وحرите وحياته ثمنا لكبرياء شعبه
وحرите لا يلقى فى الموت هزيمة نهائية .

ان المناضل الذى يرد حياض الموت فى سبيل تحقيق حلمه بمستقبل
أسعد يظل منتصرا رغم العذاب ورغم الموت . ان الشاعر يعده بالخلود
وبالبقاء ، بقاء الحى الفاعل القاهر :

ستعيش فى قلبى

وفى شعرى

الى أبد الاداهر

ستعيش جبارا مغامر

هذا الانسان الذى أبى ان يرضخ للارهاب وان يركع امام الطغيان
وأن يقبل الحياة التى يتصدق بها سارقو ينابيع الحياة فى المجتمع ،
فاستطاع ان يقهر الموت لفرط ايمانه بالحياة وبعدالة النضال لاسعاد
البشر ، هو الانسان الجديد الذى تبشر به قصائد عبدالوهاب البياتى :

لكنك الانسان

والانسان قاهر

يا اسود العينين

يا حبي المغامر

وثمة فكرة أخرى تعبر عنها بقوة قصائد المجموعة « كلمات لا تموت »
وهي الايمان العميق بقيمة الفنان والشاعر وباستحالة فناء الكلمة
وبقدرتها على تحويل الكون وبنائه وصياغته .
وعنوان المجموعة ، المستقى من عنوان احدى القصائد ، يدل دلالة
واضحة على هذا الخط المستمر فى تفكير شاعرنا :

كلماتى
لن تهزم
كلماتى
لن تهزم
كلماتى
لن تصدأ

وقد يبدو هذا الجزم ضربا من الادعاء والتبجح اللذين لا يخلو منهما
احد من الشعراء التقليديين . ولكن من المرجح ان عبدالوهاب البياتى
لا يعنى هنا شعره هو ، وحده ، فالكلمات هنا ليست الا رموزا للافكار
والمبادئ التى يحملها ويناضل لاجل نصرتها . وفى عبارة : « كلماتى
لن تهزم » دلالة ضمنية على انه يعنى ما هو أبعد من الكلمات وانه
يأبى ان ت طال الهزيمة القضية التى تجسدها كلماته ، قضية « الانسان
القاهر » التى يغنيها .

هذا التبجح الظاهر ليس الا وجها من وجوه الرغبة فى التفاؤل
والثقة بمستقبل الانسان رغم الجوع والمهانة والتشريد والسجن والتقتيل
ورغم المآسى التى يتعرض لها بفعل النظام الجائر كما يصورها الشاعر :

وأنا ابصر
وسمائي تمطر
عبر الظلمات
احزان الفقراء
وهم يبكون
تحت الشرفات
فى المدن المقهورة
فى المدن المقرورة

وكأنما يحز فى نفس الشاعر أن يقف مكتوف اليدين امام هذه

المآسى ، وان يظل جميع الفنانين والشعراء والمتقنين ، عاجزا عن
الاسهام فى صنع المجتمع الذى يبنيه ويهدمه أصحاب النفوذ السياسى
والمالى والعسكرى ، فلا يملك الا ان يلتجئ الى استخدام الوسائل الوحيدة
التي يملكها رجال الفكر والفن : تحريك المعانى والاشواق الى عالم مقبل
من صنع احلامهم ، افضل من العالم الذى يبنيه سواهم ، عالم الطفلة
والمستغلين .

ولعل البياتى اكثر شعرائنا الحاضرين تعبيرا عن الحرقه التى يحسها
هؤلاء الشعراء والفنانون ليس فقط بسبب التباين بين طاقات اخيلتهم
واحلامهم الكبيرة من جهة واسهامهم الفعلى الضئيل فى بناء التاريخ من
جهة اخرى ، وانما ايضا للمصير المر الاسود الذى يلقونه فى مجتمعهم
الجاحد الذى افرد لهم أدنى الدرجات فى اغوار بنائه المتراتب ، ولم يكن من
نصيبهم الا الاهمال والجوع والبؤس والهوان ، كما فى قوله :

فتعال تعال
حيث الاسمال
حيث الشعراء
الشهداء الاحياء
فى مدن الفقراء الكبرى
فى المجرى
فى الاعماق
يحترقون ينتظرون
فى الساحات الملتهبة
بعيون مكتئبة
.....

أو قوله :

فى مقهى
فى لوحه
فى صيحه
أطلقها فنان جائع ...
يستجدي ..
فى الطرقات ...
ويبيع الكلمات

وتمشياً مع هذه الرغبة الحقيقية الخفية فى الاسهام باعمار الكون
على اسس افضل ، وفى محو مساوىء النظام الاجتماعى الحاضر ، يحلو
للشاعر ان يفتح لنفسه ولقرائه كوى زاهية على عوالم مشرقة تخلقها
كلماته على أجمل ما يكون الخلق :

فسيأتى شاعر
من بعدى
فى باقة ورد
فى مشعل
يقتحم الاسوارا
ويضىء الانوارا
وسيصنع من كلماتى
من حبر دواتى
مدنا وحدائق
ونجوها ومطارق

يبدو من هذه الابيات أن الأحرف عند البياتى ، ليست مجرد رموز
كتابية لا فعل لها الا فى الذهن وانما هي كائنات تملك الوجود المادى
الذى يمتلكه الاشخاص والاشياء .

والبياتى لا يعتقد ان كلماته وحدها تملك هذا الفعل السحري
وهذه القدرة الخارقة على صنع المعجزات وانما يحاول ان يشرك بها جميع
الشعراء عندما يقول :

ماذا على الشعراء لو قطعوا يد المتطفلين
واشعلوا نار الحنين
فى ليل عالمنا
ودكوا بالاناشيد العروش

وفى مجموعة « كلمات لا تموت » قصائد أخرى تحمل معانى أخرى

وتفتح نوافذ أخرى على عالم البياتي . وفيها ، في جملة ما فيها قصائد
تعتبر من عيون الشعر الغزلي ومن الشعر الملموم المنم الذي لا نرى له
مثيلا في رفته وعدوبته وشفافيته ورشاقتة وتركيزه ، في اناشيد الهند
وفارس . ومن الذي يسمع قول البياتي :

كقطرة المطر

كنت وحيداً

آه يا حبيبتي ، كقطرة المطر

لا تحزني

سأشتري غدا لك القمر

ونجمة الضحى

وبستانا من الزهر

غدا اذا عدت من السفر

غدا اذا أورك في ضلوعي الحجر

من الذي يسمع هذا القول المسلسل النديّ ولا يحس بألف نافذة
على الربيع تتفتح في نفسه ، وبأقصى ركن في ضلوعه يورق ويتقطر ضياء
وبسمات وحنينا ورجاء .

ولكن كل هذه القدرة عند عبدالوهاب البياتي على اداء أرق المشاعر
وأدق الخلجات العاطفية وأبهى الاحلام والرؤى بنبرات لا أصفى ونغمات
لا احلى ، كل هذه القدرة لا يمارسها الشاعر الا بمقدار وبشيء من الخفر
والاستحياء كأنه يسرق ثمرة محرمة ، فلا تبدو همساته الوجدانية الا
زركشة حيية لعالم نضاله الخالك الدامي الذي يبدو أنه نذر له كل خفقة
من خفقات قلبه . وقد بلغ بعبدالوهاب البياتي ، الشاعر المناضل ، من
الاندماج في قضية نضاله لتحرر وطنه الذي كان يحمله في قلبه وعينيه
وجميع حواسه حيثما ذهب ، أثناء منفاه ، انه يتحدث عن هذا الوطن ،
عن شعبه وعاصمته بغداد كما يتحدث عن أشياء تخصه وحده وكأنه وحده
ابن هذه الدنيا البعيدة التي يغنيها :

الشمس فى مدينتى

تشرق ، والاجراس

تقرع للابطال

.....

شعبى العظيم

انى وهبتك كل ما فى عالمى الارضى

من حب عميم

.....

وقد لا يحب الكثيرون كل ما فى مجموعة « كلمات لا تموت » .
وقد يكره البعض ما يبدو فى عدة قصائد من صراحة وقسوة فى مخاطبة
الشعراء الآخرين .

وقد ينفر البعض الآخر من بعض مظاهر الاهمال البادى فى صياغة
بعض القصائد حيث يغلب الكلام العادى ويضطرب النغم ، وفى بعض
الاحيان يقتصر الشعر على كلمات مفاتيح متقطعة لا يربط بينها أى رابط
منطقى ظاهر .

وقد يقال أشياء كثيرة فى نقد هذا الشعر . ولكن الذى لا يمكن
اتهامه به هو انعدام الصدق فيه . فالبىاتى قد تعتمد التخلي عن كل
المحسنات اللفظية وفن التوشية وعن الكثير من وسائل البيان والبديع
وحتى عن أصول المنطق حتى لتبدو بعض قصائده كالخناجر العارية أو
الاورتار المتجردة الا من مضمون نغمها وجوهر فعلها . ولكنه ابدا لا يتخلي
عن صراحته وعن نبرة الصدق فى غنائه .

فالشعر ، عند عبدالوهاب البىاتى ، طريق الى البراءة ولون من
ألوان العودة بالانسان الى حالة الطفولة ، أى الى الحالة التى يكون فيها
الانسان أقرب ما يكون الى الطهارة والى حدة الاحساس وعفوية الانفعال
وسرعة التعبير عن الدهشة والافتتان والتأثر بكل ما يدور حوله .

الشعر عند البىاتى وجه من وجوه الشفافية امام اعين الناس وأمام
اضواء الحقيقة والتاريخ .

بيروت

الدكتور على سعد

تموز

إله الربيع والخضاب والنماء

الشاعرة لميعة عباس عمارة

« من اتحاد الادباء العراقيين »

على ضفاف الفرات
تضطجع المدينة السمراء
مدينة الوركاء
يلفها البخور
بالسحب البيضاء
ويلهج الكهان بالدعاء
لأيما إله
فكل معبد له إله
تتلى له الصلاة

كان الفتى تموز
رب الربيع الحلو والنماء
يطربه الدعاء
فينثر الزهور والانداء

(*) من أساطير الآلهة العراقية في الأدب العراقي القديم .

حزامه العريض من جلد نمر
وخيطة نعليه من الحرير
وصدره المكسو بالشعر
يطفح بالاحلام والعبير

وفى صباح مشرق بليل
وسط غمامة من الشذى
مرت به عشتار
الاهة الجمال والاغراء
تبحث عن متيم جديد
تفرقه بالحب والصهبا
وكان تموز الفتى السعيد .

لكن عشتروت
الاهة الجمال والاغراء
لم تعرف الوفاء
عريضة كعهدا
تستعجل اللقاء .. والجفاء ،
فانصرفت تبحث عن مقيم جديد
وخلقت تموز
يشرق بالحب
معذب القلب .

وشاع فى الوركاء :
أن الفتى تموز ما عاد من الأحياء
جنّ بحب عشتروت ربة الاغراء
فلم يعد بعد لنا ربيع

ولم يعد فى معبد الربيع
من كاهن يلهج بالدعاء
وخلفت مجمرة البخور
رمادها لرحمة الهواء ،
أخطأ رب الخصب والنماء فلم تعد تعبده الوركاء .

ومر ألفان من السنين
وبعدها ألفان
وكان تموز الفتى النحيل
منزويًا فى كوخه فى غابة النخيل
على ضفاف دجلة العظيم
لم يدر عن وجوده بشر
إذا بطرق لاهج عنيف
لم تكن الريح ولا المطر
- من أنت ؟ ما تريد ؟
هيهات أن أعبد فى النهرين من جديد
- تموز يا رفيقنا العظيم
افتح لى الباب ، أنا كريم
حدق تر الجميع يهتفون
بمجد تموز كما لم تشهد الوركاء
الكل يهتفون :
تعيش يا تموز يا ربيعنا الوضاء
- بل عشت يا كريم
يا بطلى العظيم
يا باعثا تموز من جديد
ملاحناً على شفاه الغيد .

ليعة عباس عمارة

تموز ١٩٥٩

قصة عراقية



مهدي عيسى الصقر

« من اتحاد الادباء العراقيين »

أرامل .. مطلقات .. ذوو قتيل .. أهل طفلة اغتصبها بائع
صمون كهل .. مرابون .. مومسات يسخرن - بلا خوف - من رجال
الشرطة .. محامون - في أرديتهم السوداء - يصغون ، في صبر ،
لموكلهم يروون قصصا طويلة .. معقدة .. غريبة .. فاجعة - قبح
مدينة يطحن أهلها الرعب والفقر والضجر . وفي هذا اليوم كان في
الفناء كثير من الجواسيس .. يندسون بين الناس .. يسترقون
السمع .. يتصيدون الهمسة .. ويرصدون كل حركة بنظرات خبيثة
فيها حقد لا مبرر له .. حقد بأمر الحكومة .. كانوا يحاولون التنكر
في أزياء ساذجة .. أغبياء ومساكين ، ونحن لا نحقد عليهم .. أبدا ..
صدقني .. لكن ما العمل ؟ هم الذين يطاردونك .. والملك يجلس
في القصر .. هذه هي المأساة دائما .. جهل ! على أي حال .. كنا
نحن ننتظر .. وكانوا هم يراقبوننا وينتظرون .. وكانت المدينة
- المتخنة الجراح - تصب قبحها في الفناء كالعادة ؛ لكنك كنت
تستطيع أن تشم في الهواء رائحة قضية جديدة .. ليست طلاق ..
ولا دين .. لا .. انت تشم رعبا .. فالمدينة - التي تنز قيحاً - توشك

الآن أن تصب بعض غضبها في فناء المحكمة .. وها هم الشرطة ..
عدد كبير من الشرطة .. يدخلون فجأة فيشقون طريقهم بين الزحام ،
وينتشرون هنا وهناك .. ويتلفت الناس - الذين يجهلون القضية -
اليهم في استياء وكره .. ويخفت الضجيج .. ويسود رعب وترقب ..
وبعد دقائق يدخل المتهمون الستة ! يطوقهم عدد آخر من الشرطة ..
شاهرين السلاح ، وحديد البنادق والحرايب يلمع .. كنت تحس برودته
في عظامك .. وكان منظرها يستفز .. فيه تحدي ودعوة للحرب
نعرفها جيدا .. وكان يتقدم الطوق المسلح عريف فظ الملامح ، يسير
كالفاتح ، ويردد في خشونة وهو يدفع الناس بأخمص بندقيته
« طريق ! طريق ! » وتسري همسات « ها هم يدخلون ! » ويتساءل
بعضهم « من هم ؟ » فلا يرد أحد .. ألا يكفي كل هذا الارهاب للدلالة
عليهم ! ومن الزوايا تتجمع نحن بسرعة ونقف عند المدخل .. وبين جدارين
كثيفين من أجسام الرفاق والاصدقاء يسير الموقوفون الستة في
شموخ .. يحملون قيودهم في فخر .. وأمامهم عباس بقامته الطويلة
ووجهه الاسمر الهادي .. ووراء الشرطة تماما تسير أم عباس ..
ووجهها المليء بالتجاعيد يبدو متعباً ، ولكن في غير تخاذل .. وعيناها
تلمعان غضبا وحقدا .. وتشاهدنا فتقف قليلا وتهمس « يا لله ندخل ..
راح يحاكموهم ! » فنحيط بها ونزحف ، في صمت ، صوب قاعة
المحكمة .. ويبتعد الشرطة الآن بالموقوفين الستة ويدخلوهم غرفة
صغيرة في نهاية البناية .. كانت قاعة المحكمة الكبرى خاوية وعند
بابها وقف شرطى .. ونتدفق جميعا الى داخلها فنملأ المقاعد والممرات
والنوافذ وكل شبر فيها .. ونظل ننتظر .. وبعد فترة تدخل هيئة
المحكمة فتأخذ أماكنها وراء المنصة السوداء .. الرئيس قصير ممتلئ ..
محتقن العينين .. والى جانبه جلس اثنان يبدو علي وجهيهما الضجر ..
ونائب المدعى العام شاب مترف متأنق .. لعله لأول مرة ينازل - وجهها
لوجه - اعداءه الحقيقيين الذين سيقفون في القفص - بعيدا - تحت
حراسة الشرطة .. ومع ذلك - وبالرغم من محاولته الظهور بمظهر
النمر - ليس مرتاحا جدا .. ويبدو أن ثمت شيء يضايقه .. رئيس
المحكمة وزميله والنمر المترف يرغبون جميعا في أن ينتهوا بسرعة ؛
الا ان ازدحام القاعة بهذا الشكل الغريب - هذا اليوم - يثير دهشة
الرئيس واستنكاره ، فيظل ، من وراء منصته السوداء ، يحدق في
الوجوه طويلا ، ثم يعلن في صوت متبرم ، بدء الجلسة ، وينادى أول

الستة : « عباس محمد ! » فيردد الحاجب النداء ، ومنتطلع نحن جميعا الى الباب الصغير المفضى الى القفص فى ركن القاعة وتمر لحظات طوال ثم يدخل . وتصافح نظراته الحبيبة وجوهنا ، وعندما تلتقى عيناه بعيني أمه يطيل التحديق الى وجهها المتعب ويبتسم مشجعا ونتوقع أن تقول أمه شيئا ؛ الا انها تكتفى بأن تمتم لنفسها « يا عيوني عليكم ! » ثم تظل صامتة ، ويعقد هو يديه وراء ظهره ثم يروح يحدق فى السقف . « رزاق فالج ! » نحن نسميه « رزوقى » . ويدخل دون ابطاء أقصر من عباس قليلا . . يلقي نظرة على الحشد فى القاعة ويلاحظ ان العيون كلها تتطلع اليه ، فيرتبك خجلا ، ويروح يداري خجله بالنظر الى أصابع يديه . « كامل سلمان ! » وتحتضن العيون الموقوف الثالث وهو يدخل القفص . نحيف للغاية . . تظنه لا يقوى على تحمل ضربة واحدة . . لكنك لا تعرف عنه شيئا ! « غضبان عبود ! » . فيدخل . ويقف خلف عباس ثم يتحرك الى جانب كامل ، فيواجهنا الآن ، ويتفحص الحضور بدقة . . يبحث عن أحد . . عن وجه بين الوجوه . . وتلاحظ انه يبتسم بارتياح . . لقد وجده أخيرا . « سلمان خزعل ! » يدخل ويقف خلف رفاقه ، ومن بين كتفى عباس ورزوقى ، ترى عينيه تتطلعان فى شوق الى الجالسين فى القاعة . وينادى على الموقوف السادس . العيون كلها تنتظره . . فيدخل وعلى وجهه ضحكة . . شاب صغير مرح . . عندما قبض عليه تساءل الرفاق « ترى هل سيصمد !؟ انه صغير ! » وها هوذا تراه أمامك مرحاً كطفل ! ورئيس المحكمة طيلة الوقت يتابع نظرات عباس ورفاقه ، ويتفحص الوجوه التى يظن ان تلك النظرات تتلصق عندها . . ويكتمل عدد الموقوفين فى القفص ، فيلتفت الرئيس الينا ويقول فجأة :

- قفوا جميعا !

لماذا ! وينظر بعضنا الى بعض .

- أطلب منكم جميعا الوقوف !

ماذا يريد ! وبعد تردد قصير ، نقف كلنا ، ونظل نترقب . ويلتفت رئيس المحكمة هذه المرة الى عباس ورفاقه فى القفص ويسألهم مشيراً الينا :

- تعرفوهم ؟؟

فيخيم علينا - حالا - صمت تسمع فيه دقات قلب الشخص الواقف الى جانبك . أى سؤال لعين ! ويحاول بعض الحاضرين تحاشي

النظرات التي تطالع - من وراء القفص - الوجوه الصامتة في القاعة .
السؤال مباغت ، خبيث .. يجعلهم ينسون - لبضعة لحظات - ان
الذين يخفون - تحت الثياب - جراحات تعذيب ليال طوال عانوه
بشجاعة دون أن يبوحوا للجلادين بشيء ، يستحيل الآن أن يستدرجهم
للوشاية بأحد حاكم متغطرس بليد .

- ما تعرفون ولا واحد منهم ؟! ما معقول !

فيسأل عباس في حنق :

- هل هم متهمون أيضا .. يا حضرة الرئيس ؟!

- أجب على السؤال .

وتتطلع العيون كلها الى وجه عباس .. فيقول وهو ينظر في ود
الى وجوه رفاقه وصحبه المنتشرين بين الحضور في القاعة :

- ما نعرف ولا واحد منهم !

- أجب فيما يخصك .

- ما أعرف ولا واحد منهم .. تلك المرأة ، هناك ، أمي .

فيلتفت رئيس المحكمة الى « رزوقي » متابعاً ، في اصرار ، لعبته
القدرة :

- وانت ؟

الصمت كثيف .. عميق .. يستقر في القاعة كما يستقر في
قاع النهر ماء راكد .. وفي هذا الاطار من الصمت تسمع أسئلة الحاكم
وأجوبة الرفاق في وضوح عجيب .. فالكلمات تخرج عارية ..
مجردة .. هي كل ما في القاعة .. وانت تكاد تلمسها .. والحاضرون
يتابعونها بانتباه شديد .. يزنون كل نبرة .. يشمون عفونة أسئلة
الحاكم القدرة .. ويتحسسون حرارة أجوبة الرفاق الساخرة . ويقول
« رزوقي » وعيناه تبتسمان لنا :

- ولا واحد !

ولا تستطيع أم عباس أن تمسك نفسها أكثر .. وقبل أن يكرر
رئيس المحكمة سؤاله على كامل يرتفع صوتها الغاضب في صمت
القاعة :

- أنشدك يا (ريس) انت تسألهم هالاسئلة .. هم أجانب ؟!

لو أولاد هالمدينة هاي بالنفس !!

ويفاجأ (الرئيس) وأعضاء محكمته ، فيصيح وهو ينظر اليها

شزراً :

- شرطى ! تعال طلع هالعجوز !

فيتدافع الشرطة من كل صوب ، ليشقوا طريقهم اليها .. ويتوتر
جو القاعة .. وتغلى الدماء .. وتقف أم عباس لبوة جريح :
- ما أطلع !

ويعترض الشرطة جدار كثيف من أجساد الرفاق والاصدقاء ..
ويحاولون عبثاً شق الجدار للوصول الى أم عباس .. وتستمر المقاومة
الصامتة من جانبنا .. ويتكشف ضعف الشرطة .. وترتفع الشتائم
من بين أسنانهم فى غضب .. وينهالون على الجدار ضرباً بأسفل
البنادق .. ونحن ليس لدينا أى سلاح .. ليس لدينا حتى الحجارة ..
لكنهم لا يمكن أن يمروا ! .. وتملاً البنادق .. وتشم رائحة الدم ..
مذبحة جديدة .. لحظات .. لحظات فقط وينطلق الرصاص .. ويبدو
الجزع - علينا - فى عيني عباس ورفاقه ، فيتحركون باضطراب داخل
القفص .. ويرتفع صوت رئيس المحكمة - فجأة - :
- أتركوها !

لماذا غير أسلوبه اللعين ؟!

- اجلسوا .

ونجلس .. لكن بصعوبة .. الدماء تغلى .. ما الذى جعله يغير
أسلوبه اللعين ! يخشى أن تصيبه رصاصة طائشة اذا حدث الصدام
داخل القاعة . ويلتفت الى أم عباس :

- لا تسوين ضجة .. هذه محكمة !

ويلفظ كلمته الاخيرة بصوت مرتفع محاولاً أن يعيد للمحكمة
هيبتها .. ثم يتهامس مع زميليه ويعلن رفع الجلسة وتأجيلها الى موعد
لم يحدده . أية لعبة ! ويخرج المتهمون .. وتنسحب هيئة المحكمة .
ونشعر ونحن نغادر القاعة بعشرات العيون .. الخبيثة .. الحاقدة ..
تنخر فى وجوهنا ، وتطاردنا من شارع الى شارع ، ومن درب الى درب ،
فيوصد كل واحد منا عليه باب بيته ، ويروح يمزق ، ويحرق - على
عجل - كتبه (المحرمة) .. وصور الاصدقاء .. ورسائل الاحباء
- ليجنبهم المتاعب - ثم يظل يترقب - قلقاً - الضربات الشرسة العمياء
تنهال فى حقد - فى ساعة متأخرة من الليل - على الباب الموصد !

مهدي عيسى الصقر

البصرة

كتاب السهر

اصول الحرية

عدنان الخافض

« من اتحاد الادباء العراقيين »

« مؤلف الكتاب - روجيه غارودي - اشهر من ان يعرف ، انه احد كبار قادة الفكر التقدمي في فرنسا . حاز ، عام ١٩٥٣ ، على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السربون بدرجة شرف ، وقد كان موضوع اطروحته « النظرية المادية في المعرفة » . وفي عام ١٩٥٤ ، حاز على درجة الدكتوراه في الفلسفة أيضا ، من جامعة موسكو ، وكان موضوع اطروحته « الحرية » . انتخب ، لمرات عديدة ، نائب في الجمعية العمومية الفرنسية . والمؤلف ، بالإضافة الى هذا ، عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي . من مؤلفاته العديدة : « أدب حفر القبور » و « انسانية الماركسية » . في كتابه ، الذي تقدم خلاصته لقرء الثقافة الجديدة ، نتبين ، بعمق ، قصة الحرية وحقيقتها ؛ التي يتطلبها الانسان في كل مكان ، مما ينير لنا طريق نضالنا الشاق ، ويجعلنا نمحص مفاهيمنا عن الحرية ، فننبذ الزائف ، ونبقى ما ينفع الناس . (اما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .

وسيالاحظ القارئ ان هناك بعض الاحداث الخاصة بفرنسا ، بلد المؤلف ، اذا انطبقت عليها فقد لا تنطبق على غيرها من البلدان الاخرى .

[ان أصول الحرية يمكننا من فهم أن الحرية ليست وسيلة من وسائل التعبير ، ولكنها وسيلة للحياة ؛ وان من الواجب اللازم انزال المناقشات الدائرة حول الحرية ، من سماء الافكار الى أرض البشر] .

« غارودي »

* * *

تقوم الثقافة الرأسمالية على كذب يحطمها ويدق عنقها : انه كذب الحرية * ان مزاعمها القائلة : ولد الانسان مفطورا على الحرية والخير والسعادة ولكن المجتمع جعل منه عبدا ، شريرا ، تعسا ، مزاعم لا تزال حية . فتحرير الانسان ، بنظر هذه الثقافة الشوهاء ، ينبغي ان يتم عن طريق تفكيك روابطه الاجتماعية ، لذا كان « روبنسون كوروزو » (١) اكثر الناس حرية ! غير ان الشيء الذى يؤسف له حقا هو أن هذا « الكوروزو » يتمتع بجميع أنواع الفضائل الا فضيلة الوجود ! فعلينا اذن ان ننقل الحرية من جوها الخيالى الى جوها الواقعى لتصبح شيئا مجسدا .

تنص المادة الرابعة من اعلان حقوق الانسان لعام ١٧٩١ على أن « الحرية هي القدرة على فعل كل شيء لا يلحق الاذى بالغير » . ان حريتك تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين . ثم تضيف هذه المادة قائلة : « وعلى هذا فممارسة كل انسان حقوقه الطبيعية لا يحدها الا ما يكفل للآخرين ، من أعضاء المجتمع ، التمتع بالحقوق نفسها ، والقانون وحده هو الذى يعين هذه الحدود » . هنا تتعقد الامور : فتحددنا للحرية بهذا المفهوم ، يخلق لنا بعض الصعوبات . ان قولنا بان الحدود التى يستطيع كل واحد التمتع بحقوقه ضمنها دون الإضرار بالآخرين قد عينها القانون ، انما هو أمر بسيط وواضح عندما يراد تحديد مزرعتين بالأوتاد . هنا يصبح للحرية معنى واضح مجسد ، يصبح لها أساس متين هو الارض ، الارض اذن هي الحرية ، هكذا كانت بديهيات عهد الاقطاع . غير ان المشرع البورجوازي لا يفهم الحرية على هذا النحو : ذلك ان ملكية الارض لم تعد قط عام ١٧٩١ الشكل الوحيد للملكية ، ولا حتى الشكل البارز فيها . علينا اذن ان نوجد ميدانا آخر حتى يكون بمستطاعتنا حل هذه القضية التى خلقها تحديد مفهوم الحرية . ان الانسان سيتعين دائما استنادا الى ملكيته المختلفة الاشكال وليس بما يملكه من أرض فقط . هكذا تفتقت ذهنية المشرع البورجوازي واستطاعت ان توجد ميدانا آخر لتحديد معنى الحرية ، وكان الميدان الحسى الجديد « حق الملكية هو حق تجسد الحرية » . وعلى هذا النحو

(١) شخصية قصة خيالية ، عاش فى جزيرة نائية لوحده ، ردحا طويلا من الزمن ، بعد ان غرق جميع من كان معه فى السفينة .

نحنا « روسو » (٢) و « اولباخ » (٣) و « ديدرو » (٤) ، وبهذا يصبح حق الملكية « هو الحق الذى يجعل كل مواطن ينعم ويتصرف حسب مشيئته ، بأمواله ومداخيله وثمره عمله وصناعته » ، وبهذا يصبح تنظيم الحرية أمرا ممكنا على هذا الاساس الوطيد من الملكية الفردية . لقد وضحت الامور الآن : فالحرية البورجوازية هى ، أولا وقبل كل شىء ، ان يتصرف المواطن ، تمام التصرف ، بحريته ، وان يساء استخدامها تمام الاساءة . هذه الحرية هى حرية المالكين . ان حق الملكية هذا حق مطلق : فهو يستطيع الاتساع والانتفاخ الى ما لا نهاية ، الى حد ان حفنة ضئيلة من الناس ، بل فردا واحد ، يملك كل شىء فيه ما عدا الاشخاص . غير أن هذا التحفظ (ما عدا الاشخاص) ليس الا مجرد وهم ! لان « الاشخاص » الذين لا يملكون موردا غير انفسهم ، غير سواعدهم وادمغتهم ، يكونون ، عمليا ، مضطرين لقبول ابشع شروط العمل . ان هذه الحقيقة يظهرها تاريخ القرنين الاخيرين بكامله . ان الملكية تمنح الحرية لاصحابها وتحرمها للآخرين ، انها تتضمن استعبادا عمليا لغير المالكين .

هذه الحرية تسمح للمالك المعمل ان يغلق مؤسسته ويحكم على آلاف العمال الكادحين بالموت جوعا !

هذه الحرية تتيح « لكارثيل » من الملاكين ان يتلفوا اطنان البضائع أمام أعين الذين يتضورون جوعا ، ليحافظوا على مستوى اسعارهم الخيالية !

هذه الحرية تسوغ للمالك الذى يعيش فى قصر ذى عشرات الطوابق أن يجبر عائلة تضم العديد من المرضى على العيش فى غرفة ضيقة نتنه !

فى النظام الطبقي ، أى فى نظام يملك حفنة من الناس فيه وسائل الانتاج ، وتحرم الاكثرية الساحقة منها ، تكون الحرية امتيازا لهؤلاء المالكين ، تماما كما كانت الارض ، فى اقطاعات القرون الوسطى ، تمنح الحرية لمن يملكها . لقد قال لينين بحق : « تكاد الحرية ، فى

(٢) فى كتابه « العقد الاجتماعى » .

(٣) فى كتابه « Ethocotie » .

(٤) فى كتابه « المثلون » .

النظام الرأسمالى ، تبقى دائما كما كانت عليه فى الجمهوريات اليونانية القديمة : حرية مالكى العبيد « (٥) . لقد كانت الحرية دائما امتيازاً طبقياً ، وليس القانون والدولة الا تنظيم الحرية بالنسبة الى الطبقة التى تملك وسائل الانتاج ، وبالتالي ، ليست الا تنظيم العبودية بالنسبة الى اولئك الذين لا يملكون تلك الوسائل وضمان حرية المالكين . ان الدولة ، كالحرية ، ملك لطبقة معينة وليس « حياد » الدولة والنظر اليها ككائن فوق الطبقات الا خرافة .

هنالك وجهان للحرية البورجوازية : اولهما ، بالنسبة الى الافراد ، تطبيق شريعة الغاب . وثانيهما : تضامن المالكين ضد الذين لا يملكون ، وليست الدولة غير التعبير الشرعى المنظم لهذا التضامن . « ان الحرية الفردية ، وقانون الدولة ، هما الوجهان للسيطرة الطبقية . وتاريخ الحرية متشابك مع تاريخ العبودية » .

ما هو مكان الحرية فى نطاق التطور التاريخى ؟

ان التقدم هو سيطرة الانسان المتعاطمة التى يمارسها على الطبيعة ، وعلى نفسه بالذات . وليس تقسيم العمل ، غير الظفر الاول لهذه السيطرة المتعاطمة ، غير الخطوة الاولى الحاسمة فى طريق تحرير الانسان من عبوديات الطبيعة . غير ان اول تقدم للتنظيم يتضمن تقسيم المجتمع الى طبقات . فهناك حفنة من الناس تحرروا من العبوديات الاولى ، لان الجماهير الواسعة انما تعمل من أجلهم . « لم يكن فى المجتمعات القديمة اناس احرار ، الا لان هناك عبيدا . ان تقسيم العمل ، الذى هو شرط لتمتع بعض الناس بالحرية ، يؤدى الى الانقسام الطبقي ، أى الى اضطهاد أعظم عدد من الناس ، واستعبادهم » (٦) .

ان تاريخ الحرية ليختلط ، منذ البدء ، مع تاريخ الاضطهاد الطبقي . هذا هو التاريخ بمجمله ؛ وهو تاريخ مرتبط بتاريخ نضال الانسان ضد الطبيعة . فكل ظفر يتيح له تحسين ادواته ، ولغته ، وتنظيمه الاجتماعى .

★ ان الانتقال من الشيوعية البدائية ، شيوعية القبيلة ، الى اول

(٥) لينين « الدولة والثورة » .

(٦) انجلز « ضد دوهرنغ » .

شكل للمجتمع المقسم الى طبقات ، هو انتقال ، فى وقت واحد ، الى حرية اوسع ، وعبودية أعظم . فالقبيلة فى مرحلة الشيوعية البدائية ، لم تكن تأمر أفرادها لاكرامهم على العمل . كل انسان يعمل من تلقاء نفسه ، يدفعه الى ذلك شعور فردى بضرورة العمل . وينشأ العمل ، بصورة طبيعية ، من حركة الكتل الجماعية التى تعتبر نفسها ككل . وكل قضية ، مهما كانت عليه ، تجد حلا لها بالانسجام مع مصالح القبيلة ، لان القبيلة تشكل وحدة لا تتجزأ . صحيح ان هذا الانسان البدائى هو عبد للطبيعة ، لانه لم يتوصل بعد الى اخضاعها « فنيا » ، غير انه لا يخضع الا الى نفسه والى حاجاته .

هذه الحرية هى حرية حق ، مهما كانت عليه من بدائية ، لانها « وعى » للضرورة . انها حرية هزيلة ، هزال طاقة الانسان على اخضاع الطبيعة ، ولكنها ، على كل حال ، حرية حقيقية : فهى تعبر عن وعى الضرورات المحدود فى اقتصاد متأخر جدا .

★ وفى عصر الرق ، وقد بدأ المجتمع فى الانقسام الى طبقات متبلورة ، استطاع الانسان ، بفضل تقسيم العمل البدائى ، ان يكتسب قدرة أعظم فى سيطرته على الطبيعة . فالارقاء الخاضعون لقيادة الاسياد ، يتمتعون بالقدرة على بناء الاهرامات ، غير أنهم يقومون بعملهم ، على العماء (٧) ، حسب الاوامر التى يوجهها لهم اسيادهم . كل انسان يقدم بعض الحجارة للبناء الذى لا يدرك احد وجه ضرورته ، ما خلا السادة القادة . ورغم ان قوتهم انما نجمت عن تجمعهم ، الا انهم لا يشعرون بانها قوتهم الخاصة . كانت مصر القديمة مثلا ، تؤله هذه القوة وتركزها فى الاله . . الملك الذى يتحكم بالناس ، ومن ثم بالطبيعة .

لقد أصبح الرقيق اداة عمياء ، لضرورة غريبة عنه لا يعيها ؛ فهو ينسب قوة العمل الجماعية الى سيد الحق المقدس ، الى أمره .

عندما انقسم المجتمع الى طبقات ، تجلببت الاساطير بجلباب كهنوتى ، واخذ عالمها الخيالى تركيبا طبقيا : فهناك « قدوس علوى » فى مجتمع ملكى ، أو « عائلة الهية » فى مجتمع أرستقراطى ، أو « معبد للآله » فى شعب يتألف من مجموعة من القبائل . « ان السماء لتغدو انعكاسا للارض ونضالها » . ان الطبقة التى تتصرف بالعمل الجماعى

(٧) دون وعى او ادراك .

تفرض دياناتها ، كما تفرض قوانينها . ان مالك وسائل الانتاج وحده ، يعرف غاية العمل ويعي ضرورته ؛ فالسيد حر بقدر ما يتمتع بهذا « الوعي » ، غير ان هذه الطبقة القائدة نفسها ، تفقد حريتها عندما تصبح طفيلية ، بعد تخليها عن عملها القيادي الحقيقي . وهي ، فى فترات انحطاطها ، لا تعود تعي الهدف ولا الواقع ؛ ذلك لانها انقطعت عن التأثير مباشرة عليه ، عندئذ « يغدو حامل السوط غير متمتع بالحرية بأكثر مما يتمتع بها المجلود نفسه » ، انه يصبح اعمى مثله تماما . ان سبب تلاشى حرية هذه الطبقة القائدة يعود الى « وعي » الواقع وتفهم قوانينه وضروراته ، عندئذ تخلق انتفاضة المستثمرين والمضطهدين « بفتح الميم والهاء » ظروف انتصارات جديدة لحرية الجماهير الواسعة من الناس ، وتعد « بضم التاء وكسر العين » التناقضات القائمة بين نظام الملكية وبين تطور القوى الانتاجية ، تحولا ثوريا فى المجتمع . وتشق الطريق امام حرية اسمى . ان قلب سيطرة الطبقة السائدة ، بعد ان أصبحت هذه السيطرة عمياء ، ليتخذ شكل المطالبة بالحرية .

★ ان اشد أزمات تقدم الحرية هي الازمة التي قامت البورجوازية

خلالها بدور المحرر حيال العلاقات الاقطاعية القسرية . لقد قام النظام الاقطاعى على أساس المراتب الشخصية والالزام (٨) . فالقن مرتبط بالارض التى يخدم فيها ، وبيع منتجات الارض يتم فى أقرب قصبة منها ، وعندما كانت الضرائب تستوفى عن البضائع عند نقلها ، كانت حواجز الاقطاعيات تحد من تداول المنتجات الصناعية . فلما تقدم التكنيك ، وازدهرت التجارة والصناعة ، اوجدت شروط اقتصاد جديد ، آنذاك أخذت الطبقة (٩) التى تملك الاشكال الجديدة للثروة ، تطالب « بالحرية » فلم تلبث ان نالت الاعفاءات على البضائع . كان الامر اذن لا يعدو ان يكون حرية اقتصاد جديد : حرية التنقل ، عقد الصفقات ، حرية الانتاج والتبادل وحرية العمل .

★ واعتبارا من عام ١٧٩١ (١٠) ، اصبح الهدف الذى امكن

(٨) Obligation .

(٩) طبقة البورجوازية النامية .

(١٠) بالنسبة لفرنسا بلد المؤلف ، وهو تاريخ اعلان حقوق الانسان .

تحقيقه ، هو اقامة مجتمع لم يعد الناس فيه مرتبطين مع بعضهم ارتباط القن بالسيد ، والتابع بمولى الاقطاعيات ؛ مجتمع ينتج الناس فيه للسوق الحرة ، ويشترون منها بكل حرية واستقلال . ان بلوغ السوق لا يحدها حد ، دون أى عائق ، هو الذى يشكل « الحرية » فى النظام الرأسمالى . لم يعد الناس يحملون الى السوق نتائج عملهم حسب ولكنهم يحملون اليها أيضا سواعدهم ومؤهلاتهم . ان من حقهم ان يبيعوا قوة عملهم لمن يدفع أجورا أعلى . وتظهر هذه السوق ، لأول وهلة ، وكأنها قد جعلت من الانسان بائعا « حرا » أو مشتر « حرا » . كانت تبدو وكأنها قضت على كل علاقة تتصل بنظام المراتب ، وعلى كل اكراه يقوم بين الناس ، ومن المحتمل ان اولئك الذين أقاموا النظام الجديد ، لم يشعروا ، انفسهم ، أنهم ، بتقويضهم الروابط الاقطاعية الظاهرية القائمة بين المولى والقن ، بين السيد والعبد ، انما ينشؤون ، من جديد ، روابط سيطرة غير مرئية قانونا ، يبدو نموذجها فى العلاقة القائمة بين رب العمل والعامل . لقد الغيت الوجائب الاقطاعية ، ولكن وجائب أخرى ولدت من جديد : كان ينبغى « افتداء » العبوديات القديمة !

لم يعد الفلاح قن المولى ، ولكنه أصبح مدين الملاك . واستبدلت عبودية المال المغفلة بالعبودية الشخصية . لقد أصبح الفلاح حرا : لم يعد عبدا لمولاه ، ولكنه غدا عبد الدائن ! . لم يعد الانسان ليظهر ، مطلقا ، انه خاضع لارادة مولاه ، انما يظهر خاضعا لقوة السوق وقوانينها العمياء ، هذه السوق التى لا يوجد من يشرف فيها على العرض والطلب ، على الازدهار والازمات .

ان علاقات العبودية القائمة بين الرأسمالى والعامل لتتصف بضراوة أشد ، وفوضوية أعظم ، مع أن السوق العمياء تخفيها وتحجبها . فهي تؤثر تأثير القوى الطبيعية التى لم تلجم شدتها .

اما الدولة ذاتها فتتظاهر بمظاهر الحياد وبراءة الغاية ، وكأنها فوق الطبقات . فهي لا تتدخل الا لتأمين « حرية سير » القوانين « اللا شخصية » . فكان « حرية » هذه القوانين لم تكن شرط اغتناء بعض الناس المتعاطم وسحق الآخرين . والحق ، انها تضمن « عمليا » حرية البورجوازية فى الاستثمار تماما ، وتعزز عبودية العمال .

ان جوهر الحرية الحقيقي ليختلف باختلاف مراحل تطور
الرأسمالية :

(١) ففي مرحلة التجميع الابتدائي لرأس المال ، وهو الشرط
الاول لانتصار البورجوازية ، يؤلف الفترة الظاهرة فى تاريخ « الحرية »
البورجوازية • بيد ان البورجوازية لم تصبح بعد ، الطبقة السائدة ؛
كما ان الدولة ليست بعد ، الدولة البورجوازية • فشروط نهوض
الرأسمال المقبل ، وجدت اذن ، دور الاعتماد على القانون ، بل ورغم
القوانين ، وجدت عن طريق العنف والمكر • ان هذا العهد هو عهد
« الغزاة » والمخاتلين • كانت البورجوازية « الفتية الصاعدة » تصطدم ،
باستمرار ، مع المجتمع الاقطاعى « العجوز الهاوى » ، من أجل التجميع
الرأسمالى • ان رغبتها الجامعة لتحقيق ذلك ، هذه الرغبة التى اعتبرتها
أشبه بالغريزة الطبيعية ودعتها « بالحرية » ، جعلتها تشعر ان قوانين
العالم القديمة ، وحقوقه ، وعاداته ، والتزاماته ، انما تحول بينها وبين
تحقيق ما تريد ؛ وان عظمة الحياة وجمالها لا يجدان تعبيرا لهما الا فى
اتساع الرغبات اتساعا مقرونا بالعنف •

لقد اتسمت الحرية البورجوازية ، فى المراحل الاولى من أجل
تحقيقها ، بطابع « البطولة » • وقد اضطرت البورجوازية ، قبل انشاء
سيطرتها ، ان توجد شروط تطورها المقبل فى نفس النظام الاقطاعى
ذاته ، حيث تنتصب ضدها جميع أنواع القمع • وقد عمدت البورجوازية
الى تمجيد الارادة تمجيذا لا حد له ، واكبرت ، الى حد بعيد ، من
شخصية البطل المنتفضة • وليست الحرية البورجوازية ، حتى فى
شكلها الاول ، الا حرية سلبية بشكل أساسى : فالقضية لا تعدو
« ضرب » العلاقات الاقطاعية فقط • انها لا ترى غير وجه واحد للحقيقة :
صحيح ان عبوديتنا صنعة الاكراه ، ولكن من الخطأ القول ان الحرية
ليست الا انعداما لهذا الاكراه • ومع هذا فسلبية الحرية البورجوازية
كانت ، فى هزم المرحلة ، تقدمية من ناحيتين : تقدمية لانها حطمت
النظام الاقطاعى ، وتقدمية لانها اوجدت تطورا جديدا فى الاقتصاد
والتكنيك البورجوازيين • ومنذ هذا الوقت ، ينفخ الاقتصاد البورجوازى
روح الثورة ، باستمرار ، فى الاساس الذى تقوم عليه • ولن تقف

هذه الحركة قط ، حتى ينفجر الاقتصاد البورجوازي ويتحول الى اقتصاد مناهض .

(٢) عندما بلغ التجميع الابتدائي لرأس المال بعض الحدود ، جعل من الممكن قيام شكل جديد لتطوره : هو عهد المشاغل (١١) الكبرى . لقد كانت البورجوازية ، حتى ذلك التاريخ ، تعتبر الملكية المطلقة الشكل الاساسى الاقدر على تنفيذ مقاصدها ، كما هو قادر ، بنفس الوقت ، على فرض شروط تطور رأس المال على الاقطاعيين . وقد منحت هذه الملكية امتيازات واحتكارات لاصحاب المشاغل الكبرى الاوائل . غير ان هذه الملكيات المتضخمة بقيت ، رغم هذا ، ذات جوهر اقطاعى (١٢) حتى تحت النفوذ البورجوازي . لقد انتهت مرحلة تحول البورجوازية هذه ، الى الثورة باسم البرلمان والحرية والفكر ، وهى ليست الا تعبيرا عن ارادة البورجوازية التى تناصب اركان الملكية والاقطاعية العدا . ان البورجوازية لتوجز ، فى ثورتها ، جميع مطالبها ، تحت اسم الحرية . وقد ساندتها الشعب ، الا ان هذا الطلب البورجوازي للحرية ، يحمل فى نفسه مبدءا تحديده ، ذلك لانها ، على وجه الضبط ، حرية طبقية : فعندما يطالب المعدمون بتمتعهم بالحرية التى قادتهم البورجوازية للنضال بأسمها ، تعتمد البورجوازية الى ايقاف سير تقدم هذه الحريات بكل وحشية : لقد أصبحت الحرية خطرا على البورجوازية عندما أخذ الشعب يطالب بها . وانتهى موقف البورجوازية هذا الى الرجعية بشكل لا محيد عنه ، لان البورجوازية عندما قاومت الشعب الذى لم يساوم على مساندته لها ، اضاعت ركنها الجماهيرى ، وأصبحت القوة الشعبية ، التى استخدمت من قبل فى مصالحها ، تتطور ، بعد الآن ، ضدها . ولم تلبث البورجوازية ان تحالفت مع اعدائها الاقطاعيين ضد اصدقائها القدامى كى تقف أمام النهوض الشعبى العارم . ان تحالف البورجوازية هذا ضد الشعب ، اقتضى اهمال المطالبة بحرية لا حد لها . فالبورجوازية طالبت بهذه الحرية « للجميع » ، ولم

(١١) مفردا « مشغل » Workshop .

(١٢) اذ اصبح البلاط الملكى فى فرنسا يعبر عن مصالح الملاكين الكبار ، وبدا للبورجوازية ، مصدر جميع المصاعب ؛ كما غدت الكنيسة - التى تلبس سلطات المافى الاقطاعى ، لباسا روحيا - عدوا لدودا ، بالنسبة للبورجوازية .

تعد الحرية ، منذ هذا الحين ، أكثر من حقيقة « مهلهلة » ، مجرد كذب وبهتان ورياء ! • وعندما أصبحت الدولة ملكا مشتركا للبورجوازية وكبار ملاكي الاراضى ، أخذت باصدار مجموعة من القوانين ووسائل الاكراه ، ستنجح لها اجبار الطبقة العاملة الناشئة على قبول الاجور المخفضة ، وتضمن للطبقات الحاكمة اسعارا رابحة : لقد اندثرت الدولة الاقطاعية ، ولكن تدابيرها التنظيمية التى قاومتها البورجوازية بكل ضراوة ، عادت الى تطبيقها اليوم ، لتجعل منها سلاحا ضد الشعب ، ولتضمن الازدهار للاقتصاد الرأسمالى ، • • • وهكذا توصل الاقتصاد الى اجتياز مرحلة المشاغل الكبرى •

(٣) اما الثورة الصناعية فقد جعلت البورجوازية تقفز قفزة حاسمة ، وها هى الرأسمالية تدخل مرحلتها الانفجارية • لقد أصبحت الصناعة ، مع الآلة ، القوة المسيطرة • وغدا بامكان البورجوازية الصناعية ان تفصم عرى تحالفها مع الارستقراطية الارضية (١٣) دونما خوف أو وجل • ولم يعد البورجوازي الكبير « الحر » بحاجة الى « الحماية » • وبدأ يقود الشعب الى حربه « المقدسة » ضد التقاليد تحت اسم « الحرية » أيضا ؛ فما هو محرك هذا التحول يا ترى ؟ ان العامل الاساسى فيه هو ان الرأسمالية اجتازت المرحلة التى كان فيها التوفير والاحتفاظ أول شرط لوجودها • لقد تحول العالم الاجتماعى تحولا سريعا عندما استخدم البخار والآلة : فهنا قطب يتعاضم من البروليتاريا التى تجرد ، أكثر فأكثر ، من الارض والادوات ، وهناك بورجوازية يتناقص عددها باستمرار ويتزايد غناها باستمرار • ويتوضح هذا الاستقطاب بسرعة متزايدة • ان الرأسمالية - كما يقول ماركس - « لتدخل مرحلة لا تستطيع فيها المحافظة على وجودها اذا لم تطور وسائل الانتاج تطويرا ثوريا على الدوام » • وتدعى البورجوازية ، عند متابعتها لاهدافها الطبقيّة ، انها تحرر الجنس البشرى وتنقذه • وفى فرنسا ، عمد تلاميذ « سان سيمون » (١٤) على تطوير هذه الحملة • وفى انكلترة ، اعطى « شيللى » (١٥) لهذا الوهم الكبير شكل الاساطير فى

• Lands Aristocracy (١٣)

(١٤) من اشتراكيي فرنسا الخياليين عاش فى القرن التاسع عشر •

(١٥) شاعر انجليزى عاش فى القرن التاسع عشر •

شخصية بطله « بروميشيوس طليقا » (١٦) . فباسم هذه الفردية ، وباسم هذه الحرية ، استطاعت البورجوازية تطوير سلطانها وتثبيت دعائمها ، ووضعت اثقل القيود على البروليتاريا . وعندما لجأت الرأسمالية الى تطوير قواعدها تطويرا ثوريا - وقد كانت مجبرة على ذلك - أى عندما اكثرت من تحسيناتها الفنية ، تحت ضغط المنافسة الحرة ، فانها اوجدت - رغم انها - قوى انتاجية جديدة ، ومركزت ، أكثر فأكثر ، وسائل الانتاج بين ايدي اناس يتضاءل عددهم باستمرار . كما مركزت ، مع هذه الملكية ، عمليا ، سلطة مطلقة على ملايين العمال . هذه هي أكلوبة البورجوازية الاساسية : انها تتحدث عن « الحرية » عندما تطالب بها ، باسم جميع الناس ، وتستخدم هذه الحرية لايجاد شروط استعباد لأكبر عدد ممكن منهم .

(٤) وفي عهد الاستعمار ، عهد الرأسمالية المتفسخة المحتضرة ،

يتبدى ، بوضوح أكثر ، ان « الحرية » التى تمنحها البورجوازية للفرد المناضل فى سبيل رغباته الحرة وربحه الحر ، هى أعجز من أن تجعل الناس « احرارا » ، بل تتركهم عبيد الصدف ، عبيد قدر يلهو مبتدئا فى الحرب والبطالة والافلاس واليأس . لقد اجتاحت القوى المنتجة البورجوازي « الحر » وسحقته مع أوهامه ، دونما شفقة ، واذا كان لا يزال هذا « الحر » تحرريا يمجّد « الحرية » فان مثل حريته الاعلى انما هو « شريعة الغاب » . ان انسان « نيتشه » (٦٧) المتفوق هو فى فوضى التناقضات الاستعمارية ، ارادة السيطرة لدى التروتسكات ، فتح المستعمرات ، مذهب العرقية الالمانية ، سيطرة رأس المال ونهمه الوحشى . وليس انطلاق مذهب الفردية ، والاستقلال ، الا توضحية للأفراد على مذهب التمرکز الاقتصادي ، وتشديدا فى الخضوع للتروتسكات .

لقد اولدت « حرية » المنافسة خصمها : اولدت الاحتكارات . غير ان البورجوازي الصغير ، المهدد المحطم ، ينتفض ضد هذه « الحرية » التى لا قبل له بها ، فكان الاحتكارات ، انما هى كانت نقيض مثله

(١٦) قال شيللى على لسان بطل روايته « بروميشيوس » : « عندما تحرر حملة النار

« اى الثورة الصناعية » فالانسانية ستحرر جميعها » .

(١٧) فيلسوف المانى عاش فى القرن التاسع عشر .

الاعلى !! • انه يطالب بسوق أكثر حرية ، وبمنافسة اكمل ، دون ان يلحظ ان هذه المصاعب قد تأتت عن طريق السوق الحرة والمنافسة ذاتها • ان البورجوازي دائم الحديث عن الحرية ، لانها « تفلت » منه باستمرار • وما يطلبه يعطيه عكس ما يتمنى دائما • فالتناقض الداخلى لهذه الحركة هو القانون الاساسى للنظام الرأسمالى • ان تناقض الرأسمالية نفسه هو الذى يثير حرب الاسعار المنخفضة : فكل رأسمالى « مضطر » لتحطيم الآخرين ، ولا يستطيع البتة ان يفعل غير هذا ، ذلك لان كل تأخير فى تحطيم الآخرين قد يسارع فى تحطيمه هو بالذات • هذا التناقض فى الانتاج الرأسمالى ، اذن ، هو المحرك لتطوره ، وهو السبب فى انهياره ، معا • انه هو الذى بعث تقدم الآلية والعلم ، وهو الذى يسبب ، بالتالى ، البطالة الواسعة ، والازمات ، ونهب المستعمرات ، والحروب ، وقلب النظام قلبا ثوريا • ان الحركة التى اعتقدت البورجوازية انها واجدة فيها حريتها هى التعبير عن الضرورة القاسية التى تسير بها ذليلة الى نهايتها •

ان تاريخ الحرية البورجوازية يتيح لنا اثبات هذا القانون : لا يتمتع احد بالحرية ، فى زمن معين ، ومجتمع مقسم الى طبقات ؛ غير اولئك الذين يملكون وسائل الانتاج • وكل طبقة لا تستطيع ضمان حريتها الا على حساب حرية الطبقة المناوئة • ان شرط الحرية ، بالنسبة الى الطبقة البورجوازية ، العائشة فى مجتمع اقطاعى ، هو القضاء على النظام الاقطاعى • وكذلك فان شرط الحرية ، بالنسبة الى الطبقة العاملة ، العائشة فى مجتمع رأسمالى ، هو القضاء على النظام الرأسمالى • ومتى ما استطاعت الطبقة العاملة ، المناضلة أبدا ، القضاء على هذا النظام الاستغلالي المتداعى ، أصبح بإمكانها ان تدخل باب الحرية الحقيقية ، الحرية التى تمنح نفسها لجميع الناس وليس لحفنة من الافراد الكسالى العائشين ، دون حياة ، على جهود الآخرين وشقائهم • انها حرية مذهب ماركس - انجلز - لينين الخالدة أبد الدهر !

عدنان الحافظ

مجلة في المجلد العربي والعالمية

(1) MARXISM TODAY

وصل الثقافة الجديدة خمسة أعداد من المجلة البريطانية (الماركسية اليوم) لاشهر : كانون الثاني ، شباط ، مارت ، نيسان وتموز ١٩٥٩ : ينطوى كل عدد على بضعة مقالات ومناقشات ، انتظمت فيها دراسات عن مشاكل وتطورات في الادب والفن ، والعلم ، والاجتماع ، والامة ، والحركة النقابية ... الخ .

* * *

انطوى عدد كانون الثاني على مقالة تعالج موضوع نشوء الامم في القارة الافريقية حيث نقدت الافكار الغربية التي تطمس من تاريخ الشعوب الافريقية ، وتزعم أنها تتألف من عشائر « همجية » ! خارجة عن حدود « العالم المتحضر » لكي تبرر امتداد الاستعمار الى هذه القارة . كما وتهاجم السياسة الاستعمارية التي تعمل على اقامة « دول افريقية » مبنية على حدود غير طبيعية وقوميات متباينة وتعارض نشوء « امم افريقية » .

* * *

وفي عدد مارت ١٩٥٩ ، هنالك مقالة نقدية مفصلة عن الاجزاء الاخيرة لمؤلفات الاستاذ جي . دي . ايج كول عن (تاريخ الفكر الاشتراكي) . نشر من هذا المؤلف النفيس أربعة أجزاء ؛ يعالج الاول منها (طلائع الفكر الاشتراكي من الثورة الفرنسية حتى ١٨٥٠) . اما الجزء فيبحث

فى نشوء الفكر الماركسى وبعض الافكار الفوضوية حتى ١٨٩٠ . ثم يدرس الجزء الثالث ، المكون من قسمين ، الاممية الثانية من ١٨٨٩ الى ١٩١٤ . اما الجزء الرابع فيعالج ، فى قسمين أيضا ، نشوء الشيوعية والديمقراطية الاشتراكية خلال ١٩١٤ - ١٩٣١ . وقد فرغ الاستاذ كول من القسم الاول من الجزء الخامس قبل وفاته المؤلمة قبل مدة قليلة ، وقد اثنى الناقد ، سكرتير الحزب الشيوعى البريطانى ، على هذا المؤلف العظيم بصورة عامة ، الا انه ابدى بعض الملاحظات والتحفظات أيضا .

* * *

ومن المقالات البارزة عن عدد نيسان ١٩٥٩ ، مقال كتبه دى . اين . ايديت - سكرتير الحزب الشيوعى الاندونيسى عن « المشاكل الاساسية للثورة الاندونيسية » حيث حدد اهدافها : أهداف أو أعداء الثورة الاندونيسية هي الاستعمار والاقطاع . وعليه ، فانه لخطأ كبير اذا اعتقد شيوعى ، مثلاً ، ان الوطنيين أو الوطنيين البرجوازيين هم احد أهداف أو أعداء الثورة الاندونيسية ، والمثل بالمثل لو اعتقد وطنى أو برجوازى ان الشيوعيين أو الطبقة العاملة والفلاحية هدفاً أو عدواً له . ان هذه المعتقدات الخاطئة ، كما يبين ايديت ، لا تنبثق من الماركسية - اللينينية ولا من دراسة واقع المجتمع الاندونيسى . ان الثورة الاندونيسية ليست ثورة برجوازية ديمقراطية من الطراز الكلاسيكى كالثورة الفرنسية مثلاً ، بل انها ثورة برجوازية ديمقراطية من نوع جديد تستند الى حكومة لا تمثل دكتاتورية أية طبقة من طبقات المجتمع الاندونيسى ، بل تستند الى أساس من دكتاتورية الشعب ضد الاستعمار والاقطاع والرجعية .

« الثقافة الجديدة »

الديمقراطية ابداً

« اننى لن ادع الديمقراطية تنتكس فى هذه البلاد ، ولن ادع قوة الحرية تتوقف » .

دعاة القومية المزيفون

« ان القومية ملك مشاع للجميع ولا يتمكن أحد ان يستأثر بها لتكون كلمة براقة تستهوي قلوب المغفلين » .

الزعيم عبد الكريم قاسم

الى رافعي راية مكافحة الشيوعية !

« ان مناهضة الشيوعية هي الحاجة الملحة بالنسبة الى طبقة هاوية تجعلها انتفاضة الشعوب على هامش التاريخ : فلكي يخضع البؤساء لها ويطيعونها ، لابد من تقوية مخاوفهم ، لابد من أن يقال لهم : حذار ، حذار ، فمهما كنتم عليه من بؤس ، فان أقل انتفاضة ستؤدي بكم الى مرارة أعظم . ان الابقاء على نظام مبدع للشقاء يقتضي وجوده أسطورة تزود الانسان بالخضوع والاستسلام وها هي مناصبة الاتحاد السوفيتي العداء تؤدي المهمة التقليدية للاساطير الباعثة على الخوف . انها تصبح الشغل الشاغل لنظام يحتضر . انها تحتل مكان جميع الاساطير الخرافية . حتى أن أشد الخواطر تعلقاً بالموت وما بعد الحياة لتجد مكانها هنا » .

غارودي

ابطال مناهضة الشيوعية !

« ... وقد تقول اننى اريد ان اقاوم الشيوعية متحررا من كل مؤثر غريب أو توجيه ، انه لأضغاث أحلام ! اذ كيف يتمكن « الابطال » فى المستعمرات أو اشباهها من تأسيس حركة ضخمة ترمى الى مناهضة الشيوعية دون الاعتماد على القوى الاستعمارية ؟! • لقد عبأ الاستعمار طيلة السنوات الماضية كل ما له من قوى لمقاومة الشيوعية ففشل ، فكيف تستطيع أنت اذن ان تقضى على الشيوعية مستقلا وتنجح ؟! » •
ماوتسى تونغ

مكافحة الشيوعية

تعني دائما مكافحة الديمقراطية

« ان مكافحة الشيوعية قد استخدمت وتستخدم ، فى كل مكان من العالم ، حجة لمحاربة الديمقراطية ، ولمحاربة وحدة الطبقة العاملة ، التى هى ضمان الديمقراطية • انه السم الزعاف الذى تمكنت الرأسمالية من دسه فى جسم الديمقراطية ، والذى يتيح لها ، فى بعض الاحيان ، اضعاف مقاومة هذه الاجسام » •

فكتور جوان

من الذى يمسك بخيوط الدمى ؟

« ان الاستعمار الذى هيا الثورة العاكسة فى المجر ونظمها ، اختار ، بموجب هذه الخطة ، خطة التقدم التدريجى ، الفصائل التى كان (من المناسب) ان يجرى دفعها فى هذه المرحلة أو تلك من هجومه » •

يانوش كادار

من هم الفوضويون ؟

« ان الشيوعية ضد الاغتيالات ، وضد الفوضوية ، وضد المجازفات . ان أعداء الشيوعية ، هم وحدهم ، الذين يلتجؤون الى تدبير الاغتيالات والتخريبات وسفك الدماء ؛ وهم يعمدون الى اتهام الشيوعيين بذلك لصرف النظر عن جرائمهم وعن حقيقة نواياهم الخبيثة الموجهة ضد الشعب كله ، ضد جميع احراره على اختلاف اتجاهاتهم » .

ديمتروف

الماركسية في تطور مستمر

« ان الماركسية ليست نظرية كاملة نهائية ، بل هي نظرية تتطور دائما وتطبق على ما يظهر من حقائق ، وما يجد من أحداث ، كلما سار التاريخ في طريق تطوره وزادت خبرة الانسان »

أميل برنر

الاشتراكية مجتمع حي . . .

« ليست الاشتراكية شيئا جامدا ، لا يتغير ، هكذا كان وهكذا سيبقى أبدا . الاشتراكية هي مجتمع حي يتطور ويزداد اتقانا بلا انقطاع ، يرمى على الدوام الى تلبية حاجات جميع أفراده المادية والثقافية النامية أبدا ، تلبية تامة » .

خروشيف

وَنَائِبُ



اتفاقية التعاون الثقافي بين حكومة الجمهورية العراقية وحكومة جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية

ان حكومة الجمهورية العراقية وحكومة جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية ، رغبة منهما في تقوية العلاقات الودية والتفاهم المشترك بين شعبيهما ، قد قررتا عقد هذه الاتفاقية وعينت مندوبيهما المفوضين ؛
اللذين ، بعد ان تبادلوا وثائق تفويضهما ، قد اتفقا على المواد التالية :-
التالية :-

المادة الاولى

يتبادل الطرفان المتعاقدان بصورة مشتركة الوفود الثقافية المؤلفة من العلماء والمربين والادباء والفنانين والفرق الفنية ووفود الفنانين والشباب والطلبة .

المادة الثانية

يمنح الطرفان المتعاقدان بصورة مشتركة خريجي الكليات العالية لبلد الطرف الآخر التسهيلات اللازمة للدراسة والبحث في جامعات وكليات بلد الطرف الآخر .
كما يهيئ الطرفان المتعاقدان ، في الوقت نفسه وبصورة مشتركة ، الظروف الملائمة للشباب المشتغلين في الانتاج ، للتدريب في مؤسسات الطرف الآخر .

المادة الثالثة

يسهل الطرفان المتعاقدان عقد اتفاقية اذاعية بين المؤسسات الاذاعية للبلدين المعنيين وطريقة تنفيذها .

المادة الرابعة

يشجع الطرفان المتعاقدان التعاون والزيارات المشتركة بين أعضاء المؤسسات الرياضية لكل من بلديهما .

المادة الخامسة

يشجع الطرفان المتعاقدان التعاون في حقوق الصحافة والاذاعة

والتلفزيون والتصوير السينمائي ويتبادلان زيارات الصحفيين بين بلديهما ، كما يعينان مراسلين من وكالات الانباء الرسمية للاقامة في بلد الطرف الآخر .

المادة السادسة

يتبادل الطرفان المتعاقدان فيما بينهما العلماء والمربين والمواد المطبوعات العلمية والتعليمية والادبية والفنية والاجتماعية والثقافية ويسهلان نشرها والافادة منها في بلد كل منهما كما يشجعان بصورة مشتركة ترجمة ونشر المؤلفات القيمة والكتب بلغة كل منهما .

المادة السابعة

يسهل الطرفان المتعاقدان بصورة مشتركة في بلديهما تنظيم معارض التصوير والفنون الجميلة والفنون التطبيقية والمعارض الاخرى لبلد كل منهما .

المادة الثامنة

يدعم الطرفان المتعاقدان الاتصالات المباشرة والتعاون المشترك بين المؤسسات العلمية والتربوية والصحفية وكذلك بين المنظمات الثقافية والفنية في بلديهما .

المادة التاسعة

يؤسس الطرفان المتعاقدان ، بموجب اتفاق خاص ، كراسي جامعية في جامعاتهما وكلياتهما لدراسة لغة وثقافة وآداب الطرف الآخر .

المادة العاشرة

يؤلف الطرفان المتعاقدان كل عام ، لجنة خاصة من عضو أو أكثر من كل طرف تخول حق عقد الاجتماعات لمناقشة تنفيذ هذه الاتفاقية والمصادقة على خطة العمل للسنة التالية .

المادة الحادية عشرة

تصادق حكومتا الطرفين المتعاقدين على هذه الاتفاقية وفق الطرق الدستورية المتبعة وتدخل الاتفاقية دور التنفيذ من يوم تبادل وثائق الابرام .

ان كل تعديل يجرى على هذه الاتفاقية يعتبر نافذا بعد توقيعه

من قبل المندوبين المفوضين للحكومتين المتعاقبتين . ولكل طرف الحق في إنهاء الاتفاقية شرط ان يخبر الطرف الآخر تحريريا قبل ستة أشهر من التاريخ الذى يريد فيه إنهاء الاتفاقية . .

واعترافا بما تقدم ، وقع المندوبان المفوضان هذه الاتفاقية المكتوبة باللغات العربية والكورية والانكليزية . وتعتبر نصوص هذه الاتفاقية معترف بها الا اذا حصل اختلاف فيعول على النسخة الانكليزية .

بغداد فى ٢٣/تموز/١٩٥٩ .

الزعيم الركن محي الدين عبد الحميد

السيد نام ايل

المندوب المفوض لحكومة

المندوب المفوض لحكومة

الجمهورية العراقية

جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية

★ ★ ★

اتفاقية التعاون الثقافي بين حكومة الجمهورية

العراقية وجمهورية البانيا الشعبية

رغبة في تقوية روابط الصداقة والسعى للتفاهم المتبادل بين شعب الجمهورية العراقية وشعب جمهورية البانيا الشعبية . .

فقد قررت كل من حكومة الجمهورية العراقية وحكومة جمهورية البانيا الشعبية عقد اتفاقية ثقافية يسعى بموجبها الطرفان المتعاقدان الى تقوية التعاون الثقافى بين بلديهما بجميع الوسائل الممكنة والمتوفرة لديهما الى أقصى الحدود .

المادة الاولى

يعرض الطرفان الساميان المتعاقدان رغبيتهما في تبادل أساتذة الجامعات والكليات والمدارس والمعاهد الاخرى وكذلك تبادل أعضاء الجمعيات الصحية والثقافية .

المادة الثانية

تخصص حكومة كل من البلدين المنح الدراسية لطلاب البلد الآخر وبما ان البلدين يتبادلان بعثات دراسية (طلاب) فان حكومة كل بلد تستقبل طلاب الطرف الآخر وتسهل لهم الاتصالات اللازمة للدراسة والتدريب في المنظمات الملائمة وفقا للاحتياجات والامكانيات المتوفرة ..

المادة الثالثة

يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان بشرط الاتفاق المتبادل بتقوية التبادل الثقافي بين البلدين وذلك باقامة حفلات موسيقية ومسرحية ومحاضرات ومعارض فنية وعلمية وتنظيم التزاور بين الوفود الثقافية والفنية والرياضية والدراسية وتشجيع التعاون بين الجمعيات العلمية والفنية والادبية المعترف بها رسميا في كل من البلدين ..

المادة الرابعة

ستكون قضية تعادل الشهادات الجامعية موضوع دراسة دقيقة ومستوفاة بين الطرفين الساميين المتعاقدين وبموجب اتفاقية خاصة ..

المادة الخامسة

يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان بتنظيم الزيارات والمسابقات الودية بين المنظمات الرياضية ومنظمات الشباب ..

المادة السادسة

يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان بشرط الاتفاق المتبادل بتبادل الكتب والمجلات والنشرات العلمية والادبية والفنية ، والقيام بمساعدة تنظيم الحفلات السينمائية وتبادل الافلام السينمائية والتلفزيونية بين البلدين وكذلك تبادل قطع العاديات المكررة أو المستنسخة ..

المادة السابعة

يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان بشرط الاتفاق المتبادل بتيسير ترجمة مؤلفات علمية وأدبية وفنية تصدر في كل من البلدين .

المادة الثامنة

يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان على تقوية أو اصر التعاون بينهما في ميدان الصحافة والراديو والتلفزيون وتبادل الوفود الصحفية .

ويعين كل من الطرفين المعنيين من بين موظفي وكالة انبائه أو من بين موظفيه الآخرين مراسلا خاصا للطرف الآخر ..

المادة التاسعة

يقوم كل من الطرفين الساميين المتعاقدين حسب امكانياته وعملا باتفاق متبادل بتأسيس كرسى فى الجامعة أو فى المعاهد أو المراكز الثقافية الاخرى لتعليم لغة الطرف الآخر المتعاقد وحضارته وآدابه .

المادة العاشرة

يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان ان يتشاورا ويشجعا تبادل وفود العلماء والفنانين والاختصاصيين فى حقل التعليم والثقافة والفنون والالعاب الرياضية .

المادة الحادية عشرة

لتنفيذ هذه الاتفاقية ، يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان بتشكيل لجنة خاصة تضم أعضاء من الطرفين الساميين المتعاقدين يتمتعون بسلطة عقد الاجتماعات ودرس امكانيات تنفيذ الاتفاقية وتحضير ووضع خطة التعاون الثقافى للسنة التالية ..

المادة الثانية عشرة

تصبح الاتفاقية نافذة المفعول بعد تصديقها من قبل الطرفين الساميين المتعاقدين بالوسائل الدستورية وبعد تبادل وثائق الابرام .. كل تعديل يجرى على هذه الاتفاقية يصبح نافذ المفعول بعد التوقيع عليه من قبل ممثلين مفوضين من الحكومتين المتعاقدين وتستطيع كل من الحكومتين المتعاقدين ان تنهى الاتفاقية بشرط اخبار الطرف السامى المتعاقد الآخر بذلك تحريريا وقبل ستة أشهر من التاريخ الذى تريد فيه انهاءها .

وبناء عليه فان المفوضين المعتمدين يوقعان على الاتفاقية الحالية المحررة باللغتين العربية والالبانية .
يكون نص كل من النسختين باللغتين العربية والالبانية صحيحا ومعولا عليه ..

• كتب ببغداد فى ٢١-٧-١٩٥٩

عن حكومة جمهورية البانيا الشعبية عن حكومة الجمهورية العراقية

اتفاقية التعاون الثقافي بين حكومة الجمهورية العراقية وجمهورية رومانيا الشعبية

رغبة في تقوية العلاقات الودية وتأسيس التفاهم المشترك بين
الجمهورية العراقية وجمهورية رومانيا الشعبية ومن أجل تطوير التعاون
الثقافي بين البلدين بكل الوسائل الممكنة فإن الجمهورية العراقية
وجمهورية رومانيا الشعبية قد قررتا عقد اتفاقية ثقافية توضع موضع
التنفيذ من قبل الطرفين ولهذا السبب فقد اتفقا على ما يلي :-

المادة الاولى

يعلن الطرفان المتعاقدان عن رغبتهما في تبادل أعضاء الهيئة
التدريسية في الجامعات والمدارس الاخرى وأعضاء المعاهد الثقافية
والعلمية .

المادة الثانية

يمنح كل من الطرفين المتعاقدين زمالات دراسية لطلبة الطرف
الآخر ويتبادلان بعوث الطلاب الدراسية . ويرحب كل منهما بمواطني
الطرف الآخر ويقدم لهم كافة التسهيلات الممكنة لدراستهم وتدريبهم في
مؤسساته الثقافية وفق امكانياته المتوفرة .

المادة الثالثة

يسعى الطرفان المتعاقدان - وفق امكانياتهما - على تأسيس كراسي
في جامعاتهما ومراكزهما الثقافية لتدريس لغة وثقافة وآداب البلد الآخر .

المادة الرابعة

يقوم الطرفان المتعاقدان - بعد اخذ موافقة كل منهما - بتقوية
التبادل الثقافي بين بلديهما عن طريق اقامة الحفلات الموسيقية والعروض
المسرحية والمحاضرات والمعارض الفنية والعلمية وتنظيم زيارات الوفود
الثقافية والفنية والرياضية والطلابية ، بالاضافة الى تنمية التعاون بين
الجمعيات العلمية والفنية والادبية المعترف بها رسميا في كلا البلدين .

المادة الخامسة

يقوم الطرفان المتعاقدان بمناقشة مسألة تعادل الشهادات والدرجات العلمية التي تمنح في كل من البلدين بصورة دورية ويعقدان اتفاقا بهذا الشأن .

المادة السادسة

يقوم كل من الطرفين المتعاقدين بتنظيم الزيارات والمباريات الودية بين المنظمات الرياضية ومنظمات الشباب في كلا البلدين .

المادة السابعة

يقوم الطرفان المتعاقدان - بعد أخذ موافقة كل منهما - بتبادل الكتب والمجلات والمطبوعات العلمية والثقافية والفنية وتسهيل عرض وتبادل افلام السينما والتلفزيون بين البلدين .

المادة الثامنة

يقوم الطرفان المتعاقدان - بعد أخذ موافقة كل منهما - بتقديم كافة التسهيلات اللازمة لترجمة ونشر المؤلفات العلمية والثقافية والفنية القيمة الصادرة في بلد الطرف الآخر .

المادة التاسعة

يقوم الطرفان المتعاقدان بتقوية التعاون بين بلديهما في حقل الصحافة والاذاعة والتلفزيون ويتبادلان ، من أجل هذه الغاية ، زيارة الوفود الصحفية . وتقوم الوكالات الصحفية في كلا البلدين بتعيين ممثل صحفي لدى البلد الآخر .

المادة العاشرة

لتنفيذ هذه الاتفاقية يقوم كلا الطرفين المتعاقدين بتعيين ممثليهما الذين يدعون الى الاجتماع قبل نهاية كل عام على التناوب في عاصمة احد البلدين لوضع خطة للفعاليات الثقافية التي ستنفذ خلال السنة التالية بموجب هذه الاتفاقية .

المادة الحادية عشرة

تصادق حكومتا الطرفين المتعاقدين على هذه الاتفاقية وفق الاجراءات الدستورية المتبعة . وتدخل الاتفاقية دور التنفيذ اعتبارا من يوم تبادل وثائق الابرار .

ان أى تعديل يجرى على هذه الاتفاقية يصبح نافذا بعد توقيعه من قبل الحكومتين . ولكل طرف الحق فى انهاء الاتفاقية شرط ان يخبر الطرف الآخر كتابيا بستة أشهر قبل التأريخ الذى يريد فيه انهاؤها . واعترافا بما تقدم وقع المندوبان المفوضان هذه الاتفاقية المكتوبة باللغات العربية والرومانية والانكليزية وتعتبر نصوص هذه النسخ الثلاث معترف بها الا اذا حصل اختلاف فيعول على النسخة الانكليزية .

وقعت فى بغداد فى ٤ آب ١٩٥٩ .

عن حكومة الجمهورية العراقية
محي الدين عبد الحميد

عن حكومة جمهورية رومانيا الشعبية
جون جورجسكو

★ ★ ★

اتفاقية تجارية

بين

حكومة الجمهورية العراقية

وحكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية

ان حكومة الجمهورية العراقية وحكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية تحدهما الرغبة فى تعزيز الصداقة بين حكومتى وشعبى البلدين ورغبة منهما فى تنمية وتوسيع العلاقات التجارية والاقتصادية بينهما اتفقنا على ما يأتى :-

المادة الاولى

يوافق الفريقان المتعاقدان على ان يمنح كل منهما الآخر معاملة أكثر الامم حظوة وذلك فيما يتعلق بالرسوم الكمركية وكافة التكاليف الاخرى

والضرائب المطبقة على الاستيراد أو التصدير أو مرور السلع بطريق
الترانزيت .

المادة الثانية

لا تسرى احكام المادة الاولى أعلاه على ما يلي :-

(أ) الامتيازات الممنوحة أو التي ستمنح من قبل أى من الفريقين
المتعاقدين لغرض تسهيل تجارة الحدود .

(ب) الفوائد والحظوات والامتيازات الممنوحة أو التي قد تمنح من قبل
حكومة الجمهورية العراقية الى أى بلد عربى وكذلك أية امتيازات
خاصة ناشئة عن اتحاد كمركى عقده أو قد تعقده الجمهورية
العراقية .

(ج) الفوائد والحظوات والامتيازات الممنوحة أو التي قد تمنح من قبل
حكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية الى أى بلد مجاور وكذلك أية
امتيازات خاصة ناشئة عن اتحاد كمركى عقده أو قد تعقده
جمهورية فيتنام الديمقراطية .

المادة الثالثة

يجرى التبادل التجارى بين الفريقين المتعاقدين بموجب مبدأ
الاستيراد والتصدير النسبيين للسلع والبضائع المدرجة فى الجدولين
« آ » و « ب » الملحقين بهذه الاتفاقية . ولا تقل قيمة السلع العراقية التي
تستوردها جمهورية فيتنام الديمقراطية بأى حال من الاحوال عن ٥٠٪
من قيمة استيرادات العراق من جمهورية فيتنام الديمقراطية .

المادة الرابعة

تقوم الحكومتان بأصدار اجازات الاستيراد والتصدير اللازمة
للسلع المدرجة فى الجدولين « آ » و « ب » الملحقين بهذه الاتفاقية على ان
تراعى فى ذلك القوانين والانظمة السارية المفعول فى كلا البلدين . وليس
فى هذه الاتفاقية ما يحول دون الاتجار بالسلع غير المدرجة فى الجدولين
المذكورين .

المادة الخامسة

بغية تنمية التجارة بين الفريقين المتعاقدين يكون للمشتريين في أى من البلدين الحق في إعادة تصدير السلع المستوردة من البلد الآخر الى بلد ثالث بعد الحصول على موافقة مسبقة من السلطات المختصة في كلا البلدين .

المادة السادسة

مع مراعاة القوانين والانظمة المرعية في كلا البلدين تتمتع البواخر العائدة لاي من الفريقين المتعاقدين مع حمولاتها فيما يخص كافة القضايا المتعلقة بالملاحة والدخول الحر الى الموانئ المفتوحة للتجارة الخارجية والاستفادة من تسهيلات الميناء ورسوم التحميل والتفريغ والضرائب وسائر التسهيلات بمعاملة لا تقل - بأى حال من الاحوال - حظوة عن تلك الممنوحة الى البواخر العائدة الى أى بلد أجنبي آخر وتستثنى من ذلك أية امتيازات تمنح للبواخر التي تتعاطى التجارة الساحلية لاي من الفريقين فانها لا تمنح بمقتضى هذه المادة الى الفريق الآخر .

المادة السابعة

يوافق الفريقان المتعاقدان على ان يمنح كل منهما الآخر التسهيلات المعقولة لاقامة المعارض التجارية والمعارض الاخرى في بلد أى منهما مع مراعاة القوانين والانظمة الخاصة بهما .

المادة الثامنة

تجرى تسوية كافة المدفوعات الجارية بين الاشخاص الطبيعيين والحكميين القاطنين في جمهورية فيتنام الديمقراطية والجمهورية العراقية بالپاون الاسترليني القابل للتحويل أو بأية عملة أخرى قابلة للتحويل يتفق عليها الفريقان .

وتنظم لهذا الغرض كافة العقود وقوائم الحسابات المتعلقة بالتجارة بين جمهورية فيتنام الديمقراطية والجمهورية العراقية بالپاون الاسترليني أو بأية عملة أخرى قابلة للتحويل يتفق عليها الفريقان .
ولتنفيذ احكام هذه المادة بصورة فعالة يقوم البنك الوطنى لجمهورية فيتنام الديمقراطية والبنك المركزى العراقى بوضع الترتيبات اللازمة لذلك .

المادة التاسعة

لفرض تعزيز وتوسيع العلاقات بين البلدين وتسهيل تنفيذ هذه الاتفاقية توافق الحكومتان على تأسيس ممثليات تجارية في بلديهما وتحدد الوضعية القانونية للممثليات التجارية بموجب البروتوكول المرفق بهذه الاتفاقية والذي يشكل جزءاً لا يتجزأ منها .

المادة العاشرة

يوافق الفريقان المتعاقدان على التشاور فيما بينهما فيما يتعلق بآية أمور تنشأ عن أو تخص التجارة بين البلدين . ولتحقيق هذه الغاية تؤلف لجنة مختلطة تجتمع بناء على طلب أى من الفريقين المتعاقدين فى موعد يتفق عليه الفريقان ولا يتأخر عن (٤٥) يوماً من تاريخ الطلب المقدم بهذا الخصوص .

المادة الحادية عشرة

تدخل هذه الاتفاقية فى حيز التنفيذ اعتباراً من تاريخ تبادل وثائق الابرام وتبقى نافذة المفعول لمدة سنة واحدة وتجدد تلقائياً لفترة مماثلة بعد ذلك الا اذا تقدم أى من الفريقين باشعار تحريرى لانهاؤها قبل ثلاثة أشهر من تاريخ انتهاء العمل بها فى أية سنة تنفيذية .

حرر فى بغداد بتاريخ ٨ تموز ١٩٥٩ بنسختين أصليتين كل منهما باللغات العربية والفيتنامية والانكليزية ويعول على النصوص الثلاثة على السواء .

بالنيابة عن حكومة

الجمهورية العراقية

ابراهيم كبه

وزير الاقتصاد

رئيس الوفد العراقى

بالنيابة عن حكومة

جمهورية فيتنام الديمقراطية

ليبان

نائب وزير التجارة الخارجية

رئيس الوفد التجارى الفيتنامى

الجدول (آ)

السلع المعدة للتصدير من الجمهورية العراقية

- ١ - التمور
- ٢ - الشعير
- ٣ - الجلود
- ٤ - القطن
- ٥ - البذور الزيتية
- ٦ - السمّنت
- ٧ - منتجات نفطية
- ٨ - صوف (خام)
- ٩ - بطانيات صوفية

الجدول (ب)

السلع المعدة للتصدير من جمهورية فيتنام الديمقراطية

- الفحم
- التبوكا وطحين التبوكا (Manioc and Manioc flow)
- الرز
- الشاي
- بذور اليانسون
- أعشاب طبية
- الجوت وحبّال مصنوعة من الجوت
- المشروبات : براندى وليكورات وغيرها

ملبوسات محاكاة : ملابس تحتانية وجوارب قصيرة وبدلات سياحة
ولفافات رقبة وايشاربات وكذلك صدریات وقفازات وجوارب قصيرة
مصنوعة من الصوف

بطانيات قطنية

أقمشة قطنية

فواكه معلبة

السكر والسكر الخام

أدوات صغيرة للمكائن : مخارط وأدوات تثقيب وغيرها

سلع فنية :

مصنوعات فضية

تحفیات خشبية مطلية بالوارنيش

سلع مصنوعة من العاج

سلع مصنوعة من القرون

سلع منحوتة ومطعمة

المطرزات

سلع مصنوعة من القش (Vattan Articles)

سلع مصنوعة من القصب

سلع مصنوعة من الخيزان

حصران مصنوعة من القش

أخشاب

بروتوكول

خاص بتأسيس ممثلية تجارية لحكومة الجمهورية العراقية في
جمهورية فيتنام الديمقراطية وتأسيس ممثلية تجارية لحكومة جمهورية
فيتنام الديمقراطية في الجمهورية العراقية

استنادا الى الاتفاقية الموقعة بين حكومة الجمهورية العراقية وحكومة
جمهورية فيتنام الديمقراطية بتاريخ ٨-٧-١٩٥٩ يحق لحكومة الجمهورية
العراقية تأسيس ممثلية تجارية في جمهورية فيتنام الديمقراطية كما
ويحق لحكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية تأسيس ممثلية تجارية في
الجمهورية العراقية .

وبغية القيام بالمهام التي تنشأ عن تطوير العلاقات بين الدولتين
يوافق كلا الفريقين على منح الممثلة التجارية لحكومة الجمهورية العراقية
في جمهورية فيتنام الديمقراطية وعلى منح الممثلة التجارية لحكومة
جمهورية فيتنام الديمقراطية في الجمهورية العراقية على أساس المقابلة
بالمثل المعاملة التالية :-

- ١ - يتمتع رؤساء الممثلات التجارية ونوابهم وزوجاتهم واطفالهم
القاصرون بالحصانة الشخصية وتتمتع بنفس الحصانة المكاتب
والوثائق والملفات وحقيبة البريد العائدة للممثلة التجارية وفق
للتعامل الدولي المطبق في كلا البلدين .
- ٢ - تعفى الممثلات التجارية من الرسوم الكمركية على البضائع
المستوردة للاستعمال الرسمي .
- ٣ - تتمتع الممثلات التجارية بحق حرية المراسلة مع حكوماتها ومع
ممثليات دولها في البلدان الاخرى ويضمن ذلك حق استعمال
الشفرة .
- ٤ - يحق للممثلات التجارية ممارسة الوظائف القنصلية كاصدار
السمات وتصديق شهادات المنشأ وقوائم الحسابات والوثائق
التجارية الاخرى .

ينفذ هذا البروتوكول اعتبارا من تاريخ تصديق كلا البلدين
الاتفاقية التجارية المشار اليها في ديباجة هذا البروتوكول وفقا للاجراءات
الخاصة بكل منهما .

حرر في بغداد بتاريخ ٨ تموز ١٩٥٩ وذلك بنسختين اصليتين كل

منهما باللغات العربية والفيتنامية والانكليزية ويعول على النصوص الثلاثة
على حد سواء .

بالنيابة عن حكومة	بالنيابة عن حكومة
الجمهورية العراقية	جمهورية فيتنام الديمقراطية
ابراهيم كبه	ليبان
وزير الاقتصاد	نائب وزير التجارة الخارجية
رئيس الوفد العراقي	رئيس الوفد التجارى الفينامى

★ ★ ★

اتفاقية للتجارة والمدفوعات بين الجمهورية العراقية وجمهورية كوريه الديمقراطية الشعبية

ان حكومة الجمهورية العراقية وحكومة جمهورية كوريه الديمقراطية
الشعبية رغبة منهما فى تنمية العلاقات التجارية بين البلدين وتعزيز
الصداقة والتفاهم المتبادل بين الشعبين قررتا الدخول فى الاتفاقية
التالية :-

المادة الاولى

تقيم الحكومتان فيما بينهما علاقات اقتصادية وتجارية على أساس
مبادئ المساواة والمنفعة المتبادلة .

المادة الثانية

يتخذ الفريقان كافة التدابير المناسبة الضرورية لتسهيل التجارة بين
البلدين ويستخدمان كافة الوسائل الممكنة لتأمين الوصول الى موازنة
فى التجارة بين البلدين ومع ذلك فلا تقل قيمة السلع العراقية التى
تستوردها جمهورية كوريه الديمقراطية الشعبية بأى حال من الاحوال

عن ٥٠٪ من قيمة استيرادات العراق من جمهورية كورية الديمقراطية الشعبية .

المادة الثالثة

تقوم الحكومتان باصدار اجازات الاستيراد والتصدير اللازمة للسلع المدرجة المدرجة في الجدولين «آ» و «ب» الملحقين بهذه الاتفاقية على ان تراعى في ذلك القوانين والانظمة السارية المفعول في كلا البلدين . وليس في هذه الاتفاقية ما يحول دون الاتجار بالسلع غير المدرجة في الجدولين المذكورين .

المادة الرابعة

يوافق الفريقان على أن يمنح كل منهما الآخر معاملة أكثر الامم حظوة وذلك فيما يتعلق باصدار اجازات التصدير والاستيراد والاجراءات الشكلية الكمركية والرسوم الكمركية والعوائد وتكاليف الخزن وسائر النفقات وتستثنى من ذلك ما يلي :

١ - الفوائد الخاصة التي منحتها حكومة الجمهورية العراقية أو قد تمنحها في المستقبل الى أى من البلدان العربية أو البلدان المجاورة لها .

٢ - الفوائد الخاصة التي منحتها حكومة جمهورية كورية الديمقراطية الشعبية أو قد تمنحها في المستقبل الى أى من البلدان المجاورة لها .

المادة الخامسة

يجرى تبادل السلع بين الجمهورية العراقية وجمهورية كورية الديمقراطية الشعبية بواسطة عقود تعقد بين الاشخاص الطبيعيين والحكميين العراقيين ومؤسسات التجارة الخارجية الكورية وذلك بموجب القوانين والانظمة المطبقة من وقت لآخر في كلا البلدين .

المادة السادسة

تجرى تسوية كافة المدفوعات الجارية بين الاشخاص الطبيعيين والحكميين القاطنين في الجمهورية العراقية وجمهورية كورية الديمقراطية الشعبية بالپاون الاسترليني القابل للتحويل أو بأية عملة أخرى قابلة للتحويل يتفق عليها الفريقان .

وتنظم لهذا الغرض كافة العقود وقوائم الحسابات المتعلقة بالتجارة

بين الجمهورية العراقية وجمهورية كورية الديمقراطية الشعبية بالياون
الاسترليني أو بأية عملة أخرى قابلة للتحويل يتفق عليها الفريقان .
ولتنفيذ أحكام هذه المادة بصورة فعالة يقوم البنك المركزي العراقي
والبنك المركزي الكوري بوضع الترتيبات الفنية اللازمة لذلك .

المادة السابعة

يوافق الفريقان المتعاقدان على التشاور فيما بينهما فيما يتعلق بأية
أمور تنشأ عن أو تخص التجارة بين البلدين . ولتحقيق هذه الغاية
تؤلف لجنة مختلطة تجتمع بناء على طلب أى من الفريقين المتعاقدين في
موعد يتفق عليه الفريقان ولا يتأخر عن (٤٥) يوما من تاريخ الطلب المقدم
بهذا الخصوص .

المادة الثامنة

يوافق الفريقان أيضا على تأسيس ممثلات تجارية في عاصمة كل
منهما الآخر لغرض تدعيم وتعزيز العلاقات بين البلدين وتسهيل تنفيذ
الاتفاقية التجارية .
ويعقد بروتوكول منفصل خاص بالامتيازات والحقوق القانونية لهذه
الممثلات التجارية .

المادة التاسعة

بغية توسيع التبادل التجاري وتحقيق التوازن في التجارة بين
البلدين يجوز لكلا الطرفين إعادة تصدير البضائع المستوردة من الطرف
الآخر الى بلد ثالث وذلك باستحصال موافقة المصدرين الاصليين للسلع .

المادة العاشرة

يصادق على هذه الاتفاقية في أقرب موعد ممكن وتدخل حيز التنفيذ
اعتبارا من تاريخ تبادل وثائق الإبرام وتبقى نافذة المفعول لمدة سنة
واحدة . وما لم يتقدم أى من الفريقين المتعاقدين بأشعار حول رغبته بانتهاء
الاتفاقية قبل ثلاثة أشهر من انتهاء المدة المذكورة فإنها تجدد تلقائيا كل
مرة لمدة أخرى أمدها سنة واحدة .

حررت هذه الاتفاقية في بغداد في ٢٣ تموز ١٩٥٩ بنسختين
أصليتين كل منهما باللغات العربية والكورية والانكليزية على التوالي

ويعول على النصوص الثلاثة على السواء

بتحويل من حكومة
الجمهورية العراقية
عبد اللطيف الشواف
وزير التجارة
رئيس الوفد العراقي

بتحويل من حكومة
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
نام ايل
نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية
رئيس الوفد الكورى

الجدول (آ)

البضائع المتوفرة للتصدير من جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
الى الجمهورية العراقية

- ١ - مواد صيدلانية
- ٢ - كاربيد الكالسيوم
- ٣ - بيكاربونات الصوديوم
- ٤ - الصودا الكاوية
- ٥ - منتجات كيماوية أخرى
- ٦ - زجاج على شكل ألواح
- ٧ - مكائن لاغراض الري
- ٨ - الخزف الصينى (فرفورى) والخزف الصينى الدقيق الصنع
(بورسلين)
- ٩ - أقمشة حريرية
- ١٠ - النبيد والمشروبات الروحية
- ١١ - ورق التبغ

الجدول (ب)

البضائع المتوفرة للتصدير من الجمهورية العراقية
الى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

- ١ - التمور
- ٢ - الشعير
- ٣ - الجلود
- ٤ - الصوف
- ٥ - القطن
- ٦ - البنور الزيتية
- ٧ - بطانيات صوفية
- ٨ - منتجات نفطية

بروتوكول

خاص بتأسيس ممثلية تجارية لحكومة الجمهورية العراقية في
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وبتأسيس ممثلية تجارية لحكومة
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية في الجمهورية العراقية

استنادا الى الاتفاقية المعقودة بين حكومة الجمهورية العراقية وحكومة
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بتاريخ ٢٣-٧-١٩٥٩ يحق لحكومة
الجمهورية العراقية تأسيس ممثلية تجارية في جمهورية كوريا الديمقراطية
الشعبية كما ويحق لحكومة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية تأسيس
ممثلية تجارية في الجمهورية العراقية .

وبغية القيام بالمهام التي تنشأ عن تطوير العلاقات بين الدولتين يوافق
كلا الفريقين على منح الممثلة التجارية لحكومة الجمهورية العراقية في

جمهورية كورية الديمقراطية الشعبية وعلى منح الممثلة التجارية لحكومة
جمهورية كورية الديمقراطية الشعبية في الجمهورية العراقية على أساس
المقابلة بالمثل المعاملة التالية :-

١ - يتمتع رؤوساء الممثلات التجارية ونوابهم وزوجاتهم واطفالهم
القاصرون بالحصانة الشخصية وتتمتع بنفس الحصانة المكاتب
والوثائق والملفات وحقيبة البريد العائدة للممثلة التجارية وفقاً
للتعامل الدولي المطبق في كلا البلدين .

٢ - تعفى الممثلات التجارية من الرسوم الكمركية على البضائع
المستوردة للاستعمال الرسمي .

٣ - تتمتع الممثلات التجارية بحق حرية المراسلة مع حكوماتها ومع
ممثلات دولها في البلدان الاخرى وبضمن ذلك حق استعمال
الشفرة .

٤ - يحق للممثلات التجارية ممارسة الوظائف القنصلية كأصدار
السماح وتصديق شهادات المنشأ وقوائم الحسابات والوثائق
التجارية الاخرى .

ينفذ هذا البروتوكول اعتباراً من تاريخ تصديق كلا البلدين
الاتفاقية التجارية المشار اليها في ديباجة هذا البروتوكول وفقاً للاجراءات
الخاصة بكل منهما .

حرر في بغداد بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٥٩ وذلك بنسختين أصليتين
كل منهما باللغات العربية والكورية والانكليزية ويعول على النصوص
الثلاثة على حد سواء .

بتخويل من حكومة
الجمهورية العراقية
عبد اللطيف الشواف
وزير التجارة
رئيس الوفد العراقي

بتخويل من حكومة
جمهورية كورية الديمقراطية الشعبية
نام ايل
نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية
رئيس الوفد الكورى

اتفاق تجارى

بين

الجمهورية العراقية وجمهورية البانيا الشعبية

ان حكومة الجمهورية العراقية وحكومة جمهورية البانيا الشعبية
تحدوهما الرغبة فى تطوير العلاقات التجارية بين بلديهما على أساس
المساواة والمنافع المتبادلة اتفقنا على ما يلى :-

المادة الاولى

ان العلاقات التجارية بين الجمهورية العراقية وجمهورية البانيا
الشعبية تقوم على مبدأ احترام المصالح التجارية المتبادلة .

المادة الثانية

يجرى التبادل التجارى بين الجمهورية العراقية وجمهورية البانيا
الشعبية على أساس قائمتى السلع «آ» و «ب» المرفقتين .
تتضمن القائمة «آ» السلع المعدة للتصدير الى جمهورية العراق
وتتضمن القائمة «ب» السلع المعدة للتصدير الى جمهورية البانيا
الشعبية .

ويجوز تعديل قائمتى السلع «آ» و «ب» باتفاق الفريقين .
ولا تقبل قيمة السلع العراقية التى تستوردها جمهورية البانيا
الشعبية بأى حال من الاحوال عن ٥٠٪ من قيمة استيرادات العراق من
جمهورية البانيا الشعبية .

المادة الثالثة

تمنح السلطات الحكومية المختصة فى البلدين اجازات الاستيراد
والتصدير اللازمة للسلع المدرجة فى قائمتى «آ» و «ب» وفق القوانين
المرعية .

المادة الرابعة

لا تمس احكام الثانية حقوق الاشخاص العراقيين الطبيعيين
والحكيميين وحقوق مؤسسات التجارة الخارجية الالبانية فى عقد صفقات
تجارية لاستيراد أو تصدير السلع غير المدرجة فى القائمتين المشار اليهما

فى المادة الثانية بشرط مراعاة الانظمة المتعلقة بالاستيراد والتصدير وقيود التحويل الخارجى السائدة فى بلد كل منهما .

المادة الخامسة

تحتل السلع المنتجة فى الجمهورية العراقية او المستوردة منها بالحد الأدنى من الرسوم الكمركية لدى وصولها الى جمهورية البانيا الشعبية ولا تخضع هذه السلع لرسوم استيراد أو ضرائب أو أجور أعلى من تلك المفروضة على السلع المستوردة من أى بلد ثالث .

لا تسرى الاحكام المبينة أعلاه على السلع المستوردة من الجمهورية العراقية والتي يكون منشؤها بلادا لا تتمتع فى جمهورية البانيا الشعبية بمعاملة أكثر الامم حظوة كما لا تسرى هذه الاحكام على السلع المستوردة من جمهورية البانيا الشعبية والتي يكون منشؤها بلادا لا تتمتع فى الجمهورية العراقية بمعاملة أكثر الامم حظوة . كذلك تسرى معاملة أكثر الامم حظوة بالنسبة للانظمة والاجراءات الشكلية الكمركية المتعلقة باستيراد السلع وتصديرها ونقلها بالترانسيت وخزنها ونقلها من واسطة الى أخرى بالنسبة للاجور المتعلقة بها .

المادة السادسة

ان السلع المستوردة من الجمهورية العراقية الى اقليم جمهورية البانيا الشعبية منقولة بطريق الترانسيت عن بلد أو عدة بلدان أخرى وكذلك السلع المستوردة من جمهورية البانيا الشعبية الى اقليم الجمهورية العراقية منقولة بطريق الترانسيت عبر بلد أو عدة بلدان أخرى تخضع لنفس المعاملة التى تمنح لها فيما لو سلمت مباشرة من بلد المنشأ أو التصدير .

المادة السابعة

يطبق نظام أكثر الدول حظوة على البواخر التجارية التابعة لكل من الفريقين وعلى حمولتها عند دخول البواخر وخروجها ومكوئها فى موانئ الفريق المتعاقد الآخر .

المادة الثامنة

لا تسرى معاملة أكثر الامم خطوة المنصوص عليها في هذا الاتفاق على ما يلي . -

(أ) الامتيازات الممنوحة أو التي ستمنح من قبل أحد الفريقين المتعاقدين لأغراض تيسير تجارة الحدود .

(ب) المنافع الناشئة عن اتفاقية اتحاد كمركى معقودة أو قد تعقد من قبل أحد الفريقين المتعاقدين .

(ج) الامتيازات والمنافع الخاصة التي منحها أو قد يمنحها العراق الى أى من البلدان العربية .

(د) الامتيازات والمنافع الخاصة التي منحتها أو قد تمنحها في هذا الشأن جمهورية البانيا الشعبية الى أى من البلدان المتاخمة لها .

المادة التاسعة

يسعى الفريقان المتعاقدان بكل الوسائل الى توسيع تجارة الترانسيت عبر اراضيهم مراعين في ذلك القوانين والانظمة والقواعد التي تنظم نقل البضائع بطريق الترانسيت والمرعية في بلديهما .

المادة العاشرة

تسدد كافة المدفوعات الجارية بين الاشخاص الطبيعيين في الجمهورية العراقية وبين المؤسسات الالبانية للتجارة الخارجية بالعملة التي يجرى الاتفاق عليها بين الفريقين .

وتجرى لهذا الغرض كافة العقود والحسابات المتعلقة بالتجارة بين الجمهورية العراقية وجمهورية البانيا الشعبية بالعملة التي يجرى الاتفاق عليها بين الطرفين .

المادة الحادية عشرة

يصدق هذا الاتفاق من قبل كل فريق متعاقد وفق تشريعاته .
ويصبح نافذا بعد تبادل وثائق التصديق الذي يتم في بغداد ويبقى الاتفاق ساريا لمدة سنة واحدة من تاريخ نفاذه ويجدد سنة بعد أخرى بصورة تلقائية ما لم ينقضه أحد الفريقين تحريريا مبلغا الفريق الآخر رغبته في ذلك قبل ثلاثة أشهر من انقضاء أى سنة من سنى النفاذ .

واثباتا لذلك وقع هذا الاتفاق الموقعان أدناه المخولان من حكومتيهما
وفق الاصول .

حرر ببغداد بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٥٩ وذلك بنسختين اصليتين كل
منهما باللغتين العربية والالبانية ويعتبر كلا النصين نصا رسميا
معول عليه .

بتخويل من حكومة
الجمهورية العراقية
عبد اللطيف الشمواف
وزير التجارة
رئيس الوفد العراقي

بتخويل من حكومة
جمهورية البانيا الشعبية
اولفى لولو
سفير جمهورية البانيا الشعبية
فى العراق
رئيس الوفد الالبانى

الجدول (آ)

السلع المعدة للتصدير من جمهورية المانيا الشعبية

الفحم
خشب معاكس
الاقمشة القطنية
أسماك معلبة
فواكه معلبة
معجون طماطم
مربيات
مشروبات (Liqueures)

الجدول (ب)

السلع المعدة للتصدير من الجمهورية العراقية

التمور

الشعير

الجلود

القطن

الصوف الخام

بنور زيتية

سمنت

منتجات النفط

منشورات الطبعة الجديدة

صدر منها

- ١ - انطون تشيخوف (دراسة ، مسرحيات ، قصص) تعريب الدكتور شاكر خصباك
- ٢ - أباريق مهشمة (ديوان شعر) الشاعر عبدالوهاب البياتي
- ٣ - نشيد الارض (أقاصيص) عبدالملك نوري
- ٤ - تشريح الماكارثية ابراهيم كبه
- ٥ - راس الشليلة (مسرحيات شعبية) يوسف العاني
- ٦ - صور شتى ذو النون أيوب
- ٧ - أشعار في المنفى (ديوان شعر) الشاعر عبدالوهاب البياتي
- ٨ - سياسة الاعمار الاقتصادي في العراق تأليف : الدكتور توماس بالوك
ترجمة : الدكتور محمد سلمان حسن
- ٩ - الكرد والمسألة الكردية الدكتور شاكر خصباك
- ١٠ - لتفتح الازهار تأليف لوتينغ - بي
ترجمة : ناظم توفيق وسعدى يوسف
- ١١ - يا حياة المنفى من مهنة شاقة (شعر) تأليف : ناظم حكمت
ترجمة : الدكتور أكرم فاضل
- ١٢ - الجمجمة (مسرحية) تأليف : ناظم حكمت
ترجمة : ابراهيم وصفى رفيق
- ١٣ - عشرون قصيدة من برلين (ديوان شعر) الشاعر عبدالوهاب البياتي
- ١٤ - حياة قاسية (أقاصيص) الدكتور شاكر خصباك
- ١٥ - ٥١ قصيدة (ديوان شعر) الشاعر سعدى يوسف

تحت الطبع

- ١٦ - عباس افندي (قصص) عبدالرزاق الشيخ علي
- ١٧ - مسرحيات العاني (السلسلة الاولى) يوسف العاني

تحت الطبع

عباس أفندي

« مجموعة قصصية جديدة »

آخر آثار المناضل الوطني

عبدالرزاق الشيخ علي

ستقرأ فيها :

♦ الافعــوان

♦ الليل الطويل

♦ كان وكان

♦ وراء الجدار

♦ بين يدي الطبيب

♦ عباس أفندي

قدم لها الاستاذ ابراهيم كبه

« من منشورات الثقافة الجديدة »

تحت الطبع

مسرحيات العاني

« السلسلة الاولى »

♦ آني أمك يا شاكر

♦ اكبادنا

مسرحيتان شعبيتان للفنان

يوسف العاني

مع مقدمة ضافية للدكتور كمال نادر

« من منشورات الثقافة الجديدة »

كتب ينبغي ان لا تغلو منها اية مكتبة

- ★ الارض البكر حرثناها - (الجزء الاول والثانى) - تأليف شولوخوف
 - ★ والفولاذ سقيناه - (الجزء الاول والثانى) - تأليف استروفسكى
 - ★ الماركسية والشعر - تأليف جورج تومسن وترجمة خالد القشطينى
 - ★ الاقتصاد السياسى - تأليف انجلز وترجمة داود الصائغ
 - ★ الثورة الزراعية فى العراق - تأليف محمد حسين أبو العيس
 - ★ الحكومة الائتلافية - تأليف ماوتسى تونغ وترجمة زكى خيرى
- وسيصدر عن الدار قريبا :

- ★ رسائل من بعيد - تأليف لينين وترجمة لجنة من مترجمى الدار

دار بغداد

للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

شارع الرشيد - قرب اوروزدى باك

تلفون ٧٣٠٧

تستطيع ان تقرأ تفاصيل :

محاكمات المتأمرين الخونة

رشيد على الكيلانى و عبد السلام عارف

فى الجزء الخامس من كتاب :

« محكمة الشعب »

توزعه : دار الاهالى - بغداد - تلفون ٤٣٦٩

« الثقافة الوطنية »

مجلة النضال الفكرى • مجلة القومية العربية المتحررة •
المجلة التى تناضل من أجل ترسيخ أسس علمية
ديمقراطية •

*

« الثقافة الوطنية »

المجلة التى تسير فى طليعة الفكر العربى والانسانى
المتحرر •
المجلة التى تقدم ألوانا حية من الفكر القومى الوطنى •
المجلة التى تجد فيها صورا من أفضل ما ينتجه الانسان
فى العالم أجمع •
انها مجلة المناضل والمفكر والاديب • تجد فيها دراسات
نظرية ، ومسرحيات عالمية ، وقصصا جديدة ، ونقدا أدبيا
عميقا ، وأضواء علمية على تراثنا العربى الانسانى •

الوقت

مجلة كل مناضل وطنى ، مجلة كل من يهتمه مصير
جمهوريةنا العراقية الديمقراطية الفتية •

*

الوقت

تفتح أمامك آفاق المعرفة النيرة ، وتقدم اليك أعظم
التحليلات لاهم المشاكل العالمية ، ولا سيما قضايا السلم
والاشتراكية وسائر القضايا الحيوية الأخرى لبلداننا وبلدان
العالم أجمع •

هل قرأت مجلة الطريق ؟

- ★ مجلة السلم والتحرر والديمقراطية
- ★ مجلة المثقفين اللبنانيين الاحرار
- ★ مجلة التفكير العلمى والثقافة الانسانية الرفيعة
- ★ مجلة الطليعة الصاعدة •

اقرأ واشترك في :

مجلة الطريق

بيروت - لبنان

صدر حديثا

لتفتح الازهار متنوعة

ولتتنافس مدارس الفكر المختلفة

بقلم : لو تينغ - يى ★ ترجمة : ناظم توفيق وسعدى يوسف

ملحق الثقافة الجديدة

★ ★ ★

يا حياة المنفى من مهنة شاقة

من منشورات الثقافة الجديدة

تأليف : ناظم حكمت ★ ترجمة : الدكتور أكرم فاضل

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية عامة

مدير الادارة والتحرير : عدنان الحافظ
المحاسب : الفريد سمعان

العنوان :

عمارة شاشا - شارع المتنبي - بغداد - العراق
تلفون - ٨٨٢٦٠ * مسجلة في دائرة البريد برقم (٧٠)

المراسلات :

تعنون باسم مدير الادارة والتحرير

الاشتراك السنوي (بالبريد العادي) :

داخل العراق : دينار واحد
خارج العراق : دينار ونصف (أو ما يعادلها)
« يخفض ٢٥٪ من بدل الاشتراك للعمال والطلبة » .

الاعلانات :

للصحيفة الكاملة : خمسة دنانير
لنصف الصحيفة : ثلاثة دنانير